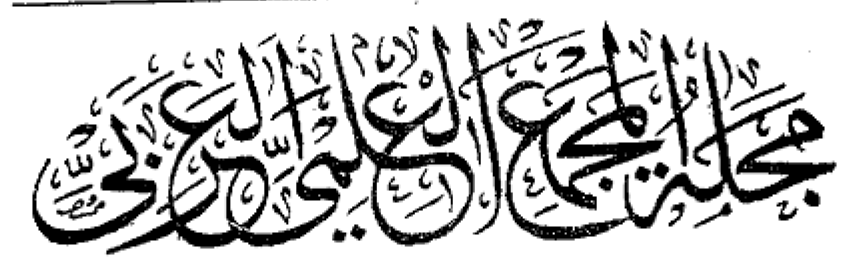


أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر اربعة أجزاء في السنة كل جزء في ١٦٠ صفحة

١ كانون الثاني سنة ١٩٤٩ م

٢ ربيع الأول ١٣٦٨ هـ



دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري

الدفع مقدماً وفي جميع الاقطار ١٠٠٠ « «

مطبعة الترقي بدمشق


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

— ٤ —

زَبُون : حريف وهو معامل الرجل في حرفته . وفي شرح المقامات لسلامة الانباري : الحريف كلة مولدة ليست من كلام أهل البادية . وفي ذيل كتاب تجارب الأمم للوزير ظهير الدين الروذراوزي ص ٦١ « فان زبون الحلاوي سيعدل اليك » وفي الحوادث الجامعة لابن الفوطي البغدادي ص ٦٧ « فاذا عرف بقعوده على الدكة وصار له الزبون قام يدور ويدخل الدور » وفي ذيل أقرب الموارد ص ٢٨١ عن اللسان : زبون طيّب أي سهل في معاملته . وهي سريانية الاصل ܙܒܘܢܐ zobouno معناها المشتري .

الزّجاج : مثلثة ، جوهر صلب سهل الانكسار وشفّاف يُصنع من الرمل والقِلي ، وفي القرآن (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة) سريانية ܙܓܘܓܝܬܐ zghoughitho زغوغيث وكذا القطعة والاناء منه . والزّجاج بائعه : ܙܓܘܓܝܐ zghoughoio ويقال له القواريري (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لمحمد المقدسي البشاري ص ٣١) .

زَجْر : سمك عظيم الجثة صغير الحرشف ، سريانية ܙܓܪ ، ܙܓܪܐ zghar zaghro [1] .

الزَّرَجون : الخمرة معرب زركون اي لون الذهب ، كذا في شفاء الغليل ، وفيه : وقال النضر : هو شجر العنب بلغة أهل الطائف ص ٩٨ — وفي أدب الكاتب لابن قتيبة الدنيوري ص ٢٦٢ « الزرجون الخمر وأصله بالفارسية زركون أي

(١) زرجه بالرمح: زجّه به، قال ابن دريد وليس باللغة العالية. زرجه، شجّه قال ابن دريد، ليس بثبت — قلنا ورد في السريانية ܙܪܛ zrat بمعنى : شرط ، خدش ، شيّح .

لون الذهب » قلنا الكلمة سريانية الأصل ومنها عربت لا من الفارسية كما ذهب ابن قتيبة والأصمعي : في السريانية القديمة ܙܪܓܘܢܐ zargono ، فرع ، اصل الكرمة المدفون ، وفي سفر العدد : ١٣ : ٢٣ « وقطفوا من هناك زرجونةً » وهي واحدة الزرجون . ولا تزال عامة بلاد الشام ولبنان تسمي قضبان الكرم التي تُكسَح ، (جَرْزون) مقلوبةً ، بتقديم الجيم على الزاء . وفي القاموس : « الزرجون محركة ، الخمر والكرم او قضبانه » والمزرّج : النشوان أخذاً من هذا الحرف قال الراجز :

هل تعرف الدار لامّ الخزرج   منها فَظلْتَ اليومَ كالمزرّجِ

و ܙܪܓܘܬܐ zorgoutho : لون الخمر و ܙܪܓܐ zorgo خمريّ اللون [1]

وفي معجم الأدباء ١٠ : ١١٦ قال الحسين بن عبد الله بن أبي حصينة المعرّي في بعض قصائده :

وكأنما زَرَجونة جاءت بها   سُقِيَت مُذابَ التِّبرِ عند غِراسِها

وفي كتاب المعرب للمطرّزي : إنامة الزراجين : دفنها وتغطيتها بالتراب ، مجاز .

زُرنوق : في القاموس : الزُرنوقان : بالضم ويفتح منارتان تبنيان على جانبي رأس البئر ، وزاد أقرب الموارد : فتوضع عليهما النعامة وهي الخشبة المعترضة عليهما ثم يُعلّق بها البكرة ويُستقى بها . والزرنوق أيضاً النهر الصغير . والجمع زرانيق ، قال احمد بن واضح المعروف باليعقوبي في كتاب البلدان ص ٣١٣ « وبها آبار يسقى منها النخل والمزارع ، تجرها النواضح ، وهي الابل التي تعمل

(١) نستدرك على الأستاذ بطرس البستاني قوله : الزروار والزرزار : البطرك ، وهو غلط بيّن صوابه . الزُرزار : البطريق بمعنى قائد الجيش والجمع زرازرة . وفي التكملة الزراورة ، كذا في القاموس ٢ : ٣٩ والشرح على الهامش . وكثيراً ما يغلط طبقة من الكتاب المعاصرين لما يخلطهم بين لفظة (البطرك والبطريرك) الذي هو رئيس رؤساء أساقفة المسيحيين ، وهو حرف يوناني معناه اللفظي رئيس الآباء ، وبين البطريق ومعناه باللاتينية قائد الجيش والخطأ سرى اليهم من استعمال الترك أو ممن تقدمهم كأبي الفداء في قوله « ومن كتاب ابن سعيد المغربي قال « البطارقة » للنصارى بمنزلة الأئمة ، (تاريخه ١ : ٩٠) .

في الزرانيق » ومن مرادفاتها : دولاب (وَحذّانة) (أحسن التقاسيم للمقدسي البشاري ص ٣١) . وفي أقرب الموارد ١ : ٤٦٣ زرنق فلان : استقى على الزرنوق بالاجرة . وفي القاموس : ودير الزرنوق على جبل مطلّ على دجلة بالجزيرة . وفي السريانية : ܙܪܢܘܩܐ بالفتح : zarnouqo مدلوله: سطل ، دلو لاستقاء الماء .

زُعْرور : جنس شجر من فصيلة الورديات ܥܪܘܪܐ ، ܥܪܪܐ zaarouro zaaroro .

زُغْلول : معناه في العربية : الخفيف من الرجال السريع والطفل . وجاء في الدميري : الزغلول بضم الزاي فرخ الحمام ما دام يُزَقّ ، يقال أزغل الطائر فرخه اذا زقّه . وورد هذا الفعل في أقرب الموارد ١ : ٤٦٦ وأصل الكلمة سرياني ܙܘܓܠܐ ، ܙܘܓܠܐ zoughalo , zoughlo معناها: فرخ الحمام والحجل خاصة[1] .

زِفت : جاء في شفاء الغليل ص ٩٩ الزفت هو القار ، قال الدريدي : معرّب تكلموا به قديمًا ، وفي الحديث نهى عن المزفّت اهـ . هو سرياني : ܙܦܬܐ zefto : قير ، وفي نبوة اشعيا ٣٤ : ٩ « ان آدوم تتحول أوديتها لزفت ، وعُفْرها لكبريت » والفعل ܙܦܬ zafète زفّت ، طلى بالزفت والمفعول ܙܦܝܬܐ zafito : مزفّت مقيّر .

زِقّ : جلد للشراب وغيره ، واسم عامّ للظرف جمعه زقاق : حرف سرياني ܙܩܐ ، ܙܩܘܬܐ : zéqo , zéqoutho . وفي سفر يشوع ٩ : ١٣ « زقاق الخمر التي ملأناها[2] » .

---

(١) فصيحه الجَوزَل وهو فرخ الحمام قبل أن ينبت ريشه وعليه المثل : هو اهزل من الجوزل . ويستعمل أيضاً لما ينبت ريشه . وقال الدميري « الجَوزل بفتح الجيم فرخ الحمام والقطا وأنواعها والجمع جوازل ، قال الشاعر : يا ابنة عمي لا أحب الجوزلا » . كذا في الدليل لرشيد عطية ص ١٦٤ — ١٦٥ . قال ابن فارس في مقاييس اللغة ١ : ٥٠٤ « ومما شذّ عن الباب (باب جزل) الجوزل وهو فرخ الحمام قال :

قالت سليمى لا أحبّ الجوزلا ولا أحبّ السمكاتِ مأكلا »

(٢) زقاقاً : أوردها البشاري في أحسن التقاسيم ص ٣٢ من جملة الألفاظ التي يختلف فيها أهل الأقاليم ، قال : صاعداً زقاقاً ، منحدراً شبالا . وهي —

زَمَّرتا : زمّارة ، القصبة التي يُزمَّر بها ، والزامرة بها ، كلمة سريانية ܙܡܳܪܬܐ ، ܙܰܡܳܪܬܐ zamorto , zamarto . وردت في كتاب « افوريسما ابقراط » ص ٢٣ وفي ترجمة اثناسيوس الثاني البطريرك الانطاكي السرياني المعروف بالبلدي ، لكتاب « ابود يقطيقي » من اليونانية للسريانية وكانت تتداول في مدينة منبج ، فأوردها البحتري الشاعر المشهور في بيت من قصيدة له هجا بها أهل بلده قائـــلا :

مُقَوَّسين على البوبندِ يُطربهم سَجْعُ الزمرتا واصحابُ الطواحينِ

(ديوانه جزء ٢ ص ٦٦٣ طبع بيروت) وقال الأب دورم ص ٢٩٨ zammeru في اللغة البابلية تعني : مرنّم .

مَزمور : والجمع مزامير وهو سفر داود النبي . وفي الأساس : مزامير جمع مزمار ، كأنّ في حلقه مزامير الطيب صوته ، أو جمع مزمور من مزمورات داود عليه السلام . وفي سفر الأعمال ١ : ٢٠ « لأنه مكتوب في سفر المزامير ܡܙܡܘܪܐ mazmouro من فعل ܙܡܰܪ zmar ومعناه زمّر ، رنّم ، سبّح ، غنّى [1] .

زُنّار : نطاق ، حزام ، سريانية ܙܢܳܪܐ ، ܙܘܢܳܪܐ zounoro , znoro والفعل زنّر ܙܰܢܰܪ zanar ، وفي سفر اللاويين ٨ : ٧ « ونطّقه بزنّار الرداء » . وفي الأساس ١ : ٤٩ « شدّ الزنار والزنارة على وسطه ، وتزنّر النصراني » وذلك ان بعض الخلفاء كانوا يتعسّفون المسيحيين بشدّ الزنارات في أوساطهم اذلالاً لهم وامتهاناً كما أثبت التاريخ ، وورد في كتاب الخراج للقاضي ابي يوسف ص ١٥٢ « ويؤخذوا بان يجعلوا في اوساطهم الزنارات مثل الخيط الغليظ يعقده في وسطه

— ܙܩܘܦܐ zoqoufo : رافع ، ناصب ، من فعل ܙܩܰܦ zqaf ، وشبالا من فعل ܫܦܰܠ بمعنى سفل ، انحط shfale .

(١) زمرّد ، حجر كريم شديد الخضرة شفاف ويقال له زبرجد ، او هو نوع منه ، معرب ، ومما يستدرك على المعاجم انه معرب من اليونانية وأخذته العربية بواسطة السريانية ܙܡܰܪܓܕܐ zmargdo وباليونانية smaragdos مقالة الأستاذ بندلي جوزي : مجلة مجمع اللغة العربية ص ٣٤٢ » .

كل منهم» والكلمة ومشتقاتها سريانية [1] قال صاحب الجاسوس على القاموس ص ٢٤٨ «وفي الجمهرة تزنر الشيء . اذا دقّ ولا أحسبه عربياً صحيحاً ، فان كان للزنار اشتقاق فمن هذا ان شاء الله .

زَنيم : لئيم معروف بلؤمه ، وفي القرآن «ولا تطع كل حلاّف مَهين ... بعد ذلك زنيم» ولا فعل له بالعربية فنرجح انه حرف سرياني ܙܠܝܡܐ zlimo ومعناه الأعوج المنحرف ، وفعله ܙܠܡ zlam .

زَورَق : سفينة صغيرة ، معبّر ܙܘܪܩܐ zourqo [2] .

زُوفى : نبت له ورق كورق الصعتر الدقيق طيّب الرائحة ܙܘܦܐ : zoufo وفي المزمور ٥١ : ٧ «اغسلني بالزوفى فاطهر» .

زِيّاح : طواف كنسي ، احتفال ، مصدر من فعل ܐܙܝܚ zaiah : حمل شيئاً وطاف به بأبّهة ، بجّل ، عظّم ܙܘܝܚܐ zouioho كلمة يتداول المسيحيون استعمالها للتعبير عن حفلاتهم الدينية ، وفي المجدل لماري بن سليمان ص ١٤٣ «وزيّح العيد بحضور ابن الحداد الاسقف» .

* * *

حرف السين

سابا : الشيخ ، حرف سرياني ܣܒܐ sobo وتسمى به المسيحيون . أورد التاج ٣ : ص ٢٤ قال ابن العديم في تاريخ حلب «معنى دير سابان بالسريانية دير الجماعة ومعنى دير عمان دير الشيخ وكلا الديرين من اعمال حلب» وهو غلط صوابه ، ان دير سابان يعني دير الشيخ ودير عمان : معناه دير الجماعة .

---

(١) زنديق : ملحد ، دهري . قال ابو حاتم هو فارسي معرب ، وورد في الدليل ܙܕܘܩܐ zadouqo وفي معجم ابن بهلول ܙܕܘܩܝܐ zadouqoio بمعنى ، فلا نقطع بصحة أصله .

(٢) زفيزف : شجر وثمره وبالسريانية ܙܘܙܦܐ zouzfo أورده كنز اللبسان السرياني ص ٢٦٢ وقال فيه الخوخ الشامي ؟ ولم ترد الكلمة في معجم الألفاظ الزراعية .

سابوع: اسبوع، لفظ سرياني ܫܰܒܽܘܥܳܐ، ܫܳܒܽܘܥܳܐ، ܫܳܒܽܘܥܬܳܐ shabouo shobouto , shobouo وفي نبوة دانيال ٩ : ٢٥ « يأتي عليه وعلى قومه سبعون سابوعاً » (الدين والدولة ص ١١٧) وقال البيروني ص ١٦ : والسابوع سبع سنين مجموعة [1] ٠

السامة : الذهب والفضة أو عروقها في الحجر، جمعه : سام (القاموس ٤ : ١٣٣ واقرب الموارد ١ : ٥٦٠) وذكر الزمخشري في كتابه الفائق في غريب الحديث ص ٥٥٩ — ٥٦٠ « ان ابن قتادة فسر قول رهط من اليهود في سلامهم على الرسول : السأم عليكم يا أبا القاسم، انه يعني تسأمون دينكم، ورواه غيره، السأم وهو الموت ٠ قال الزمخشري فان كان عربياً فهو من سام يسوم اذا مضى لأن الموت مضيّ، ومنه قيل للذهب والفضة سام، لمضائها وجولانها في البلاد » اهـ ٠

قلنا نحسب اللفظة معربة من السريانية ܣܺܐܡܳܐ simo وتكتب بالألف (سامو) ومعناها : فضة، نقود ٠ وقال ابن بهلول عمود ١٢٩٣ نقلاً عن ابن سروشويه، وأحياناً نطلق هذا الاسم على الذهب والفضة معاً، والفعل ܣܰܐܶܡ saème : فضّض، طلى بالفضة ٠ فتأوّل الزمخشري لهذا الحرف معنى المضاء والجولان اجتهاد غير موفق ٠

سُبّار : بشارة السيدة مريم بحمل السيد المسيح ٠ قال البيروني ص ٣٠٩ « وكالسُّبار، وهو بشارة مريم بحمل المسيح » وابو نصر التكريتي السرياني في كتابه المرشد قال « وسُبّار النبي لا يكون بالمعجز فقط » كلمة سريانية ܣܽܘܒܳܪܳܐ souboro مصدر فعل ܣܰܒܰܪ sabar بشّر ٠

السبت : بالسريانية والعبرية معناه الراحة والقطع، اسم اليوم السابع من الأسبوع، وفي سفر الخروج ٢ : ٨ اذكر يوم السبت لتقدسه ܫܰܒܬܳܐ shabtho ٠

(١) الساج : شجر يعظم جداً لا ينبت الا ببلاد الهند وخشبه اسود رزين لا تكاد الأرض تبليه . ذكر في التوراة . وهو بالسريانية ܫܳܓܳܐ chogho ٠

سبح : سبح الله وسبح له : حمده وقدسه وأثنى عليه ، وقال سبحانَ اللهِ ونزّهه عما يقول الجاحدون . وهذا أصح تعريف لمعنى الكلمة . وزاد صاحب المصباح ص ٤٠١ وغيره « ويكون اللفظ بمعنى الذكر والصلاة » ولا وجهَ لقول الفيروزابادي (١ : ٢٢٦) ان معنى سبحانَ اللهِ السرعة اليه والخفة في طاعته . والمادة سريانية وعبرية فالفعل ܫܰܒܰܚ shabah ومعناه : سبّح ، رنّم ، مجّد ، عظّم ، حمد ، أثنى ، والمصدر ܫܽܘܒܳܚܳܐ shouboho ومدلوله : حمد ، تسبيح سبحان ومثله الاسم ܫܽܘܒܚܳܐ shoubho : حمد، تسبيح، تمجيد، ومنه ܬܶܫܒܽܘܚܬܳܐ teshbouhto : تسبحة ، حمد . و ܫܒܺܝܚܳܐ و ܡܫܰܒܚܳܐ , shbiho mshabho سُبّوح بضم السين وفتحها من صفاته تعالى لأنه يُسبَّح . وفي المزمور ٨٤ : ٤ « في بيتك أبداً يسبّحونك » وفي سفر الخروج ١٥ : ١ « حينئذ سبّح موسى وبنو اسرائيل بهذه التسبحة للرب وقالوا » « الترجمة الموصلية والشدياقية » وفي نبوة اشعيا ٥٤ : ١ « سبّحي أيتها النزور الرقوب واغتبطي بالحمد أيتها العاقر ، فقد زاد وُلد الفارغة المجفية على وُلد المشغولة الحظية » [الدين والدولة ص ٩١] وقال عدي بن زيد :

ليس شيء على المنونِ بباقِ غيرُ وجهِ المسبَّح الخلاّقِ

وعمّ استعمال المادة المسيحيين في أثناء أدعيتهم من ذلك « التسبحة لله » في كتاب الناموس للروم والفاظ شتى في كتب صلواتهم . وأقر الزمخشري وابن الأنباري والسيوطي واحمد فارس أنها سريانية النجار ، وزاد الأخير في الجاسوس ص ٥١ « ان التقديس والتسبيح لفظتان سريانيتان واخذ التسبيح من هذا المعنى أولى من قول بعضهم انه من معنى السباحة لأن المسبّح يمد يديه كما يمد السابح يديه في السباحة » اه !

سِبط : قبيلة ، وفي الاساس ١ : ٤١٨ هو سبط ، وهم اسباط ، ويقال قبائل العرب وأسباط اليهود ، قال الزجاج : القبيلة من ولد اسمعيل كالسبط من ولد

اسحق . وفي سفر التكوين (٤٩ : ١٦) اسباط اسرائيل : كلمة سريانية وعبرية ܫܒܛܐ shabto ومدلولها بالسريانية أيضاً ، سوط ، قضيب .

سَجَد : خضع وانحنى . كلمة سريانية ܣܓܶܕ sghède : سجد ، ركع ، عبد . وفي سفر التكوين ٢٤:٢٦ « نخرّ الرجل وسجد للرب . قال أمية بن أبي الصلت الثقفي :

ملائكة لا يفترون عبادةً كروبيّة منهم ركوعٌ وسجّدُ

وقال المضرّس الأسدي : (معجم البلدان ٤ : ٣٧٥) :

وسِخالٍ ساجية العيون خوازلٍ بجماد لينة كالنصارى السّجّدِ

ولينة ماء لبني غاضرة . ومنه :

المسجد : والجمع مساجد : ܡܣܓܕܐ masghdo قال الزجّاج ، كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد (اللسان ٤ : ١٨٨) وفي حديث البخاري ٢ : ٨٣ (اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وروى سيبويه عن بعض الشيوخ : (التاج ٥ : ٤١٩) :

فاختر لنفسك مسجداً تخلو به أو صومعهْ

ويستدرك على السيوطي في قوله عن الواسطي « وادخلوا الباب سجّدا » أي مقنّعي الرؤوس بالسريانية (الاتقان ص ١٠٠) لا صحة لهذا وصوابه راكعين ساجدين خافضي الرؤوس .

سحتوت : وسِحتيت : سويق قليل الدسم ، سريانية ܫܚܬܘܬܐ ، ܫܚܬܝܬܐ shehtito , shohtouto وردت في سفر راعوث ، (النسخة السريانية البسيطة فصل ٢ : عد ١٤) وفي ترجمان ابن السني[1] .

---

(١) ذكر الشرتوني ١ : ٥٠٠ انسحق القلب انكسر وتذلل ، نصرانية . قلنا هي لفظة معربة من السريانية تداولها المولدون : ܐܫܬܚܩ eshthèqe مدلولها تندم على ما أسلف من خطايا . وفصيحها خشع ، ولا يقال في آية من المزمور ٥١ « القلب المنكسر » لكن القلب الخاشع » . من الألفاظ التي يتداولها عامة أهل حمص (سحل) بمعنى سيل ، مجرى ماء قليل ، وفي العربية عن الاصمعي : « باتت السماء تسحل ليلتها » أي تصبّ (أقرب الموارد ١ : ٥٠٠) والأساحل : مسايل الماء . وفي السريانية ܫܚܠܐ shehlo ܫܚܠܐ shohlo ساحل ، سيل ، مجرى الماء .

سَخْلَة : ولد الشاة ما كان : ܣܟܠܬܐ sakhlto ·

سِرْيال : سراويل وفي الاسكافي ٤٢ السراويل مؤنثة وتجمع سراويلات · ܫܪܒܘܠܐ sharbolo , serbolo ، ومنه فعل ܫܪܒܠ sharbel سرول و ܐܫܬܪܒܠ eshtarbal سُرول ·

سُرادِق : السرادق الفسطاط الذي يُمدّ فوق سطح البيت ج سرادقات ، سريانية ܣܪܕܝܩܐ sarodhiqo : ستر حجاب وليس معرّباً من الفارسية ·

سَرِيس : الذي لا يأتي النساء ، الذي لا يولد له ، عنّين (ابو عبيد ٥ : ١٥) خصيّ · وفي التاج ٤ : ١٦٧ السّرس والسّريس ، وسَرِس الرجل اذا عنّ ، وسَرِس كان سريساً والجمع سرساء ، المادة سريانية ܣܪܝܣܐ ، ܣܪܝܣܐ : soriço , sriço باسكان السين وفتحها وضمها ، والفعل ܣܪܣ و ܣܪܣ sarèce , srèce خصى ·

سُرْم : طرف المعي المستقيم ، كلمة مولدة ، (قاله التاج عن الجوهري) هي سريانية ܫܘܪܡܐ shourmo ·

سَرْو : جنس شجر حرجي وللتزيين من فصيلة الصنوبريات (الشهابي ص ٢٠٧) ܣܪܘ ، ܣܪܘܐ sarwo , sarou وفي نبوة اشعيا ٤٠ « ··· واغرس في القاع الصفصف السرو البهيّة » (الدين والدولة ص ٨٩) ·

السِّطام والإسطام : المسمار لحديدة مفطوحة تُحرّكُ بها النار · قال الأزهري لا أدري أعجمية أم عربية (التاج) ܣܛܘܡܐ stomo فولاذ ، حديد ، صلب ، سطام ·

سَطر : خطّ ، كتابة ، كلمة سريانية الأصل ܣܘܪܛܐ ، ܣܪܛܐ serto , sourto والفعل ܣܪܛ srat سطر ، خطّ ، رسم · وفي التاج روى لبعضهم ٣ : ٦٧٢

اني وأسطارٍ سُطرنَ سطراً لقائل يا نصرُ نصراً نصراً

سَعَرَ المرضى : عادهم وافتقدهم واعتنى بهم ، قال ابن ابي أصيبعة (١ : ٢٢٧) وكانا جميعاً يسعران المرضى ، والكلمة سريانية ܣܥܪ saar (سعار) ومنه :

السّاعور: قيّم المرضى، وقيم البيمارستان ܣܥܘܪܐ soouro . قال ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٩٨ «وكان سعيد بن اثردي ساعور البيمارستان العضدي» وكذلك كان أمين الدولة ابن التلميذ (معجم الأدباء لياقوت ١٩ : ٢٧٦) وبسبب تقلد المسيحيين وظيفة الساعور عرّف الفيروزابادي وغيره الكلمة فقال ٢ : ٤٨ الساعور مقدّم النصارى في معرفة الطب . وكذا في التاج ٣ : ٣٦٨ ، والجمع سواعير ، وللكلمة معنى ثان وهو :

ساعور : الاسقف وهو خليفته الذي يتفقد القرى ويشرف على أحوالهم من قبله ويسمى باليونانية ܦܪܝܘܕܘܛܐ periodoto بريودوط ، وجاء في كتاب المجدل ص ١٠٥ «وجعله عبديشوع في تلك البلاد ساعوراً والمصدر الساعوروث ܣܥܘܪܘܬܐ soouroutho وفيه ص ١٢٥ «وأنفذ من بعده في الساعوروث الى جزائر البحر .

ومن المعنى الأول أو كليهما تطلق عامة نصارى ما بين النهرين لفظة الساعور على قيّم البيعة وهو السادن والواهف أو الوافه ، ويسميه أهل بلاد الشام قندلفت وهي لفظة يونانية تعني : خادم البيعة[1] .

سِفْر : بكسر السين واسكان الفاء : كتاب و ج أسفار . قال يعقوب ابن الصليبي مطران آمد السرياني المتوفى سنة ١١٧١ م في تفسير سفر التكوين اللفظي

(١) السعانين والشعانين : عيد دخول السيد المسيح الى اورشليم قبل عيد الفصح بسبعة أيام لفظة عبرانية مدلولها التسابيح ومنها أخذ السريان فقالوا ܐܘܫܥܢܐ ouchaané ومن السريان اخذها العرب ، وجمعت جمع النون فقيل فيها ܐܘܫܥܢܝܢ ouchaanine وصاغوا منه فعل shaanène : عيّد عيد السعانين . وفي ابن أبي اصيبعة ١ : ١٦١ «خرج في يوم الشعانين» وفي تاريخ أبي الفداء ١ : ٩١ «ومن أعيادهم الشعانين الكبير وتفسير التسمح» . وأورد صاحب مسالك الأبصار ص ٣١٦ ان الثرواني أنشد في دير المحرق بالحيرة :

خرجنا في شعانين النصارى وشيّعنا صليب الجاثليق

و ܐܘܫܥܢܐ اوشعنا : كلمة عبرية معناها اللفظي ، ارجوك أن تنقذني ، واستعملوها لهتاف التسبيح والابتهاج وينشدها المسيحيون في عيد الشعانين وفي أثناء القداس الالهي بمعنى التحميد والتسبيح .

ص ١ « السفر لفظة عبرية معناها بالسريانية كتاب « ومثله قال يعقوب البرطلي مطران أذربيجان ودير مار متى المتوفى سنة ١٢٤١ م في المسألة الثانية عشرة من المقالة الرابعة من كتابه الموسوم بالمسائل والأجوبة ، وكلا المصنفان المخطوطان مصونان في خزانتنا . ومن العبرية أخذتها السريانية ܣܶܦܪܳܐ sefro ومعناها : سِفر ، كتاب ، لغة ، كتابة ، قراءة . ومن السريانية اقتبسها العرب . واشتق منها السريان فعل ܣܦܰܪ sfar : درس ، كتب ، تفقه ، تعلّم . ويراد بالاسفار خصوصاً الكتب المقدسة أي اسفار العهدين العتيق والجديد . وورد في سفر التثنية ٢٩ : ٢٨ « المكتوبة في هذا السفر » وبالمعنى نفسه وردت في القرآن في سورة الجمعة ٥ « مثل الذين حُمّلوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً » وفي الحديث (وروى البكري في معجم ما استعجم ص ٣٦٩ دخول الحسين بن ضحاك الى أحد ديارات النصارى بينما كان الراهب يقرأ سفراً من أسفارهم) . وفي القاموس : السفر الكتاب الكبير أو جزء من أجزاء التوراة . ومثله في أقرب الموارد . وفي الأساس ١ : ٤٤٢ « وسَفَر الكتاب كتبه ، والكرام السَفَرة : الكتبة ، وحملوا أسفار التوراة ، وله سفر من الكتاب وأسفار منه ، وحطّمني طولُ ممارسة الأسفار ، وكثرة مدارسة الأسفار . وجاء في الاتقان ص ١٢٨ « قال الواسطي في الارشاد : الأسفار هي الكتب بالسريانية ، واخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك قال هي الكتب بالنبطية » .

سَفَرَة : قال السيوطي في الاتقان ص ١٣٩ « اخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قول القرآن : بايدي سفَرَة ، قال بالنبطيّة القرّاء ، والسافر ج سفرة : الكاتب قال ابن سيدة ١٣ : ٥ عن العين : أصله بالنبطية سافرا (كذا) صوابه : السَفَرة الكتّاب ج ܣܳܦܪܳܐ sofro ومعناه : كاتب مسجّل ، فقيه ، استاذ ، رئيس جمعه ܣܳܦܪ̈ܶܐ sofré وقال ابن بهلول ٢ : ١٣٧٦ « السفرة هم الذين يعلمون أسفار التوراة ويكتبون » ومنه ܣܳܦܪܽܘܬܳܐ sofroutbo معناها : حِرفة الكاتب ، فقه ، علم ، حذاقة .

سِفسير : سمسار : ܣܦܣܝܪܐ قاله مار افرام المتوفى عام ٣٧٣م (اللباب للقرداحي) safsiro : والفعل ܣܦܣܪ safsar : ما كس ، ساوم . وفي شفاء الغليل ص ١٠٤ سفسر بمعنى سمسار معربة .

سَفَط : وعاء كالجوالق أو كالقفة ، وفي (اللسان) السفط الذي يعبّى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء ܣܦܛܐ sfoto .

السَّفوف : كل دواء يؤخذ غير ملتوت ، غير معجون ܣܘܦܘܦ soufouf ورد في الكتب الطبية .

السُكّان : ذنب السفينة لأن به تقوّم وتُسكّن ويعرف عند المولدين بالدفّة : ܣܘܟܢܐ saucono .

سَفِلة : في أقرب الموارد : سِفْلة الناس وَسفِلتهم ، أسافلهم وغوغاؤهم وسُقّاطهم ، قيل استعيرت من سِفلة البعير ، يقال هو من السَفِلة ولا يقال هو سَفِلة لأنها جمع ، وقيل يجوز . وسَفَلة البعير قوامه ، وفي الكليات : السفِلة الكافر أو الذي لا يبالي بما قال وبما قيل له . وفي اللسان نقلاً عن الجوهري يقال هو من السَفِلة ولا يقال هو سَفَلة لأنه جمع . قال ابن الأثير وليس بعربي . هو سرياني : ܫܦܠ ، ܫܦܠ ، ܫܦܠܐ shaflo , shfèl , shfal ومعناه سافل ، دنيء ، حقير . والفعل ܫܦܠ ، ܫܦܠ shfale , shfel : سفل ، ذلّ ، خسّ .

مَسْكَبة : وجاء في المخصّص ، سَكَبة ، وفي معجم الألفاظ الزراعية ٥٠٢ و ٣٠٨ (مشارة) وتستعمل : مسكبة في دمشق والغوطة ، قال رشيد عطية في دليله ص ١٧٥ «وفي لبنان المسكبة وهي عندهم قطعة أرض صغيرة أمام البيت تزرع فيها البقول ، وفصيحها : الوديقة ، والوديقة أرض فيها بقل أو عشب ويرادفها الضغينة والضعيفة ، قال أبو صاعد الكلابي : يقال ضغيفة من بقل وعشب اذا كانت الروضة ناضرة متخيّلة اه والمسكبة كلمة سريانية ܡܫܟܒܬܐ mashcabtho .

سَكَر الباب وسكّره : سدّه وأوصده . وفي القرآن : انما سُكّرت أبصارنا ، قال ابن سيدة ٩ : ١٥٣ : سكرتُ النهر سددتُه ، قال ابن دريد أصله من سَكَرت الريح : سكن هبوبها ! وفي فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٠١ فجهد ابرويز ان يسكّرها فغلبه الماء ، فليس الحرف من سكرت الريح ولكنه سرياني النجار ܣܟܰܪ ، ܣܟܰܪ sacar , scar ومدلوله أغلق ، سدّ ، أطبق ، ومنه :

السِّكر : وهو السدّة والحاجز ، ما سُدّ به النهر والجمع سكور ، وفي كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه ، الجزء السادس ص ٢٦٩ : لحقت المدود وغلب الماء والسيل علاجَ السكور .. فاذا أحسّ بالمدّ ومجيء السيول ، احتال في تخريب ما يبنى له من السكور ، وفي الحوادث الجامعة لابن الفوطي ص ١٨٦ : او انتقل أهلها الى وراء السكر ، وكذا ص ٣١٨ و ٣١٩ ܣܟܪܳܐ ܣܶܟܪܳܐ , scoro secro ويقال أيضاً ܡܣܰܟܪܳܐ و ܡܣܟܽܘܪܳܐ mascoro , mascouro .

سِكّي : مسمار ، أورده ابن سيده ١٢ : ٢٦١ وجاء فيه (١ : ٤٣١) درع مشدودة السَّكِّ وهو مسمارها ، الحرف سرياني ܣܶܟܬܳܐ ج ܣܶܟܶܐ : séktho , seké الوتد والرزّة ، والفعل ܣܰܩܶܩ saqèqe ومدلوله : سمّر .

سَكِينة : بمعنى تابوت ، وعرش ، ومنبر الله ، سريانية ܫܟܺܝܢܬܳܐ shkintho خلت منها المعاجم العربية[1] وأوردها المبرّد في الكامل ص ٥٩٩ من طبع اوربة قال : وقد كان عند المختار كرمي قديم العهد فغشاه بالديباج وقال : هذا الكرمي من ذخائر أمير المؤمنين علي بن ابي طالب فضعوه في (براكاء) الحرب وقاتلوا عليه ، فان محله فيكم محلّ (السكينة) في بني اسرائيل » اه يريد محل تابوت العهد . والبراكاء هو موضع اصطدام القوم . نقله الدكتور مصطفى جواد في

(١) جاء في المصباح ص ٤٣٢ « السكينة بالتخفيف : المهابة والرزانة والوقار، وحكى في النوادر تشديد الكاف قال ولا يُعرف في كلام العرب فعّيلة مثقل العين الا هذا الحرف شاذاً » وفي القاموس ٤ : ٢٣٥ « والسَّكينة والسِّكّينة بالكسر مشددة الطمأنينة » وقال الراغب في مفرداته « السكينة والسكن واحد وهو زوال الرعب » .

مجلة المجمع ١٩ص ١٥٦ [1] . ووردت في خطبة ليشوعياب بن ملكون الديسري مطران نصيبين الكلداني قال «وفقكم لفعل المآثر ورفع المعاثر بحَيْل سكينته» يريد بقوة ضريحه أي ضريح القديس أوجين الناسك (التراجم السنيّة طبعة الموصل ص ١٦٨) .

سَلّة : معروفة ، قال السيوطي لا أحسبها عربية : قلنا هي سريانية ܣܠܬܐ salto والذي نقله السيوطي هو عن ابن دريد (تكملة ذيل أقرب الموارد ص٣٢)

تسلّق : قال البيروني : ٣٠٨ تسلّق المسيح مصعداً للسماء ، ومنه تسلق الجدار تسوّره : سرياني ܐܣܬܠܩ estalaq ومنه كلمة :

السُلاّق : قال البيروني «وبعد الفِطر (أي الفِصح) باربعين يوماً عيد السُلاّقا ويتفق أبداً يوم الخميس وفيه تسلّق المسيح مصعداً الى السماء من طور زيتا» [2] . وفي كتاب البكري ص ٣٧٠ قال بعضهم :

بحرمة الفصح وسُلاّقكم يا عاقد الزنّار في الخصْرِ

وكان استعمال هذه الكلمة السريانية ܣܘܠܩܐ souloqo ومدلولها : صعود عاما عند نصارى المشرق ومنهم الروم الملكيون فقد ورد بلفظه مقروناً مع اللفظ اليوناني وهو : (الانالبسس) في كتاب الناموس وهو مجموعة قوانينهم في نسخة عتيقة جداً ترقى الى القرن التاسع او العاشر للميلاد وهي مصونة في خزانتنا .

السَلوقيّة : مقعد الاشتيام مثل المنلمظة . قال ابن عباد في كتابه المحيط ونقل نصّه الصاغاني في العُباب وأورده الفيروزابادي في قاموسه والشرتوني : «السلوقية مقعد الرُبان من السفينة» ، ذكر هذا الأب الكرملي وقال انها عندي من الارامية من فعل ܣܠܩ sléq لأن الرُبان يكون في أعلى موضع من سفينته ليرقب ما حواليه من متسع البحر . (المجلة ١٧ : ٥١٤) فهي ܣܘܠܩܘܬܐ

---

(١) اوردها ايضاً ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢ : ٢٧٤ قال « أو ما رأيت . . . تابوت السكينة سبي . (٢) وهكذا أبو الفداء في تاريخه ١ : ٩١ .

solouqoutho : تسلّق ، ارتفاع أو ܣܘܠܩܬܐ souloqtho ارتقاء ، عروج ، وليست ܣܘܠܩܐ souloqo .

السَّلْوَى : جاء في القاموس وفي أقرب الموارد ١ : ٥٣٧ « طائر ابيض مثل السُّماني واحدته سَلْواة ، وقال الراغب الاصفهاني في مفرداته ص ٢٤١ وقيل السلوى طائر كالسُّماني وقال ابن عباس السلوى طائر » وهذا التعريف صواب ومثله أورد الحسن ابن بهلول في معجمه السرياني مج ٢ عمود ١٣٥٢ و ١٣٥٣ قال السلوى طائر يشبه القطا وزاد المروزي السماني وقال ابن سروشويه هو نوع من الطير يكون فوق بحر الحبش ويسمى أيضاً المُرج . ولكن ما زعمه أيضاً الراغب الاصفهاني وهو « وأنزلنا عليكم المنّ » والسلوى أصلها ما يسلّي الانسان ومنه السلوان والتسلّي ، وقول الفيروزابادي والشرتوني « وقيل السلوى اللحم ويسمى السلوى لأنه يسلي الانسان عن سائر الآدام » فهو تمحك باطل فان اللفظة ܣܠܘܐ salway عبرية ومن العبرية أخذتها السريانية ثم العربية وفي سفر الخروج ١٦ : ١٣ « ولما كان العشاء ارتفعت السلوى وغطت المحلة »

سَلِيح : رسول السيد المسيح : لفظة سريانية ܫܠܝܚܐ shliho من فعل ܫܠܚ shlah أرسل ، بعث ، وجمعها سليحون وهي كلمة مسيحية ، وفي مقالة ليحيى بن عدي « وكتاب السليح بولس » [1] ، وفي العنوان للمنبجي ص ٢٤١ « أرسل توما ، ادّى السليح احد السبعين » وص ٢٤٢ « فلما توفي توما السليح » وعمّ استعمالها فِرقَ النصارى فوردت في كتاب الناموس للروم وفي كتاب « مصباح الظلمة » للقس ابي البركات ابن كبر القبطي الذي كان موجوداً سنة ١٣٥٣ م ص ١٠٩ و ١١٠ « سمعان السليح ورسائل السليح بولس » وص ١٢١ « بطرس السليح » . وتجاوز بها الى معنى رسائل القديس بولس الرسول ، من ذلك ما ورد في كتاب المرشد لأبي نصر التكريتي في الباب الحادي والثلاثين

(١) مقالات ليحيى ابن عدي نشرها ونقلها الى الفرنسية أوغسطين بيريه سنة ١٩٢٠ ص ٥٣ .

« ويقرأ السَّليح والفرا كسيس » يريد الرسائل المذكورة وكتاب اعمال الرسل ، المجدل ص ١٣٦ « وقرأ السليحَ اسقف النعمانية » واكثر البيروني من استعمالها في ص ٢٩٩ الى ٣١٢ ومنها « وهو شمعون الصفا رئيس السليحين وهم الحواريّون » وفي الثالث من (تموز) « ذكران توما السلّيح » ص ٢٩٩ وقال أبو الفداء ١ : ٩٢ « ولهم صوم السلّيحين » .

سمخان : مجالس ، صوامع ، ورد في تاريخ الطبري ٢ : ٤٢ في خبر اصحاب الكهف « حتى انتهوا الى الكهف فضرب الله على سمخانهم فلبثوا دهراً طويلاً » . وسمخان التي خلا منها القاموس سريانية ܣܘܡܟܐ somkho ومدلولها : عماد ، مجلس ، و ܣܘܡܳܟܐ و ܣܘܡܟܐ somkho , soumokho تعني : سِماك ، سند ، عمود ، صومعة الراهب وكوخه ، وفي رسالة الكرم للأستاذ سليم الجندي « السماك ما سُمك به الشيء اي رفع ، حائطاً كان او سقفاً ، وفي المخصّص عن ابي حنيفة : وكل ما رفع به الكرم فهو مسماك وسماك : (مجلة المجمع ١١ : ٣٧٠) وفي عامية اهل الشام : سومك السقف أي سنده بساموك (عمود) .

سامور : قال الفيروزابادي السامور الماس ، وقال مؤلف الجاسوس ص ٢٢٥ « لم أجد السامور في التهذيب ولا في الصحاح ولا في المحكم ولا في العباب ولا في اللسان ، وانما وجدت الشمّور كتنّور في الكتابين الاخيرين » وقال أيضاً ص ٢٢٤ « قال الفيروزابادي : الشمّور كتنّور الماس ، قال الخفاجي في شفاء الغليل ص ١٣ : الماس بتمامه كلمة غير عربية ولم يرد في كلام العرب القديم وعربيته سامور . قال في السامي (يريد السامي في الاسامي لأبي الفضل احمد الميداني النيسابوري) السامور سنك الماس ، أي حجر الماس » وأردف قوله ص ٢٢٦ « والعجب من مؤلف طراز اللغة [1] لقوله واسمه بالعربية : شامور وشمّور » اهـ .

قلنا الراجح عندنا ان سامور او شمّور معرب من السريانية ܫܡܝܪܐ و ܫܡܘܪܐ

(١) هو السيد علي خان

shomouro , shomiro : سامور ، حجر الماس . وليس هو من الانشمار ، وهو المضيّ والنفوذ كما زعم الزمخشري في كتابه « الفائق ١ : ص ٦٧٦ » .

سَنْدان : سندان القَيْن : ما يطرق عليه الحديد . سريانية ܣܕܳܢܳܐ sadono ، أما الشرتوني ورشيد عطية فقالا انها معربة من الفارسية وزاد الأخير : ويراد فيها في العربية القلاة .

سَنوط : خفيف العارض ، كوسج : سريانية ܣܢܽܘܛܳܐ sanouto وفيها لغات : ܣܘܢܳܛܳܐ ، ܣܢܽܘܛܳܐ ، ܣܰܢܛܳܐ santo , sonouto , sounoto والفعل ܣܢܰܛ snat سنط .

سَنَوَّر : بَيضة ، خُوذة (سلاح حديد) وفي نبوّة اشعيا ٥٩ : ١٤ : ووضع على رأسه سَنَوّر الاعانة ، (الدين والدولة ص ٩٤) سريانية ܣܢܘܪܳܐ sanouro و ܣܢܘܪܬܳܐ sanourto و ܣܢܘܪܬܳܐ sanwarto وفي الجواليقي ص ٢٠٠ السَّنَوَّر : معرّب وهو الدرع وقيل كل سلاح يتقى به فهو سَنَوَّر .

سِنَّور : قِطّ ، هرّ ، سريانية : ܫܢܘܪܳܐ ، ܣܢܘܪܬܳܐ ، ܣܢܘܪܳܐ shanouro , sanourto , sanouro وفي المصباح ١ : ٤٤٤ : السِنَّور الهرّ والانثى سِنَّورة . قال الأنباري وهما قليل في كلام العرب ، والاكثر أن يقال هِرّ ، ضَيْوَن والجمع سنانير .

سَهَر : جاء في الجمهرة ٢ : ٢٣٩ « السَهَر : القمر بالسريانية ، فأما الساهور فقد ذكره أمية بن ابي الصلت ، وزعموا انه القمر ، وقال قوم دارة القمر ، وكان أمية يستعمل السريانية في شعره كثيراً لأنه قرأ الكتب . وقال أيضاً ٣ : ٣٩٠ « والساهور القمر ، وقالوا الموضع الذي يغيب فيه القمر » وفي كتاب الاشتقاق ص ٤١ « والسهر والساهور زعموا القمر ، لغة سريانية ، وقد جاءت في الشعر الفصيح » وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء ص ٢٧٩ — ٢٨٠ في ترجمة أمية « وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء ويأتي بالفاظ كثيرة لا تعرفها

العرب يأخذها من الكتب المتقدمة ، وباحاديث من أحاديث اهل الكتاب ، ثم قال : والساهور في ما يذكر أهل الكتاب : غلاف القمر يدخل فيه اذا كُسف » وقال الاسكافي في مبادي اللغة ص ٦ « ويقال للقمر السهر والساهور ، وقيل غلافه الذي يستتر فيه اذا خُسف ، قال أمية بن أبي الصلت : قمر وساهور يسلُّ ويغمدُ . وقيل انه بالنبطية شهورا ، وشاهور نبطية منه وقيل سريانية ، والسين غير معجمة أفصح فيه من الشين . وقال الجواليقي قال ابن دريد : السهر القمر بالسريانية وهو الساهور ، وقال قوم بل دارة القمر ولم يسمع الا في شعر امية ، وذكره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ص ١٩٢ وفي الأساس ١ : ٤٧٠ دخل القمر في الساهور اذا كُسف ، وخرج من الساهور اذا انجلى . قلنا في السريانية ܣܗܪܐ sahro شهر أي قمر ، وܣܗܪܢܝܐ و ܫܗܪܝܐ : شهري أي قمريّ sahronoio , shahroio ، وارتأى الأب الكرملي (لغة العرب ٣ : ٨ ص ١٨٩) ان الساهور آشورية الأصل من (سار) بمعنى حلقة ودائرة والمدة المحدودة . ولكن الأب دورم ذكر في كتابه المذكور آنفاً ص ٨١ ان سهر هو اسم القمر بالآرامية ا ه .

سِوار : دملج ، حلية كالطوق تلبسه المرأة في زندها ، سريانية ܫܝܪܐ ، ܫܝܪܐ chioro , chiro (اللباب للقرداحي) وفي سفر التكوين ٢٤ : ٢٢ « وسوارَين على يديها » .

سُوس : نبات عشبي مخشوشب معمّر بريّ طويل الجذور عميقها ومن نقيعه يصنع رُبّ السوس ، ܫܘܫܐ shousho ، ܥܩܪ ܫܘܫܐ eqar shousho : عِرْق السُوس .

سَوط : قضيب : سريانية : ܫܒܛܐ shabto ܫܘܛܐ shawto وفي سفر يشوع ٢٣ : ١٣ « لكن يكونون لكم حفرة وفخاخاً وسَوطاً على جوانبكم » الترجمة الموصلية .

سيامة : تقليد اهل الدرجات الكهنوتية والاسقفية ، حق القيام بخِدَمها ، أخذاً من فعل ܣܳܡ السرياني الذي يضاف اليه ܐܺܝܕܳܐ some idho ومعناه وضع اليد ، لأن السيامة تقوم بوضع يد الاسقف الواسم على رأس المرسوم وتلاوة الصلوات المفروضة عليه ، ومثلها الرسامة وقد مرّت بك ، وهما أصح لفظاً ومعنى من غيرهما من الألفاظ لتأدية المعنى المقصود بالعربية ، وعم استعمالها النحل المسيحية قاطبة ، ويقال أيضاً سياميذ ، معرّب ܣܝܳܡ ܐܺܝܕܳܐ siomidho .

جبل سيناء : ويقال أيضاً طُور سين وطُور سينين (سفر التثنية ٢٣ : ٢ كتاب الدين والدولة ص ٧٤) مستخرج من اسم ܣܰܢܝܳܐ sanio ومعناه العلّيق أو العوسج بالسريانية والعربية . وليس معناه حسن أو مبارك مثلما نقل الجواليقي ص ١٩٨ وورد في القرآن « طور سينين » سورة التين ٢ و « شجرة تخرج من طور سينا » سورة المؤمنون ٢٠ ، وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى النبي ونودي فيه (سفر الخروج ١٩ : ٣) .

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

كنوز الأجداد

- ١٠ -

ابن تيمية

تقي الدين احمد بن عبد الحليم الحراني

(٧٢٨)

ولد بحران يوم الاثنين سنة احدى وستين وستمائة وقدم مع والده وأهله الى دمشق وكانوا قد خرجوا من بلاد حران مهاجرين بسبب جور التتار وقدموا دمشق سنة سبع وستين فسمع الحديث من أئمته في دمشق وقيل ان شيوخه الذين سمع منهم أزيد من مائتي شيخ وسمع مسند احمد مرات ومعجم الطبراني الكبير والكتب الكبار والأجزاء وعني بالحديث وقرأ بنفسه الكثير ولازم السماع مدة سنين ونسخ وانتقى وكتب الطباق والاثبات وتعلم الخط والحساب في الكتب واشتغل بالعلوم وحفظ القرآن وأقبل على الفقه وقرأ أياماً في العربية على ابن عبد القوي ثم فهمها وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمه وبرع في النحو وأقبل على التفسير اقبالا كلياً حتى حاز فيه قصب السبق وأحكم أصول الفقه كل هذا وهو ابن بضع عشرة سنة فعجب الفضلاء من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة ادراكه .

ذاك ما قاله من ترجموا له في نشأته أما أخلاقه فقالوا انه نشأ في تصوف تام، وعفاف وتأله، واقتصاد في الملبس والمأكل ولم يزل على ذلك خلقاً صالحاً براً بوالديه تقياً ورعاً عابداً ناسكاً صواماً قواماً ذاكراً الله تعالى في كل أمر رجاعاً الى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا وقافاً عند حدود الله تعالى

وأوامره ونواهيه آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر «فارغاً من شهوات المأكل والملبس والجماع لا لذة له في غير نشر العلم وتدريسه ، عرض عليه منصب قضاء القضاة ومشيختي الشيوخ فلم يقبل» وقبل وظائف والده في التدريس وله احدى وعشرون سنة . وكان والده من كبار الحنابلة وأئمتهم ودرس هو بعده فاشتهر أمره وبعد صيته في العالم وما أتى له ثلاثون سنة حتى. كان من أعظم علماء عصره بل أعظم عالم في عصره ، لا تكاد نفسه تشبع من العلم ولا تروى من المطالعة ولا تملُّ من الاشتغال ولا تكلُّ من البحث ، وقل ان يدخل في باب من أبواب العلوم الا وفتح له من ذلك الباب أبواب واستدرك أشياء في ذلك العلم على حذاق أهله .

وكان يحضر المجالس والمحافل في صغره فيتكلم ويناظر ويفحم الكبار ويأتي بما يحار منه أعيان البلد . وشرع في الجمع والتأليف وله نحو سبع عشرة سنة . قال الحافظ الزملكاني : كان اذا سئل عن فن من الفنون ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم ان احداً لا يعرف مثله ، كان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك ، ولا يُعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه اهله والمنسوب اليه . وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين .

وقالوا فيه : وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسي من حفظه فكان يورد ما يقوله من غير توقف ولا تلعثم ، وكذا كان يورد الدروس بتؤدة وصوت جهوري فصيح . وانتهت اليه الامامة في العلم والعمل والزهد والورع والشجاعة والكرم والتواضع والحلم والأناة والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الصدق والأمانة والعفة والصيانة وحسن القصد والاخلاص والابتهال الى الله تعالى وشدة الخوف منه ودوام المراقبة له ، والتمسك

بالأمر والدعاء الى الله تعالى وحسن الأخلاق ونفع الخلق والاحسان اليهم . وكان رحمه الله سيفاً مسلولاً على المخالفين ، وشجاً في حلوق أهل الأهواء والمبتدعين ، واماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين ، طنت بذكره الأمصار ، وضنت بمثله الأعصار » .

وقال الذهبي انه صار من أكابر العلماء في حياة شيوخه ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون اربعة آلاف كراس وأكثر وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع ، وكان يتوقد ذكاء ، وسماعاته من الحديث كثيرة ، وشيوخه اكثر من مائتي شيخ ومعرفته بالتفسير اليها المنتهى وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه مما لا يلحق فيه ، وأما نقله للفقه ولمذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن مذاهب الأربعة فليس له فيه نظير ، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا اعلم له فيه مثيلاً ، ويدري جملة صالحة من اللغة وعربيته قوية جداً وأما معرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب .

قال فان ذكر التفسير فهو حامل لوائه ، وان عدّ الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق ، وان حضر الحفاظ نطق وخرسوا ، واستزيد وأبلسوا واستغنى وأفلسوا ، وان سمي المتكلمون فهو فردهم واليه مرجعهم ، وان لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فلسفهم وبخسهم وهتك أستارهم ، وكشف عوارهم ، وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة ، وهو اعظم من أن تصفه كلمي أو تبينه اشارة قلمي .

وقال في مكان آخر : وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث ، وبالعالي والنازل ، وبالصحيح وبالسقيم ، مع حفظه لمتونه الذي انفرد به ، فلا يبلغ احد في العصر رتبته ولا يقاربه ، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه ، واليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه ان يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله ، غير انه يغترف فيه من بحر وغيره يغترف من السواقي .

وقال أيضاً : كان يقضي منه العجب اذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه . قال : وما رأيت أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه ولا أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة وعين مفتوحة .. ومن خالطه وعرفه قد ينسبني الى التقصير فيه ومن نابذه وخالفه قد ينسبني الى التغالي فيه . وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه واضداده . وكان ابيض اسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره الى شحمة أذنيه كأن عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين جهوري الصوت فصيحاً سريع القراءة تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم .. وقال تعتريه حدة في البحث وغضب تزرع له عداوة في النفوس .

كتب الذهبي الى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق ابن تيمية فأجابه ومن جملة الجواب : واما قول سيدي في الشيخ تقي الدين فالمملوك يتحقق كبير قدره وزخارة بحره وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف والمملوك يقول ذلك دائماً ، وقدره في نفسي اكثر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى وغرابة مثله في هذا الزمان بل من ازمان .

وقال ابن سيد الناس انه برّز في كل فن على ابناء جنسه ، ولم ترعين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه .

وبدأت محنة شيخ الاسلام لما تمت ادواته وشاعت فتاويه في مسائل وجد منها حساده مدخلاً لهم فناقشوه وكفروه وبدّعوه واعتقله الولاة وغرّبوه وكان منذ سنة تسع وتسعين ظهرت شخصيته السياسية في البلاد وبدا تعويل الأمة عليه في دفع اعدائها عنها في نوبة غازان فقام باعباء الأمر بنفسه واجتمع بنائبه وجرأ

على المغول وتوجه بعد ذلك بعام الى الديار المصرية لما اشتد الأمر بالديار الشامية من المغول واستصرخ باركان الدولة وحضهم على الجهاد ثم عاد بعد ايام الى دمشق وظهر اهتمامه بجهاد التتار وتحريضه الأمراء على ذلك الى ورود الخبر بانصرافهم وقيامه القيام المحمود في وقعة شقحب سنة اثنتين وسبعمائة ، واجتماعه بالخليفة والسلطان وارباب الحل والعقد وتحريضهم على الجهاد ثم توجهه في آخر سنة اربع وسبعمائة لقتال الكسروانيين واستئصال شأفتهم ثم مناظراته للمخالفين في سنة خمس في المجالس التي عقدت له بحضرة نائب السلطنة الأفرم وظهوره عليهم بالحجة والبيان ورجوعهم الى قوله طائعين مكرهين . ثم توجهه بعد ذلك في السنة المذكورة الى الديار المصرية في صحبة قاضي القضاة الشافعية وعقدهم له مجلس حين وصوله بحضور القضاة واكابر الدولة ثم حبسه في الجب بقلعة الجبل ومعه اخواه سنة ونصفاً ثم اخراجه بعد ذلك وعقدهم له مجلساً ظهر فيه على خصومه ثم عقدهم له مجلساً سنة سبع لكلامه في طريقة الاتحادية ثم الأمر بتسفيره الى الشام على البريد ثم الأمر برده من مرحلة وسجنه بحبس القضاة سنة ونصفاً ثم اخراجه منه وتوجهه الى الاسكندرية وجعله في برج حبس فيه ثمانية أشهر ثم توجهه الى مصر واجتماعه بالسلطان في مجلس ضم القضاة واعيان الامراء واكرامه له اكراماً عظيماً ومشاورته له في قتل بعض اعدائه وامتناع الشيخ عن ذلك ثم سكناه القاهرة ثم توجهه الى الشام ثم ملازمته بدمشق لنشر العلوم وتصنيف الكتب وافتاء الخلق الى ان تكلم بمسألة الحلف بالطلاق فأشار عليه بعض القضاة بترك الافتاء بها في سنة ثماني عشرة فقبل اشارته دفعاً للفتنة ثم ورد كتاب السلطان بعد ايام بالمنع من الفتوى بها ثم عاد الشيخ الى الافتاء بها وقال لا يسعني كتمان العلم وبقي كذلك مدة الى ان حبسوه بالقلعة خمسة اشهر وثمانية عشر يوماً ولم يزل على عادته من الاشتغال والتعليم الى ان ظفروا له بجواب يتعلق بمسألة شد الرحال الى قبور الأنبياء والصالحين كان أجاب به من نحو

عشرين سنة فشنعوا عليه بسبب ذلك وورد مرسوم السلطان في شعبان من سنة ست وعشرين بجعله في القلعة فأخليت له قاعة حسنة واقام فيها ومعه أخوه يخدمه فكتب في المسألة التي حبس بسببها مجلدات عديدة وظهر بعض ما كتبه واشتهر وآل الأمر الى ان منع من الكتابة والمطالعة واخرجوا ما عنده من الكتب ولم يتركوا دواة ولا قلماً ولا ورقة، وكتب عقيب ذلك بفحم وكان اخراج الكتب من عنده من أعظم النقم وبقي اشهراً على ذلك وأقبل على التلاوة والعبادة والتهجد حتى أتاه اليقين .

هذا مجمل ما قيل في حالة شيخ الاسلام ومع ما حاول اعداؤه ان ينغصوا عيشه دأب في كل زمن على التأليف فألف ثلثمائة مجلد وكلها في الشرع وفي حل مسائل عويصة من الدين تقرأ فيما وصلنا منها مثالاً من علمه النفيس وعمله الذي عقمت القرون ان يأتي رجل بما يماثله . كثرت تآليفه لأنه كان يؤلف من صدره ما حفظ الكتاب والسنة وما دون في شروحهما وما قاله العلماء في تفسيرهما وقد ساعدته كثرة محفوظه وفيض خاطره وسعة بيانه على تدوين حقائق لم يكتب لعالم مثله في موضوعه ولو لم يكن له الا منهاج السنة لكفاه على الأيام فخراً لا يبلى ففيه قليل من علمه وقوة حجته ومعرفته بالملل والنحل واذا قلنا انه لم يؤلف نظيره في الرد على المخالفين لأهل السنة لصدقنا كل منصف من اهل القبلة .

وكتاب منهاج السنة من أصح الشهادات على علو كعبه في معرفة الشرع وما تقلب عليه وما حاول بعض اهل الأهواء من العبث به وفيما أورده الموافقون والمخالفون من صحيح الآراء وبهرجها وكان عنوان مداركه الواسعة بتاريخ الاسلام وتاريخ الملل والنحل ولو ادعينا انه لم يأت عالم يعرف ما طرأ على الدين ومذاهب أهله فيه ساعة ساعة ويوماً يوماً ما قدر احد على ردّ دعوانا .

رد على المعتزلة وعلى الجهمية وعلى الشيعة وعلى الفلاسفة وعلى غيرهم فجاء بالعجيب من الآراء التي استخرجها من روح الشريعة واستنبطها ببعد نظره وشدة بحثه

فما كتب لامام من الأئمة في عصره وبعد عصره ان يناقضه ويرد اقواله .

وعلى كثرة ما حرص الشافعية للتفوق على هذا الحنبلي واقناع العلماء بفتاويهم وتزييف فتاويه ما كانوا معه الا كالأطفال امام الرجال ، وفي مقدمتهم المشايخ بنو السبكي ، وما كان لهم في دولة مصر والشام من السلطان . اعتقلوه في القاهرة والاسكندرية اشهراً لم تمنعه عن التأليف والتدريس والوعظ وما حالوا دون اعجاب المنصفين من العلماء به وقول الحق فيه ولا دون تقديس الأمة له يوم موته وهي التي عرفته سباقاً الى كل خير يقصد منه صلاح دنياها ودينها وكان له في انتصار دولة المماليك على التتار اليد الطولى التي لا تنكر ودل انه في السياسة كما هو في الدين امام عظيم وان الدين لا ينفصل عن السياسة في نظره . وما سمع لأحد علماء الدين في عصره صوت مثل صوته في احقاق الحق ونصرة سلطان الاسلام . ونسبه قوم الى انه يسعى في الامامة الكبرى فانه كان يلهج بذكر ابن تومرت ويطربه فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه . ولم يرض يوم عقد الصلح مع التتار ان يتخلى عن الأسرى من النصارى واليهود فقال انهم ذمتنا ولا بد من ارجاعهم الى ديارهم . وكم له من مثل هذه الحسنات التي اصبحت كأنها قواعد من قواعد الشرع والسياسة لا يستغني عنها خليفة ولا سلطان .

ان استعانة خصوم ابن تيمية بقوة رجال الدولة في مسألة شد الرحال الى قبور الأنبياء والأولياء والصالحين وفي غير ذلك من البدع التي أقروها والشريعة تنكرها انكاراً ظاهراً كما يفهم من آي الكتاب العزيز وهدي الصحابة والتابعين والعلماء العاملين واغتباطهم بما ظنوه ظفراً لهم في تلك المعركة الشديدة قد كان من نتائجه مسخ الشريعة عند المتأخرين وبقيت الامة على اقرار الخرافات والبدع الى يوم الناس هذا في بلاد المسلمين كافة وكأنهم اخترعوا شريعة أخرى استمالوا بها العوام ومزجوها بالشريعة الأصلية رغم أنوف الخواص فركبوا عار

الأبد ولعنوا بما بدلوا وحرفوا - هو لم يأت ببدع وهم سلموا بكل البدع .
فكان العالم العامل حقاً ، وكانوا عبدة أوهام وضلالات . أراد شرعاً نقياً من
الأدران وهم تساوت عندهم النقاوة والنفاية لأنهم يقصدون بمناقشاتهم الظهور
وكسب قلوب الغوغاء على أي حال .

لو عمت دعوة ابن تيمية ، ولدعوته ما يماثلها في المذاهب الاسلامية ، ولكنها
عنده كانت حارة وعند غيره فاترة ، لسلم هذا الدين من تخريف المخرفين على
الدهر ، ولما سمعنا أحداً في الديار الاسلامية يدعو لغير الله ، ولا ضريحاً تشد اليه
الرحال بما يخالف الشرع ولا يعتقد بالكرامات على ما ينكره دين أتى للتوحيد
لا للشرك واسلامة العقول لا للخبال والخيال .

كان ابن تيمية في النصف الثاني من عمره سراجاً وهاجاً أطفأ بعلمه وعمله
شهرة أرباب المظاهر من القضاة والعلماء وكان الصدر المقدم كلما دخل في موضوع
ديني أو سياسي ، وعبثاً حاول بعض الشافعية والمالكية ان يسلموه للعامة علهم
يقتلونه فما استطاعوا اكثر من حجر حريته أشهراً في سجن ، وكان الملوك يحمونه
من تعصت خصومه ويعرفون قدره . وكان الملك الناصر صاحب مصر يرفع من
مقام ابن تيمية كثيراً وأراد أن يقتل من أفتوا بخلعه من العلماء ، وحثه على ان
يفتيه في قتل بعضهم فأنكر ان ينال أحداً منهم بسوء وقال له : اذا قتلت هؤلاء
لا تجد بعدهم مثلهم فقال له : انهم آذوك وأرادوا قتلك مراراً . فقال الشيخ
من آذاني فهو في حل ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه ، أنا لا أنتصر
لنفسي ، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح - وكان قاضي المالكية
ابن مخلوف يقول : ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه وقدر علينا
فصفح عنا وحاجج عنا . فعل هذا ابن تيمية وخصومه يقولون : يجب التضييق
عليه ان لم يقتل والا فقد ثبت كفره . ونحن نقول ان هذا هو الفرق العظيم بين
اخلاقه واخلاق مشاكسيه هم كانوا ممن يهتمون لدنياهم ومظاهرهم وهو كان

يهتم للأخرى فقط وشتان بين المطلبين . فكان يهتم لنشر الدين والقضاء على البدع بقلبه ولسانه وقلمه وهمهم ان يرضى عنهم السلطان فيبقيهم في مناصبهم ويستميلوا العامة فيقبلوا أيديهم .

هو يقول لنائب قلعة دمشق في فتنة غازان : لو لم يبق فيها الا حجر واحد فلا تسلمهم ذلك ان استطعت فسلمت القلعة من أذى التتار وكان يدور كل ليلة على الأسوار يحرض الناس على الصبر والقتال ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط وكذلك كان شأنه في وقعة شقحب وكان يعد المسلمين بالنصر هذه المرة ويؤكد كلامه في ذلك حتى نصروا على عدوهم . وفي قتال الجرديين والكسروانيين ابان أيضاً عن سياسة رشيدة وأرجع بعض الناشزين من أهلها الى الاسلام .

من أهم المسائل التي حاول حساد ابن تيمية ان ينالوا بها منه مسأله شد الرحال الى قبور الصالحين وغيرهم قال ابن كثير ، إن جواب ابن تيمية في هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء الصالحين وانما فيه ذكر قولين في شد الرحل والسفر الى مجرد زيارة القبور . وزيارة القبور من غير شد رحل اليها مسألة وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى ، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل بل يستحبها ويندب اليها وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ولم يتعرض الى هذه الزيارة في هذا الوجه في الفتيا ولا قال انها معصية ولا حكى الاجماع على المنع منها ولا هو جاهل قول الرسول : « زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة » .

ثار عليه مرة جماعة من الحسدة وشكوا منه انه يقيم الحدود ويعزر ويحلق الرؤوس أيضاً وتكلم هو فيمن يشكو منه ذلك وبين خطأهم . وراح مرة في ثلة من اصحابه ومعهم حجارون وأمرهم بقطع صخرة كانت بنهر قلوط تزار وينذر لها فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً . قال ابن كثير وبهذا وأمثاله حسدوه وأبرزوا له العداوة وكذلك بكلامه بابن عربي وأتباعه فحسد على ذلك وعودي ولم يصلوا اليه بمكروه

وانما أخذوه وحبسوه بالجاه . قال ولم يزل الشيخ ملازماً لاشتغال الناس في العلوم ونشر العلم وتصنيف الكتب وافتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة والاجتهاد في الأحكام الشرعية . ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى اليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة وفي بعضها يفتي بخلافهم وبخلاف المشهور في مذاهبهم . وله اختيارات كثيرة في مجلدات عديدة افتى فيها بما أدى اليه اجتهاده واستدل على ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف .

رجل هذا شأنه يكفره القاضي المالكي ويحاول قتله والتعزير عند المالكية القتل ولا تشتفي نفوس بعض العلماء والسياسيين حتى ينادى بدمشق : من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله خصوصاً الحنابلة . وجمعوا الحنابلة من صالحية دمشق وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الامام الشافعي .

قال الصلاح الصفدي كان كثيراً ما ينشدني :

تموت النفوس بأوصابها ... ولم يدر عوّادها ما بها
وما أنصفت مهجة تشتكي ... أذاها الى غير أحبابها

وأنشد على لسان الفقراء (جماعة الطرق) :

والله ما فقرنا اختيار ... وانما فقرنا اضطرار
جماعة كلنا كسالى ... وأكلنا ما له عيار
تسمع منا اذا اجتمعنا ... حقيقة كلها فشار

أبو الريحان البيروني

(٤٤٠)

معنى بيرون بالفارسية خارج والبيروني (بكسر الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وضم الراء وبعدها الواو في آخرها النون) نسبة الى خارج خوارزم فان بها من يكون خارج البلد ولا يكون من البلد نفسه .

بيرون منشأ ابي الريحان ومولده بلدة طيبة فيها غرائب وعجائب ولا غرو فان الدر ساكن الصدف · قال السمعاني وما علمنا هذه الغرائب ولم نعرف عن منشإه وأساتيذه شيئاً وغاية ما انتهى الينا من بعض المظان انه تلميذ ابي نصر منصور بن علي بن عراق (؟) الرياضي المشهور ولعلّ هذا ممن أدرك الاربعمائة من الهجرة ·

سافر البيروني في بلاد الهند أربعين سنة وزادت تصانيفه على حمل بعير رأى ياقوت فهرستها في وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتظ وهي في النجوم والرياضيات والمنطق والحكمة والتاريخ طبع منها بعض علماء الألمان ثلاثة كتب فقط فقرأنا فيها كل مفيد · قال ياقوت انه لما صنف القانون المسعودي أجازه السلطان محمود بن سبكتكين بحمل فيل من نقده الفضي فرده الى الخزانة بعذر الاستغناء عنه ورفض العادة في الاستغناء به وكان رحمه الله مكباً على تحصيل العلوم منصباً الى تصنيف الكتب، لا يكاد يفارق يده القلم، وعينه النظر، وقلبه الفكر، الا في يومي النيروز والمهرجان من السنة لاعداد ما تمس اليه الحاجة في المعاش · وهو أعظم رياضي قام في هذه الملة «لم يشق المحضرون غباره ولم يلحق المضمّرون المجيدون مضماره» ·

دخل عليه أحد اصدقائه وهو يجود بنفسه فقال له : كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة؟ فقلت له اشفاقاً عليه : أفي هذه الحالة؟ قال لي : يا هذا أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة ألاّ يكون خيراً من ان أخليها وأنا جاهل بها · فأعدت ذلك عليه وحفظه، وعلمني ما وعد، وخرجت من عنده وأنا في الطريق فسمعت الصراخ ·

دخل البيروني بلاد الهند مع ابن سبكتكين لما فتحها وأقام بينهم وتعلم لغتهم واقتبس علومهم وفيها الف كتابه الذي لا نظير له في حرية الفكر وانصاف المخالف في الدين والمذهب المعنون بتحقيق ما للهند من مقالة مقبولة في العقل أو مرذولة · وهو من أجل الأسفار التي وضعها علماء الاسلام في الملل والنحل

لم يكد علماء هذا العصر يكتبون مثلها مجردة عن الغرض عند الكلام على المخالف ومن كتبه المطبوعة «الآثار الباقية عن القرون الخالية» وهو في النجوم والتاريخ ألفه للأمير شمس المعالي وبين فيه التواريخ التي تستعملها الامم والاختلاف في الأصول التي هي مباديها وفيه فوائد تاريخية عن ملوك اشور وبابل وكلدة والقبط واليونان والروم . قالوا وكان طيب العشرة خليعاً في الفاظه عفيفاً في أفعاله لم يأت الزمان بمثله علماً وفهماً . وله شعر منحط عن نثره كان يقوله في المناسبات وفيه بذاءة أحياناً وكان على عجمته معجباً باللغة العربية ولم يؤلف في غيرها ويقول ان الهجو بالعربية أحب اليه من المدح بالفارسية .

غاية ما عرف عن البيروني انه فارسي شغف بحب العرب وكان يعد من أئمة اللغة العربية وأدبائها يضاف ذلك الى علومه الكثيرة في الرياضيات والنجوم والتاريخ والملل والنحل . صحب الملوك فأفادهم أكثر مما استفاده منهم وكان على عزوف وزهد لا هم له الا تحصيل العلم وبثه في الناس واعتماده في ذلك على التأليف . ويقول العلامة بروكلمان انه كانت بينه وبين الحكيم ابن سينا مكاتبات كان من مجموعها كتابه الآثار الباقية . ولما فتحت الهند على يد محمود بن سبكتكين درس فيها العلوم اليونانية وأخذ من كنوز العلوم الهنديه .

ولم نعرف جميع أساتذة البيروني ، وخوارزم كانت في عصره دار علم كسائر العواصم الاسلامية الكبرى . والبيروني مثل للأنظار وهو كبير وسكتوا عن نشأته وأساتيذه ، وكان قبل أن يبلغ الكهولة رجلاً مذكوراً بدليل انه كان من جملة رجال صاحب غزنة .

ومن تصفح كتاب الهند والآثار الباقية يدرك مكانة هذا العالم الذي لم يترجم له المترجمون بما يستحقه من التوسع ولعلهم كانوا يفضلون عليه بعض أرباب الحديث والفقه ، وهو الذي أتى أمته بجديد وخدمها فأفاد ولم يستخدمها في مظهر له ولا في طلب دنيا ، هو أحد أفراد نوابغ يعدون على الأصابع

ومن أولئك تعد مئات ولم يبدعوا جديداً ومعظم ما دونوه وتناقشوا فيه لو حذف من الخزائن تعد كأنها لم تفقد شيئاً . اخلص للعلم وما شغف بغيره ؟ وما طلب عن غيره بديلا .

قال البيروني : جل خطر الملوك عن المجازاة بالانتقام

ليس للملك ان يحسد الا على حسن التدبير والسياسة

الملك أقل الناس خوفاً من الفقر وأكثر الناس خطراً وقرباً الى الهلاك ، فليس له ان يبخل ويجبن فان ما قل عنده لا يكثر وما كثر لا يعدم

المنُّ يبطل احسان المحسن

العاقل من استغنى بتدبير اليوم عن تدبير الغد

لا تحقر الأمر الصغير فللأمر الصغير موضع ينتفع به وللأمر الكبير موقع لا يستغنى عنه

ما اجتمعت عليه الألفة والعادة واصطلحت عليه العامة فلا تخالفه

من كفاه التأديب بالكلام لا يؤدب بالسوط والسيف

مدارسة أخلاق الحكماء والعلماء تحيي السنة الحسنة وتميت البدعة السيئة

السنن الصالحة علامات الخير والحق

ابن هندو

ابو الفرج علي بن الحسين

هو من أهل الري لا نعرف ان كان من العرب النازلين فيها أو انه من أصل فارسي وهو من رجال البلاغة كاتب شاعر قالوا كان صاحب ابوة في بلده ولسلفه نباهة بالنيابة وخدمة السلطان هناك وكان متفلسفاً قرأ كتب الأوائل على أبي الحسن الوائلي بنيسابور ثم على الحكيم أبي الخير بن الخمار . وكان احد كتاب الانشاء في ديوان عضد الدولة وقال البندنيجي الشاعر هو

من أهل الري شاهدته بجرجان في سني بضع عشرة وأربعمائة كاتباً بهـا وانه مشهور في تلك البلاد بجودة الشعر وكثرة الأدب والفضل وقال فيه صاحب يتيمة الدهر : هو مع ضربه في الآداب والعلوم بالسهام الفائزة ، وملكه رقة البلاغة والبراعة ، فرد الدهر في الشعر ، وأحد أهل الفضل في صيد المعاني الشوارد ، ونظم الفرائد في القلائد ، مع تهذيب الألفاظ البليغة وتقريب الأغراض البعيدة .

ومن تآليفه « انموذج الحكمة » و « المفتاح » في فوائد علم الطب و « الرسالة المشرقية » و « كتاب النفس » ورسائل وديوان وكتب أُخر . وفي كتاب المفتاح ان متكلماً كان في جواره وصنف كتاباً في ابطال علم الطب وحث تلامذته على درسه فعرض له صداع فبعث تفسرته الى الحكيم ابي الخير فقال الحكيم ابو الخير لرسوله : قل له ضع تصنيفك في ابطال علم الطب تحت وسادتك وضع عليها رأسك فانه لا حاجة لك الى الطبيب والطب . فما عالجه واحد من الأطباء حتى اعترف ببطلان كلامه ومزق تصنيفه وتاب . ثم عالجناه وشفاه الله تبارك وتعالى .

وقال ان أحد المتكلمين في جواره عرض له خناق فعاده فقال له : ما ينفعني من طريق الطب ؟ فقلت له : ينفعك ماء الشعير الفاتر مع ماء الرمانين ورُبّ التوت وخل الجوز وماء الهندباء مع فلوس الخيارشنبر وفصد القيفال (عِرق في اليد) وغير ذلك . فقال : وما يضرني فقلت ما فيه حرارة . فقال : كيف يكون العسل المصفى والعصيدة التمرية ؟ فقلت ، نعوذ بالله ففيهما هلاكك . فقال لتلامذته : أنا اخالف رأي الأطباء عقيدة ومذهباً ، ولا غفر الله لي ان خالفت عقيدتي وأطعت طبيباً . فقمت من عنده فتناول العسل والعصيدة ومات قبل غروب الشمس .

وابن هندو كان على ما ظهر مما قاله المؤرخون فيه عالماً ممتازاً فيما غلب عليه من صنوف الآداب وقعد به الحظ فلم يظهر بالمظهر الذي كان جديراً به من الرياسات والمقامات فكان في الديوان كاتباً دون الدرجات العالية فأثر ذلك في

نفسه وحنق على الدهر والأيام . من ذلك ما حدث به البندنيجي قال كان الناس يظنون بمنوجهر بن قابوس ما كان في أبيه من الأدب والفضل ولم يكن كذلك فلما انتقل الأمر اليه قصد بما يقصد به مثله وكان لا يوصل اليه الا القليل ولا يتقبل ما يمدح به ولا يهش لشيء من هذا الجنس لتباعده عنه وكان مع هذه الحالة فروقة قليل البطش فمدحه ابن هندو بقصيدة وتأنق فيها وأنشده اياها فلم يفهمها ولم يثبه عليها فقال :

يا ويح فضلي أما في الناس من رجل يحنو عليّ أما في الأرض من ملك

لأكرمنك يا فضلي بتركهم واستهينن بالأيام والفلك

فقيل لمنوجهر انه قد هجاك لأن لقبه كان « فلك المعالي » فطلبه ليقتله فهرب الى نيسابور وانفلت منه .

وتحدث ابو الفضل البندنيجي الشاعر قال كان بابن هندو ضرب من السوداء كان قليل القدرة على شرب النبيذ لأجل ذلك واتفق انه كان يوماً عند ابى الفتح ابن ابي علي كاتب قابوس بن وشمكير وأنا معه على عادة لنا في الاجتماع فدخل ابو علي الى الموضع ونظر الى ما كان بأيدينا من الكتب وتناشد هو وابن هندو الشعر وحضر الطعام فأكلنا وانتقلنا الى مجلس الشراب ولم يطق ابن هندو المساعدة على ذلك فكتب في رقعة كتبها اليه :

قد كفاني من المدام شميم صالحتني النهى وثاب الغريم

في جهد العقول سمي راحاً مثل ما قيل للديغ سليم

ان تكن جنة النعيم ففيها من أذى السكر والخمار جحيم

فلما قرأها ضحك وأعفاه من الشرب . وأنشد أبو الفضل له :

قالوا اشتغل عنهم يوماً بغيرهم وخادع النفس ان النفس تنخدع

قد صيغ قلبي على مقدار حبهم فما لحب سواهم فيه متسع

وحدث ابو الفضل هذا قال : كان ابن هندو يشرب يوماً عند ابي غانم القصري ، واقتصر على أقداح يسيرة ثم أمسك فسأله الزيادة فلم يفعل وقال :

أرى الخمر ناراً والنفوس جوهراً　　فان شُربت ابدت طباع الجواهر
فلا تفضحن النفس يوماً بشربها　　اذا لم تثق منها بحسن السرائر

وله أيضاً : تعرضت الدنيا بلذة مطعم　　وزخرف موشي من اللبس رائق
أراد سفاهاً ان يموّه قبحها　　على فكر خاضت بحار الدقائق
فلا تخدعنا بالشراب فاننا　　قتلنا نهانا في طلاب الحقائق

وله : ضعت بأهل الريّ في أهلها　　ضياع حرف الراء في اللثغة
صرت بها بعد بلوغ المنى　　احمد أن تبلغ بي البلغة

وله : اذا ماعقدنا نعمة عند جاحد　　ولم نره الا جموحاً عن الشكر
رجعنا فعفينا الجميل بضده　　كذاك يجازى صاحب الشر بالشرّ

وله أيضاً : وكافر بالمعاد أمسي　　يخلبني قوله الخلوب
قال اغتنم لذة الليالي　　وعدّ عن آجل يريب
طال هواه وجاء يهذي　　طبت لعينيك يا طبيب
أأخطأ العالمون طراً　　وأنت من بينهم مصيب

وله : حلت وقاريَ في شادن　　عيون الأنام به تعقد
غدا وجهه كعبة للجمال　　ولي قلبه الحجر الاسود

وله : الا ربّ مولى غرّني من عهوده　　يمين عليهــا صافحتني يمينه
أكابد منــه ضد ما أستحقه　　فأصدق في ودي له ويمين هو
عجيب لأخلاق اللئام كأنهم　　عن الكرم المعجون في شيمتي نهوا

وله : يقولون لي ما بال عينك مذ رأت　　محاسن هذا الظبي أدمعها هطل
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه　　فكان لها من صوب أدمعها غسل

وقال: قوّض خيامك من أرض تضام بها　　وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كانت الأوطان منقصة　　فمندل الهند في أوطانه حطب

هذه أمثلة جميلة من شعره الذي حوى النكات مع السلاسة والابداع بقي ان ننقل ما أُثر له من النثر فمنه : انما المرء حيث يجعل نفسه • عظّم العلم في ذاتك ، وصغر الدنيا في عينك • واخرج من سلطان شهواتك ، وكن ضعيفاً عند الهزل ، قوياً عند الجد ، ولا تلم أحداً على فعل يمكن ان يعتذر منه ، ولا ترفع شكايتك الا الى من يرى نفعه عندك حتى تكون حكيماً كاملاً • ومن كلماته : العاقل لا يكلف نفسه ما لا يطيق ، ولا يسعى فيما لا يدرك ، ولا ينظر فيما لا يعنيه ، ولا ينفق الا بقدر ما يستفيد ، ولا يلتمس الجزاء الا بقدر ما عند صاحبه من الاستطاعة •

وكانت الحكمة تظهر في شعره يشبه في ذلك المتنبي كثيراً وقد التقط حكم اليونان وجمعها في مصنف سماه « الكلم الروحانية من الحكم اليونانية » اثبت من كلمات الفلاسفة اليونانيين ما يجري مع الأمثال السوائر ، ويدخل في حاذ النوادر ، دون ما يعد من غامض الفلسفة ، ويحصل معناه بعد الكلفة ، فجمع من شواردها ما ساعد عليه الوقت واستحضره الحفظ ، ناسباً أكثره الى قائليه ، وشافياً خفيّه بما يجليه •

بدأ بحكم لأفلاطون وقد استغرقت نحو نصف المجموعة ثم ثناها بارسطاطاليس ثم سقراط ثم بمحاورات جرت بين اريجانس وسقراط ثم كلمات لاميروس فالاسكندر فباسيليوس ففيثاغورس فبقراط فجالينوس فديستانس فزينون فديقوميس ففيلمون فنوموس فاكسانوقراطس فغورس فديمطس فديوجانس الى غيرهم من الفلاسفة غير المشهورين في أدبنا المتعارف •

فمما نقله من حكم أفلاطون : لا تصحبوا الأشرار فانهم يمنون عليكم بالسلامة منهم • وقال لا تقسروا أولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم • وقال : لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فان الناس لا يسألون عن مدة العمل ، وانما يسألون عن جودته • وقال : اذا اقبلت الدولة خدمت الشهوات العقول ، واذا أدبرت خدمت العقول الشهوات •

قال افلاطن : (لغة في افلاطون) لا تكمل خيرية الرجل حتى يكون صديقاً للمتعاديين وقال : اتقوا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع . وقال : موت الرؤساء أسهل من رئاسة السفلة . موقع الصواب من الجهال مثل موقع الجهل من العقلاء . اذا بلغ المرء من الدنيا فوق مقداره تنكرت اخلاقه للناس . لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق منه وأنت لا تدري . وقال : لا تفارق طاعة الرأي والصبر في كل أمورك فانك ان لم تحرز الحظ الذي تبغيه كنت قد أحرزت العذر . قال المؤلف : قد أحسن الشاعر في هذا حيث يقول :

لأبلغ عذراً أو أنال رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وقال موت الصالح راحة لنفسه وموت الطالح راحة للناس . قال المؤلف : قريب من هذا ما يحكى عن غير افلاطن : ابك على العاقل يوم يموت وعلى الأحمق حتى يموت . وقال : الفضيلة تجمع أهلها على المحبة والرذيلة تفرق بين أهلها بالتنافر والبغضة الا ترى ان الصادق يحب الصادق ويستنيم اليه وكذلك الثقة مع الثقة والحسن الخلق مع الحسن الخلق وترى الكاذب يبغض الكاذب والسارق يخاف السارق وكل واحد منهما حذر من مجاورة صاحبه . وقال : المصغي الى الذم شريك لقائله قال بعض الشعراء :

والسامع الذم شريك له والمطعم المأكول كالآكل

وقال : الفقير اذا تشبه بالغني كان كمن به الورم ويوهم الناس أنه سمين وهو يستر ما به من الورم . قال المؤلف : كأن ابو الطيب المتنبي لحظ هذا الكلام حيث يقول :

أُعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وقال ارسطوطاليس : الحكيم الصالح لا يخادع أحداً والعاقل الكامل لا يخدعه أحد . قال المؤلف : ان يكون الانسان مخدوعاً ليس بصفة محمودة لأنه يدخل في باب الغباوة وربما ظن الناس انه صفة مدح لما يسمعون من قولهم الكريم مخدوع : ومن قول الشاعر : ان الكريم اذا ما خودع انخدعا .

ومن قول الآخر :

خادع خليفتنا عنهـا بمسألة ان الخليفة للسؤال ينخدع

وليس الأمر كما يظنون وانما المراد بالانخداع ههنا التكلف مع المعرفة بالخديعة . وقد صرح ابو تمام الطائي بالواجب في هذا المعنى فقال :

ليس الغبيّ بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

وقال : يا اسكندر لا يكونَنّ لجائزتك حد فان ذلك أبسط للأمل فيك .
وقال : يا اسكندر اعمر ما خرب مما أنشأه من تقدمك يعمر ما تبنيه من بعقبك
وقيل لسقراط لمَ لا نرى أثر حزن فيك ؟ قال : لأني لا أملك ما أحزن عليه اذا عدمته . قال بعض الشعراء :

الم ترَ ان الدهر يهدم ما بنى ويأخذ ما أعطى ويفسد ما اسدى

فمن سره ان لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

وقال اوميرس : الكذاب لا يصلح لشيء حتى يصلح الثعلب للذئب . وقال : الانسان الخير أفضل من جميع الحيوان الذي على وجه الأرض والانسان الشرير أخسّ من جميع الحيوان الذي على وجه الأرض . وقال : اني لأعجب من الناس ان مكنهم الله من الاقتداء بالملائكة فيدعون ذلك ويميلون للاقتداء بالبهائم .
قال المؤلف : عندهم ان التفلسف هو الاقتداء بالله تعالى وأن تعلم الحق وتفعل الخير .

ومن كلام باسيليوس الملك : لا تغتر بحسن الكلام اذا كان الغرض منه ضاراً فان الذين يسمون الناس يخلطون السم بالحلاوات ، ولا يصعبن عليك الكلام الغليظ اذا كان الغرض منه نافعاً فان أكثر الأدوية الجالبة للصحة مرة بشعة .

من كلام فيثاغورس ويقال انه أول فيلسوف اجتمعت اليه التلاميذ قال لابنه : أوصيك بعشرة أشياء فاحفظها تسلم : لا تلاح حديداً ، ولا تشارب غيوراً ، ولا تساكن حسوداً ، ولا تجاور جاهلاً ، ولا تناهض من هو أقوى منك ، ولا تؤاخ

مرائياً ، ولا تعامل كذاباً ، ولا تكثر مجالسة النساء ، ولا تصاحب بخيلاً .
والعاشرة هي عمدة الوصية وبها سلامة نفسك الا تستودع سرك أحداً .

من كلام ديستانس الخطيب ، قال : يجب على من اصطنع معروفاً ان يتناساه من ساعته ويجب على من أسدي اليه معروف ان يكون ذكره نصب عينيه .
قال المؤلف : قيل في يحيى بن الفضل :

ينسى الذي كان من معروفه أبداً الى الرجال ولا ينسى الذي يعد

من كلام ديوجانس الكلبي ، والكلبيون فرقة من الفلاسفة يستهينون بالعادات مثل ان يأكلوا في الطرقات ويلبسوا ما اتفق ويناموا حيث اتفق ولذلك شبهوا بالكلاب . رأى ديوجانس غلاماً منبوذاً اي ملقوطاً يرمي بالحجارة . فقال له : لا ترم فلعلك تصيب أباك وأنت لا تدري . قال المؤلف : نقل شاعر من العرب هذا المعنى فقال :

لا تهجون أسنّ منك فربما تهجو أباك وأنت لا تدري

من كلام فندروس قال : كما ان الجسد اذا فارقته النفس فاح منه النتن في الخارج كذلك الجاهل الذي عدم الحكمة لا يخرج من فيه لفظة الا كانت أذى ونتناً على سامعها وكما ان الجسد لا يشعر بما يظهر منه من النتن لأنه ميت كذلك لا يحس الجاهل بنتن كلامه لأنه ميت التمييز .

قيل لسطيحوس ان اوميروس يكذب كثيراً فقال : الذي يُطلب من الشاعر انما هو الكلام الحسن اللذيذ فاما الصدق فانما يطلب من الأنبياء عليهم السلام .

محمد كرد علي

اثر الهند في الثقافة العربية

اذا ذكر العربي الهند ذكر معها الحكمة ، والاتقان في العمل ، والطيب . ولذلك جعلوا اسم (هند) من أسماء بناتهم تفاؤلاً بما يرجونه لهن من الحكمة والاتقان وطيب الأحدوثة . واشتهر من نسائهم بهذا الاسم هند بنت الحرث الكندي عمة امريء القيس الشاعر المشهور، ووالدة عمرو بن المنذر اللخمي ملك العرب في الحيرة قبل الاسلام المعروف بعمرو بن هند [1] ، وهند بنت سهل المخزومية احدى زوجات النبي عليه السلام ، وهند بنت عتبة والدة معاوية بن أبي سفيان [2]، وغيرهن ممن سمين بهذا الاسم كثير جداً .

وكأن الرجال نافسوا النساء على هذا الاسم، فسموا به أيضاً، مثل هند بن ابي هالة التميمي [3] ربيب النبي عليه السلام وأمه خديجة زوج النبي . وكذلك سموا السيف الماضي المتقن الصنعة الهندي . والهندي في لغة العرب أيضاً نوع من العود طيب الرائحة .

كان ذلك في الجاهلية وصدر الاسلام قبل ان يكون اتصال وثيق بين العرب والهند . فلما فتح محمد بن القاسم الثقفي السند سنة ٨٩ اجتمع الشعبان في صعيد واحد وتعارفا وبدأ كل منهما يقتبس من الآخر . ولعل اول ما اقتبس العرب من الهند ـ مباشرة أو بواسطة الفرس ـ لعبة الشطرنج ، فلقد أولعوا بها وعمت بين طبقات الناس في القرن الأول ، وراع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في دمشق انصراف الناس الى الشطرنج وشغلهم بها فكتب

---

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٢٦٥

(٢) الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج ٨ ص ٢٠٣

(٣) » » » » » » » ج ٦ ص ٢٩٣

الى أحد عماله رسالة يأمر بتحذير الناس من الافراط في الاقبال عليها والتلهي بها ، والرسالة من انشاء عبد الحميد الكاتب كتبها عن الخليفة [1] .

وفي ايام بني أمية نبغ من أهل السند شاعر يعد من فحول شعراء العربية اسمه ابو عطاء أفلح السندي كان على جودة شعره يرتضخ لكنة سندية ولا يكاد يفصح لشدة لكنته ، فاذا أراد أن يقول حسن قال هسن او تعشيت قال تأسيت أو شيطان قال سيتان أو جرادة قال زرادة . وكان هواه السياسي مع بني امية فلما انقرضت دولتهم قال :

أليس الله يعلم أن قلبي ... يحب بني امية ما استطاعا

وما بي ان يكونوا أهل عدلٍ ... ولكني رأيت الأمر ضاعا [2]

ولم تكد تنقرض الدولة الأموية وتنتقل الخلافة من بني امية الى أبناء عمهم بني العباس ويتحول مقر الخلافة من دمشق الى بغداد في النصف الأول من القرن الثاني حتى بدأ أثر الفرس والهند واليونان يظهر واضحاً في نواح متعددة من الثقافة العربية . وغرضنا الآن الاشارة الى أثر الهند دون سواه على سبيل الاجمال والايجاز .

نفذ أثر الهند الى جهات عدة من الثقافة العربية كالأدب والطب والحساب والنجوم والتصوف والموسيقى ، وأخذ علماء العرب يعنون بالثقافة الهندية ، فقد وفد على ابي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين وفد من السند سنة ١٥٤ وكان في جملة الوفد منجم عظيم عرف عند علماء العرب بالهندي ، له كتاب في حركات النجوم اسمه السند هند اي الدهر الداهر ، فأمر الخليفة بترجمة ذلك الكتاب الى العربية وان يؤلف منه كتاب تتخذه العرب أصلاً في حركات الكواكب ، فتولى ذلك محمد بن ابراهيم الفزاري [3] .

---

(١) رسائل البلغاء لمحمد كرد علي ص ١٦٠

(٢) الأغاني ج ١٦ ص ٧٨

(٣) اخبار الحكماء للقفطي ص ١٧٧ وكتاب تحقيق ما للهند من مقولة لأبي الريحان البيروني ص ٢٠٨

وفي ذلك الزمن أو قبله بيسير ترجم الى العربية كتاب كليلة ودمنة ترجمه الكاتب العظيم عبد الله بن المقفع عن الفارسية وزاد عليه باب برزويه ، والكتاب من وضع الهند واسمه بالهندية (پنچ تنتر)[١] ونظمه شعراً أبان بن عبد الحميد اللاحقي من شعراء ذلك الزمن . ولا تزال ترجمة ابن المقفع متداولة بين قراء العربية الى الآن . وقد ذكر ابن النديم في كتاب الفهرست ص ٣٠٥ أسماء القصص والاسمار التي ترجمت عن الهندية الى العربية في صدر الدولة العباسية وهي غير قليلة تدل على عناية العرب بالأدب الهندي .

ولا بد من الوقوف قليلاً عند أبان بن عبد الحميد اللاحقي أحد الشعراء المشهورين في صدر الدولة العباسية ، فقد راض الشعر العربي لما لم يرض له من قبل ، نظم كتاب كليلة ودمنة باربعة عشر الف بيت ، وعمل قصيدة اسمها ذات الحلل ذكر فيها مبتدأ الخلق وأمر الدنيا وأشياء من المنطق وغير ذلك ، وعمل قصيدة تشتمل على أحكام الصيام والزكاة[٢] وفي كل ذلك ظاهرة جديدة في الشعر العربي لم تكن معروفة من قبل ، ونرجح ان يكون حاكى في عمله هذا أهل الهند في نظم كتبهم ومعارفهم ، فقد ذكر ابو الريحان البيروني في كتابه الجليل عن الهند ان علوم الهند المدونة في كتبهم منظومة كلها شعراً[٣] .

ويذهب البيروني الى أبعد من ذلك فيقول « ان من الناس من يظن انه من الممكن ان يكون الخليل بن أحمد سمع أن للهند موازين في الأشعار فوضع علم العروض »[٤] .

ولما أفضت الخلافة الى هرون الرشيد ازدادت العناية بالثقافة الهندية وأمر

---

(١) البيروني ص ٧٦

(٢) كتاب الأوراق للصولي [قسم الشعراء] ص ١ و ص ٥١

(٣) البيروني ص ٩ وص ٦١ و ص ٦٥ و ص ١٩٥

(٤) البيروني ص ٧١

باستحضار أطباء الهنود وحكمائهم وكان يفضل طريقتهم في الطب على طريقة اليونان ، وقرب من أطبائهم صالح بن بهلة الهندي وله معه خبر طريف يدل على براعته مذكور في كتاب أخبار الحكماء للقفطي ص ١٤٥ وطبقات الأطباء لابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ٢٤ واستدعى الرشيد من الهند طبيباً يقال له منكه الهندي كان متميزاً بالطب وحسن المعالجة والفلسفة جعله من أطبائه المقربين [١] . وبعث يحيى بن خالد البرمكي مستشار الرشيد برجل الى الهند ليؤلف له كتاباً في مللهم وأديانهم ويأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم [٢] .

وقد ترجم من عهد ابي جعفر المنصور سنة ١٣٦ الى آخر عهد المأمون سنة ٢١٨ عدد وافر من كتب الطب والنجوم والصيدلة والحكمة مذكورة اسماؤها واسماء مؤلفيها ومترجميها في كتاب الفهرست لابن النديم ص ٢٧١ و ص ٣٠٣ وفي كتاب طبقات الأطباء ج ٢ ص ٣٢ و ص ٣٣ و ص ٣٤ .

ويقول القفطي في أخبار الحكماء ص ١٧٥ : « ... مذهب السند هند في علم النجوم هو المذهب الذي تقلده جماعة من علماء الاسلام وألفوا فيه الزيجة .... ومما حصل الينا من علومهم في الموسيقى الكتاب المسمى بالهندية بيافر وتفسيره ثمار الحكمة فيه اصول اللحون وجوامع تأليف النغم ... ومما وصل الينا من علومهم حساب العدد الذي بسطه ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي وهو أوجز حساب واخصره واقربه تناولاً واسهله مأخذاً يشهد للهند بذكاء الخواطر وحسن التوليد وبراعة الاختيار والاختراع » .

وقد تأثر التصوف الاسلامي ـ بواسطة الفرس في اكثر الأحيان ـ بشيء من مذاهب الهند في الرياضة والزهد والتقشف وفلسفة الحياة كما تأثر بعقائدهم

---

(١) طبقات الأطباء لابن ابي أصيبعة ج ٢ ص ٣٣

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٤٥

بعض الفرق الباطنية ممن يقولون بالتناسخ والحلول والاتحاد [١] . وكان ابو العلاء المعري ممن استهواه مذهب الهنود في الرأفة وتحريم قتل الحيوان فعمل به ودعا اليه نحواً من خمسين سنة وفي ديوانه (اللزوميات) طائفة من شعره في هذا المعنى .

وعناية ابي الريحان البيروني بعلوم الهند وفلسفتهم وعقائدهم ومذاهبهم وشرائعهم وعاداتهم وشرح احوالهم تفوق كل عناية ، فلقد رحل الى بلادهم وعاش معهم وأتقن لغتهم ونقل الى العربية خلاصة ثقافتهم وألف في ذلك عدداً من الكتب وصل الينا منها كتابه العظيم « تحقيق ما للهند من مقولة » أحسن فيه غاية الاحسان .

هذه نبذة موجزة في الاشارة الى أثر الهند في الثقافة العربية يصح ان تكون مقدمة لبحث يحيط بهذا الموضوع .

خليل مردم بك

---

(١) البيروني ص ١٠ و ٢٤ و ٢٧ و ٢٩ و ٣١ و ٣٤ و ٤٠ و ٤٣

تحقيقات معجمية

— ٢ —

ت — بَرِح

العربية :

بَرِح الظبيُ : مرّ عن ميامنك فولاّك مياسره ؛ و — الانسانُ برحًا : غضب . يقال : ما أشدّ ما برح فلان على صاحبه . برِح المكانَ ومنه : زال عنـه ؛ و — الخفاء : وضح الأمر ، اي زالت خفيته . برّح به الأمرُ : جهده وآذاه أذًى شديداً ، فهو مبرَّح . برّحت به الحمّى : اصابه منها البُرحاء ، وهي شدتها . برّح الله عنك : كشف البَرح ونفّس عنك . أبرَح فلانٌ رجلاً : فضّله وتعجب منه . وأبرحه : اكرمه واعظمه ، أو صادفه كريمًا . يقال أبرحتَ كرمًا وابرحت لؤمًا : جئت بأمر مفرط . ما أبرحه : ما اعجبه . أبرح : اعجب وبالغ . بارِح . البارح من الصيد ، جاء عن يمينك فولاّك مياسره . ريح بارح : شديدة . البُرَحاء : شدة الأذى والمشقة . يقال : اخذته بُرَحاء الشوق . التباريح : كلف المعيشة بمشقة . وتباريح الشوق : توهجه . البارحة : اقرب ليلة مضت . يقال : كان كذا الليلةَ ، من غدوة الى زوال الشمس . واذا زالت قيل البارحة ، اي الماضية والزائلة . البَراح : المكان الذي لا ستر فيه ولا شجر ، اي الظاهر ؛ و — الأمر البيّن . ومنه : جاء بالكفر بَراحًا ، اي بيّنًا أو جهاراً ؛ و — اسم الشمس ، لانتشارها وظهورها ، اي بزوال خفيتها . لا بَراحَ : لا تحول ولا زوال . بُرحة كل شيء خياره . بَرحي : كلمة تقال عند الخطأ في الرمي ، اي خطأ زائل [1] .

---

(١) اللسان ٣ — ٢٣١ ي ي ، التاج ٢ — ١٢٢ ، Lane ١٨ ي ي .

السريانية :

(ح) Brah : برَح ، اتضح ، لمع ، تلألأ ، شفّ .

Barrah : برّح ، أوضح ، كشف ، صقل ، أبرق ، فضح ، عاب ، ثلم .

Bârôhâ : بارح ، واضح ، سنيّ ، لمّاع ، شفّاف .

Barhâ / Nabrîhâ : خروف ، تيس ، الكبش المتقدّم القطيع [١] .

العبرية :

(خ) Bârah : شقّ ، عبر ، اخترق ، اجتاز ، انصرف ، هرب .

Bâriyah : هارب .

Berîhah : هرَب ، جفل ، فرار .

Beriyah : خشبة عارضة ، مرتاج ، قوة ، سطوة ، حصن [٢] .

الحبشية :

Bareha : برح ، ظهر (الشيء الخفي) .

Barâh : أصلَع .

Berhat : صلَع ، صلعَة [٣] .

الأكدية :

Burûhu : رمح ، سنان .

Berehhu : ساق النبات [٤] .

تنسيق وتعليل

(١) هذا الحرف الثلاثي مشتق من الثنائي « بَرْ » . وقد رأينا ان معاني « بَرْ » هي القطع ، الشق ، الفصل ، الابعاد ، الزوال . فهذه الفكرة الأصلية توسّعت

---

(١) Payne - smith ٦٠٨ ي ، منذ٣ ، ٨١ ، أودو ١ - ١٠٢ ي .

(٢) Robinson ١٣٧ ي ، El - Maleh ١٨٥ .

(٣) Dillmann ٥٠١ .

(٤) Bezold ٢٢٦ ، Robinson ١٣٨ .

في مادة « بَرح » فصدر عن ذلك المداليل التالية الواردة في العربية واخواتها ٠

(٢) من فكرة القطع والشق والخرق جاء في العبرية فعل Bârah : شق ، عبر ، اخترق ، اجتاز ٠ و Beriyah : خشبة عارضة لاجتيازها وراء الباب ٠ من ذلك Barâh في الحبشية ، ومعناها : أصلَع و Berhat الصلَع ٠ لأن الصلَع يعني جز الشعر أو زواله ٠ ومنه في الاكدية Burûbu ، رمح ، سنان ، لخرقه الأبدان ؛ و Berehhu ساق النبات ، لشقه الأصل ونموه ٠

(٣) من القطع والطعن والشق يحصل الأذى الواقع بشدة وعنف ٠ من ذلك ورد في العربية : برَّح به الأمر : آذاه أذًى شديداً ٠ والبُرَحاء والتبريح ٠ ومنه أيضاً الغضب لما فيه من الحدة والشدة ٠ ومن الشدة المبالغة ٠ من ذلك أبرَح بنا : بالغ في ايذائنا ٠

(٤) من الفصل ينشأ السير والمضي والمرور ٠ نحو : بَرح الظبي : مرَّ عن اليمين الى اليسار ٠ ومنه التقدّم ٠ في السريانية Barhâ : الكبش بكونه السائر أو المتقدم القطيع ٠ وفي العبرية Bârah : انصرف ، هرب ٠

(٥) من القطع والفصل يتولد الاختيار ٠ لأن من اختار شيئاً فصله أو ميّزه عن غيره ٠ فجاء : بُرحةُ كل شيء خياره ٠ هذه بُرحة من البُرَح : الناقة اذا كانت من خيار الإبل ٠ ومن الاختيار ينشأ التفضيل والاكرام ٠ من ذلك : أبرح فلاناً : فضّله واكرمه وأعظمه ٠

(٦) من القطع والفصل يصدر الابتعاد والزوال ٠ فجاء برح عن مكانه : زال عنه ٠ وأبرحه عن المكان : أزاله عنه ٠ ثم : لا بَراح ، اي لا تحوّل ولا زوال ٠ هذه فعلة بارحة : زائلة ٠ بَرَحى : كلمة تقال عند الخطأ في الرمي ، اي خطأ زائل ٠ الليلة البارحة : الماضية أو الزائلة ٠

(٧) من باب السلب ، زوالُ الشيء يدلّ على ظهور غيره ٠ ولذا ورد برَح الأمرُ : ظهر ، وضح ، اي زالت خفيته ٠ البَراح : المكان الذي لا ستر فيه

ولا شجر، أي الظاهر . البَراح : الأمر البيّن . البراح : الشمس، لظهورها وانتشارها، اي لزوال خفيتها . ثم جاء في الحبشية Bareha : برح، ظهر . وفي السريانية : Brah : برح، اتضح، لمع . و Barrah : برّح، كشف، أبرق، فضح، هتك .

ث : بَرَدَ والبريد

العربية :

بَرَدَ : زالت حرارته؛ و — الماء : ازال حرارته؛ و — الماء : مزجه بالثلج؛ و — الليلُ القومَ، و — عليهم : أصابهم بَرْدُه؛ و — عينَه بالكحل : سكن ألمها به؛ وبردت العين بالبَرود : كُحلت به فسكن ألمها؛ وبرد الخبزَ بالماء : صبّ عليه الماء فبلّله؛ و — فلانٌ : فتر؛ و ضعف عن هزال أو مرض؛ و — نام؛ و — مات؛ و — لي على فلان حق : وجب ولزم؛ و — السيفُ : نبا، ضعف، كلّ؛ و — الحديدَ : سحله؛ و — الخشبةَ بالمبرد؛ نحتها؛ و — مضجعُه : سافر؛ و — أرسل .

بَرُد الماء : زالت حرارته؛ و — حقي عليه : ثبت ووجب؛ و — الأرضُ : أصابها البَرَد؛ وبُرِدت الأرضُ : أُمطِرت البَرَد .

أبرَد له : سقاه البارد؛ و — فلاناً : أرسله بريداً؛ و — دخل في البَرْد أو البرَد . أبرِدوا عنكم من الظهيرة : لا تسيروا حتى ينكسر حرّها ويبوخ .

ابترد : اغتسل بالماء البارد . استبرده : عدّه بارداً؛ واستبرد عليه لسانه : ارسله عليه كالمبرد . البارد : غير الحار؛ و — كل ما كان محبوباً مستطاباً؛ و — من العيش : الهنيء الطيّب، الحجة الباردة : الواهنة؛ الغنيمة الباردة : التي تأتي عفواً بغير اصلاء نار القتال . البُرادة : السُحالة، أو ما سقط من المبرود أو المسحول، عند سحله، سواء كان من الفضة، أو الذهب، او الحديد . البَرَد : حبّ الغمام؛ ومجازاً : الأسنان الشديدة البياض . البَرْد : عكس

الحر ؛ و — النوم ؛ و — الموت ؛ البَرْدة : التخمة ، المِبْرَد : آلة سحل الحديد وغيره [١] .

السريانية :

Brad : بَرد ، سَحل ، خرط ، خبط ، سحق .

Barrèd : كثّر ، وفّر ، نوّع .

Abrèd : قطع ، منع ، أوقف : جمّد ، جعله بارداً .

Bardâ : برَدٌ ، حبّ الغمام ، بَرْدٌ ، قرّ .

Bârdâ : أبرَدُ ، مخطّط .

Burdâ : بُرْدٌ ، ثوبٌ مخطّط .

Barîdâ : بريد ، رسول [٢] .

العبرية :

bârad : برَدت السماء ، تبدّد ، تشتّت .

barôd : مخطّط ، مبقّع ، ملوّن .

الارمية :

berad : بَرَدٌ .

السبئية : بردم : برَدٌ [٣] .

تنسيق وتعليل

(١) هذا الثلاثي صادر عن الثنائي « بَرْ » الدال ، كما رأينا ، على القطع ، والفصل والإبعاد . ومن أنواع القطع ، قطع الحركة . ومن ضروب الحركة

(١) التاج ٢ – ٢٩٧ ي ي ، اللسان ٤ – ٤٨ ي ي ، الصحاح ٢ – ٢١٢ ي . Lane ١٨٣ ي ي .

(١) معجم Brockellmann (سرياني – لاتيني) ٢٥ ، منّا ٨٠ . معجم القرداحي (سرياني – عربي) ١ – ١٣٩ .

(٣) Robinson ١٣٥ ، معجم المالح (عبري عربي) ص ٦٦ .

حركة الحرارة . فمن انقطاعها ، أو سكونها ، او خمودها ينجم ما نسميه البرْد . ومرادفه « القُرّ » . وهذا عينه ناشئ عن القرار او السكون [١] . وبهذا تدرك جميع المداليل لهذا الثلاثي المراد بها البَرْد أو البَرَد . من ذلك بُرِدت الأرض : أمطرت بَرَداً ؛ وفي العبرية bârad : بُرِدت السماء ؛ وفي الإرمية berad : بَرَدٌ ؛ وفي السبئية « ب ر د م » بَرَدٌ .

(٢) من السكون ، أو انقطاع الحرارة ، أو البَرْد جاء « بَرَدَ » دالاً على النوم والموت . لأن في النوم انقطاع الحرارة وقتياً ، وفي الموت زوالها زوالاً تاماً [٢] .

(٣) ثم ورد بين معاني « بَرَدَ » مدلول الفتور ، والضعف ، والهزال ، لأن في ذلك مفهوم انقطاع الحرارة أو العافية .

(٤) اذ كان في « البَرْد » معنى القرار والثبوت ، أي عدم الحركة ، قيل في العربية : بَرَد لي على فلان حق ، اي ثبت ووجب ولزم [٣] .

(٥) اذا بردت المعدة تعسّر عليها استمراء الطعام وهضمه . ولذا سميت التخمة بَرَدَة .

(٦) من لون البَرَد ، أو حبّ الغمام ، وهو لون البياض ، سميت ، من باب المجاز ، « بَرَداً » الأسنانُ الشديدة البياض [٤] .

(٧) من البرودة تنشأ الراحة والرفاهية في البدن ، من ذلك تسكين الآلام . ولهذا أيضاً اطلقوا كلمة « البارد » على كل ما يُحبّ ويستطاب . واذ كان البرْد سكوناً وعدم عناء ، قالوا : غنيمة باردة ، أي تأتي عفواً بغير اصلاء نار القتال .

(٨) من فكرة القطع جاء abrèd ، في السريانية ، دالاً على : قطع ، منع ، أوقف ، جمّد . وفي كلمة barda : ثوب أبرَد : مخطّط ، اي مقطّع بالخطوط .

---

(١) المصباح ١ – ٣٨٦ ي .
(٢) اللسان ٤ – ٥١ و ٥٢ .
(٣) الأساس ١ – ٢٣ .
(٤) البستان ١ – ١٢٧ .

وكذلك burda . ومنه البُرْد والبُردَة ، في العربية بعين المدلول[١] .

(٩) من انواع التقطيع السَحْل ، وهو البَرْد ، أي سحق المعادن المختلفة ، كالذهب ، والفضة ، والحديد ، سحقاً يجعل مادتها ذرّات . من ذلك يقال في العربية : بَرَدَ : سحل ؛ وفي السريانية brad : سحق ، سحل ، خبط . ومنه : استبرد عليه لسانه : أرسله كالمبرَد[٢] ، والبُرادة : السحالة ؛ والمبرود : المسحول . ومن انواع البرْد النحت . فورد : بَرَدَ الخشبة : نحتها .

(١٠) من نتائج البَرْد تكثير مادة السُحالة . من ذلك في السريانية barrèd : كثَّر ، وفرَّر نوَّع ؛ وفي العبرية barad : تشتَّت ، تبدَّد .

(١١) من القطع والفصل ينجم الابعاد ؛ ومنه الارسال . لذلك جاء في العربية : بَرَد وأبرَد : أرسل . ومنه البريد : الرسول ، وجمعه البُرُد : الرسل[٣]

أصل كلمة « بريد »

لقد تضاربت ، واي تضارب ، آراء أهل اللغات من عرب ، ومستعربين ، ومستسيمين ، في أصل لفظة « البريد » . لذا نبسط اولاً اقوالهم ، ثم نرى اي رأي يسوغ ابداؤه في ذا الشأن .

بين لغويي العرب من يقول بأنها عربية النجار ، ومنهم من يزعم انها فارسية الأصل . فنجتزئ ، للدلالة على المذهبين ، بايراد ما جاء في صبح الأعشى في صدد ذلك[٤] قال : « ثم اختلف فيه (البريد) . فقيل انه عربي . وعلى هذا ذهب الخليل الى انه مشتق من بردت الحديد اذا ارسلت ما يخرج منه . وقيل من أبردته اذا ارسلته . وقيل من برَد ، اي ثبت . لأنه يأتي بما تستقر عليه الأخبار . يقال اليوم بارد سمومه ، اي ثابت »[٥] .

---

(١) اللسان ٤ – ٥٣ ي . (٢) الأساس ١ – ٢٣ .
(٣) القاموس ١ – ٢٧٧ . (٤) صبح الأعشى ، للقلقشندي ١٤ – ٣٦٧ .
(٥) اللسان ٤ – ٥٣ ، سر الليال ، الشدياق . ص ١٤١ ، المصباح ١ ٥٥ .

«وذهب آخرون الى انه فارسي معرَّب . قال ابو السعادات بن الأثير في كتابه النهاية ، في غريب الحديث : واصله بالفارسية «بُرِيدَه دُم» ومعناه مقصوص الذنب . وذلك ان ملوك الفرس كانت من عادتهم انهم اذا اقاموا بغلاً في البريد قصوا ذنبه ، ليكون ذلك علامة لكونه من بغال البريد»[١] .

اما المستشرقون فلا يقبلون لا بعربيتها ولا بفارسيتها . فمنهم من يزعم انها من veredus الكلمة اللاتينية ، الدالة على بغل البريد[٢] . ومنهم من يدعي كونها من pferd اللفظة الألمانية ، وهناك من يظن ان veredus اللاتينية آتية من اللغة القلطية[٣] ، اخيراً هناك فريق يرتئي انها من العبرية féred ، اي البغل[٤] .

أما التأريخ فيدلنا على ان منظمة البريد قد وجدت منذ القديم عند الشعوب المتمدنة من مصريين ، وبابليين ، وأشوريين ، وفرس ، ويونان ، ورومان ، وعرب[٥] . على ان طريقة المخابرة قد بدأت طبقاً لمجرى الطبيعة . فكانت المراسلات تتم على يد رجال سعاة يمشون على الأقدام بسرعة غريبة . ثم تطورت متدرجة في الرقي ، فاستخدمت لذلك الدواب على اختلاف انواعها ، من بغال ، وحصن ، وجمال . ثم في عصور الدول العظمى ذات العاهليات الضخمة ، اتخذ الملوك

---

(١) التاج ٢ — ٢٩٨ ، سرّ الليال ، للشدياق ص ١٤١ ، البستان ١ — ١٢٧

(٢) La Syrie à l'époque des Mamlouks , par Gaudefroy - Demombynes , p 239 .
La poste aux chevaux dans l'émpire des Mamlouks , par Sauvaget , p 1 .
Encyclopedie de l'islam , Hartman , sous Barid , I , p 675 .

(٣) المعجم الدثيني ١ — ١٥٠ .
Point de vue sur l'impérialisme romain , par Jérôme Carcopino , p . 237 .

(٤) معجم Gesenius - Buhl (عبري ألماني) ٦٥٧ .

(٥) Larousse du XX^e siècle : T . 5 , p . 736

والحكومات وسيلة الإسراع في هذه المنظمة، باقامة مراحل، او سكك مرتبة فيها الدواب، ليركبها الرسل حال وصولهم، فيتابعوا السير دون توقف [1] .

أما العرب فقد عمدوا بادئ بدء الى الوسائل العادية لايصال الأخبار، اي على يد السعاة او الرسل المشاة، ومنهم العدّاؤون، ثم بواسطة الركبان الذين كانوا يقطعون المسافات الطويلة قياماً بهذه المهمة . وبعد اتساع ملكهم بالفتوح، كان معاوية أول الخلفاء الذين أنشأوا منظمة البريد، حسبما كانت جارية عند الروم البيزنطيين، خلفاء الرومان القدماء، الذين كان قياصرتهم العظام قد وضعوا نظامها الكامل، كما ان العباسيين واصلوا استخدام هذه الوسيلة احتذاءً للفرس الذين كانوا قد سبقوهم في تأسيس هذه المنظمة للمخابرة بين ملوكهم والولاة [2] .

هذا الذي نعرفه من الناحية التاريخية . فلنبحث الآن عن اصل الكلمة من حيث الاشتقاق .

رأينا ان المادة الثلاثية « بَرَدَ » مشتقة من الثنائي « بَرْ » وبدله « فَر » . وكلاهما يدلاّن على القطع والفصل، ومن ثَمّ على الابعاد والاسراع . وقد توسعت هذه الفكرة في الثلاثي، بصورتيه وهما « بَرد، وفرَد » الواردين في اللغات السامية . وقد مر بنا بسط معاني « برَد » . أما « فرَد » فهذه مداليلها . في العربية « فرد » عن الشيء : اعتزل وتنحى . وأفرد الشيء : عزله . وأفردَ رسولاً : جهّزه وبعثه [3] . ومثله : « فرَط » : سبق وتقدم . وفرط اليه

Dictionnaire des antiquités , Tome . I , partie II , (١) p. p. 1645 - 1672 .

(٢) التعريف، للعمري، ص ١٨٤ ي، ي، الخطط للمقريزي ١ - ٢٢٦ . التمدن الاسلامي، لجرجي زيدان، ج ١ ص ٢٢٠ ي، ي .
المعلمة الاسلامية (بالفرنسية) ١ - ٦٧٥ ؛

(٣) البستان ٢ - ١٧٩٢ .

رسولاً : قدّمه وأرسله . وفرَط عليه : عجّل وعدا . وأفرط اليه رسولاً : أرسله . وافرط فلان : أعجل في الأمر . وتفرَّط الفرسُ الخيلَ : تقدّمها . وتفارط القومُ : تسابقوا . « الفُرُط » : الأمر المجاوَز فيه الحد . و « الفُرُط » : الفرس السريعة التي تتفرّط الخيلَ ، اي تتقدّم[١] . وفي العبرية Farad : قسّم ، جزّأ ، فصل ، فرّق . و fèrèd : بغل ، و firdah : بغلة[٢] . وفي السريانية frad : فرَد ، اعتزل ، فرّ ، تفرّق[٣] . و frat : شقّ ، مزّق ، فرّط ، نثر[٤] . وفي الاكدية Paradu : اهتزّ ، ارتجف ، ارتبك ، عجّل ، أسرع . و piridu أو purîdu : سريع ، مستعجل ، ساعٍ ، رسول[٥] .

أول لغة ظهر فيها معنى الفصل ، والاسراع ، والارسال هي الاكدية . وأما fèrèd العبرية الدالة على البغل ، فقد اطلقت على هذا الحيوان لسرعته في السير[٦] . وقد وافق ذلك معاني « فرد ، وفرط » في العربية . من ذلك « فرَط » المراد به السرعة ، والتقدّم ، والسبق ، وارسال الرسول . وكذلك « أفرد » رسولاً : جهزه وبعثه . ومنه ايضاً « الفُرُط » الفرس السريعة .

بناءً على هذا نظن ان تطوّر معاني هذه الألفاظ بدأ بمدلول القطع ، والفصل ، والابعاد ، في الثنائي « برّ » أو « فرّ » ، وتوسع في الثلاثيات « برد ، وفرد ، وفرط » ، ومن فكرة السرعة ، والتقدم ، والسبق ، انتقل الى فكرة الارسال . من ذلك الرسول الماشي او الساعي ، ثم الى فكرة الراكب ، وما يركبه الرسول ، اي الدوابّ ، من بغال ، او حصن ، او جمال ، او مركبات ، ثم الى المسافة التي يقطعها الرسول ، والى المراحل التي ينزلها لتغيير المركوب[٧] .

لذلك نرى الأقرب الى الصحة ان اللفظة سامية ، مبدأ اشتقاقها من الثنائي « برْ أو فرْ » ثم من الاكدية ، ومن هذه اللغة تطرّقت الى العبرية ، والعربية ،

(١) أقرب الموارد ٢ - ٩١٧ ي .
(٢) معجم المالح ، ص ٣٣٠ .
(٣) منّا ، ٦٠٦ ي .
(٤) أودَو ٢ - ٣٢٦ .
(٥) Bezold ٢٢٦ .
(٦) Gesenius ٢ - ١١٢٤ .
(٧) المصباح ، ٥٥ .

والسريانية. ومن اللغات السامية انتقلت الى الألسنة الآرية، كالفارسية، واليونانية، واللاتينية. ومن اللاتينية دخلت اللغات الجرمانية والقلطية وغيرها.

وفي العربية ذاتها، يظهر لنا ان الفعل «بَرد وأبرَد» بمعنى أرسل، قد ورد قبل «البريد» الدال على الرسول، اي ان هذه اللفظة، وهي تعني الرسول، او دابة الرسول، مشتقة من الفعل، ولم يشتق منها الفعل ارتجالاً، اشتقاقه من اسم عين أجنبي. فقد ورد في الحديث: «اذا أبردتم اليّ بريداً، فاجعلوه حسن الوجه، حسن الاسم». البريد الرسول، وابراده ارساله. وقد قال بعض العرب: «الحمّى بريد الموت». اراد انها رسول الموت تنذر به. وفي الحديث أيضاً: «لا أخيس بالعهد، ولا احبس البُرْد» اي لا أحبس الرسل الواردين عليّ[1].

أما الفارسية البهلوية ففيهـا كلمة «بريد» دالة على الساعي والرسول. و«بَريدَن» بمعنى أرسل رسولاً. وفيها كذلك «بُريدَه دُم»: مقصوص الذّنب. بيد ان المعنى الأول هو الأصلي والطبيعي، ولا الثاني البائن انه من متخيلات أهل المعاجم العربية.

على ان هذه المفردة لم تكن معروفة، على ما يلوح لنا، عند الفرس الأقدمين، اي زمن داريُس وأحشويرُش اللذين أنشئت، في عهد دولتها، اي نحو القرن الخامس ق. م، منظمة البعث بالتحارير والمراسيم والأخبار، كما يبين من سفر استير العبري الذي نجد فيه مطلقة على خيل السعاة والرسل اللفظة الدخيلة من فارسية ذاك العصر، وهي Ahasteranîm، المحتمل اشتقاقها من كلمة H'satra: مملكة، فتكون دلالتها «الخيل الملوكية»[2].

هذا وفي السفر المذكور عينه يدعي السعاة في العبرية rasîm وفي السريانية rahhaté. وكلاهما يطلق على الركاضين، أو العدّائين[3].

---

(١) اللسان ٤ – ٥٢.

Persian - English dictionary, by F. steingass, p. 182 (٢)
Critical and exegetical commentary on the book of Esther by L. B. Paton p. 273.

(٣) سفر استير، بالعبرية ٨ : ١٠، ترجمته بالسريانية ٨ : ١٠.

على ان هيرودتس قد ذكر في تأريخه كلمة aggarios المراد بها الخادم ، المسخَّر ، الساعي ، الرسول ، من فعل aggareuo سخّر[١] ، ويقابلها في اللاتينية angarius : ساع ، رسول ، والفعل angario : سخَّر للنقل في العجلات . وقد نسبها الى الفرس[٢] .

أما veredus الدالة في اللاتينية على دابة البريد ، و veredarii : رسل البريد ، فقد كانتا متعلقتين بالمصلحة العامة للنقليات والمراسلات المدعوة عند الرومانيين cursus publicus . ومن جملة ارباب الوظائف فيها كان magister officiorum : ناظر الوظائف ، و stationnarii : اصحاب المراحل ، أو المنازل ، و angarii سعاة الدولة[٣] .

أما هذه الكلمة veredus ، التي يقابلها في اليونانية beredos – كما ان veredarius تنظر اليها beredarios – فالظاهر ، على رأي الاستاذ Juret ، في معجمه للأصول اللاتينية واليونانية ، انها دخيلة من لغة غير معينة[٤] وأما اللفظة الجرمانية pferd « بغل » ، وكذا القول عن القلطية ، فتشهد المعاجم انها مأخوذة عن اللاتينية ، وليس بالعكس[٥] .

الخلاصة ، يلوح لنا ، مما بسطناه ، ان كلمة « بريد » ليست من اللاتينية ، او اليونانية ، ولا من الفارسية ، بل هي عربية مشتقة ، على وزن فعيل بمعنى مفعول ، من « بَرَدَ وأبرَدَ » : أرسل رسولاً أو بريداً ، لا بل هي سامية الأصل أسّها الثنائي « برْ » أو « فرْ » ، وقد وردت بما يشبه المعنى المطلق عليها ، في الاكدية والعبرية .

(يتبع) الأب مرمرجي الدومنكي

(١) تأريخ هيرودوت ٨ – ٩٨ .
Greek - English lexicon , by E. A . Sophocles, p . 94 . -
Diction . des antiquités , T . I , p . 1658 s .
(٢) Dictionnaire latin - français , par F . Gaffiot , p . 125
(٣) Diction . des antiquités , T . I . p . 1652 .
(٤) Dictionnaire ètymologique grec et latin , par A . Juret , p . 252 .
(٥) Dictionnaire allemand - français , par schuster, p. 676

المدرسون تحت قبة النسر

تمهيد

اقترح علي صديقنا العلامة خليل مردم بك أن أنشر ما كتبه جدي الاستاذ الكبير الشيخ عبد الرزاق البيطار في تاريخه : (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) فيمن جلس للتحديث في الجامع الأموي تحت قبة النسر ، فلبيت شاكراً ، ورأيت ان امهد بكلمة في التعريف بهذا التاريخ المخطوط فأقول :

ان هذا التاريخ يقع في مجلدات ، ويبلغ نحو (١٨٠٠) من الصفحات بالقطع المتوسط ، وقد كتبه مؤلفه في أدوار من عهود شبابه وكهولته وشيخوخته ، وترجم فيه ايضاً لطائفة من رجال القرن الرابع عشر وهم احياء ثم ترك الكتابة والتصحيح فيه قبل وفاته بأكثر من عشر سنين ، لما اضر بيده اليمنى من الأمي والشلل القليل ، الى ان توفاه الله تعالى سنة ١٣٣٥ ، وقد ترجمه الاستاذان الجليلان محمد كرد علي في مجلة المجمع والزركلي في الأعلام ونشر كاتب هذه السطور له ترجمة مفصلة في مجلة المنار (م ٢١ ص٣١٧ — ٣٢٤) .

وقد وقع للمرحوم تساهل في ذكر بعض من لا يستحقون الذكر ، كما أنه ترجم بعض الرجال في اواخر سني تحصيلهم ، او اوائل ظهور فضلهم ، ولم تذكر أعمالهم من بعد ان خاضوا في بحران المعترك الديني أو العلمي ، ودعوا الى الاصلاح الاجتماعي او القومي ، وكانت لهم فيه اعمال مشكورة ، وتآليف مشهورة ، كشيخنا القاسمي صاحب التفسير الكبير ، والمؤلفات المطبوعة ، والزهراوي الشهيد منشئ جريدة (الحضارة) ، ومؤلف « خديجة أم المؤمنين » . والمؤرخ الكبير

رفيق بك العظم الذي اشتهر بأجل مصنفاته : (أشهر مشاهير الاسلام) ، وكغير هؤلاء ، ثم اعجزه الشلل اليدوي عن وصفهم في طور حياتهم الأخير ، وجهادهم العلمي والقلمي العظيم ، كما ارّخ كثيراً ممن ليس لهم آثار تذكر ، كترجمته لبعض اهل الطرق المعروفة ، ونقله بعض ما يأثرونه من حكايات عجيبة ، او امور مبتدعة ، ليست في كتاب ولا سنة ، وإنما جارى فيما يحكيه العصر الأول الذي نشأ فيه ، وقد سبقه الى مثله المؤرخون كالأمين المحبي في اعيان القرن الحادي عشر ، والسيد المرادي في اعيان القرن الثاني عشر ، فقد ترجم الأول لأول رجل في خلاصة الأثر وهو آدم الرومي فقال : احد خلفاء العارف بالله تعالى جلال الدين الرومي المعروف بمنلا خدادنكار ، وكان شيخ زاويتهم المعروفة بمدينة الغلطة ، ووصف الثاني اول مترجم في سلك الدرر فقال في ترجمة ابراهيم الخلوتي : واخذ عنه الطريق (اي عن اخي المترجم ابي الصفا) وعن العارف السيد غازي الحلبي الخلوتي المشهور خليفة الشيخ إجلاص ، وجلس على سجادة المشيخة وبايع واشتهر ، وعقد الاختلاء في جامع المرادية بدمشق اه . المراد منه وهذا النمط من التعريف مستفيض في كتب التراجم والتاريخ .

وكان أذن لي المرحوم في اختصار تاريخه « الحلية » والتصرف فيه على وفق ما أرتئيه ، وقد استشرت افاضل اصدقائه بعد وفاته في ذلك فمنهم من اشار باختصاره ، ومنهم من رأى إبقاءه على حاله ، والاعتذار عن المؤلف في كل ما يظهر فيه مجال للنظر ، او موضع للنقد ، ولكل وجهة ، ثم رأيت ان اجمع بين الرأيين بابقاء الأصل على حاله ، واختصاره بكتاب اسميه (المختصر من حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) من دون تصرف في الأصل بزيادة او نقص او تغيير ، وأميز زياداتي واقوالي بعزوها الي .

وقد فرغت من اختصاره في ثلاثة مجلدات سنة ١٣٦٢ هـ — ١٩٤٣ م .

(خلاصة تاريخ المسجد الأموي)

ذكر مؤرخ الشام الحافظ الكبير علي بن الحسن بن عساكر المتوفى سنة ٤٩٩ في باب ما ذكر في بناء المسجد واختيار بانيه موضعه على سائر المواضع ، ناقلاً عن عبد الرحمن بن ابراهيم أنّ الوليد بنى كل ما كان داخل حيطان المسجد ، وزاد في سمك الحيطان ، وبنى قبة المسجد ، فلما استقلت وتمت ، وقعت ، فشق ذلك عليه ، الى آخر ما جاء في قصة بناء المسجد وقبة النسر [1] .

وقال النعيمي (المتوفى سنة ٩٢٧) : ويشتمل هذا الجامع في وقتنا على تسعة ائمة ، وثلاثة وسبعين متصدراً لإقراء القرآن ، وعشرين سبعاً ، واحدى عشرة حلقة للاشتغال بالعلم ، والصرف عليها من مال المصالح ، وثلاث حلق للاشتغال بالحديث . وذكر النعيمي ايضاً في تحفة الطالب وارشاد الدارس خلاصة تاريخ الجامع الأموي ، وما عرض له من الحرائق والتجديد حتى عصره .

واما الأستاذ بدران (المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ) فقد بسط الكلام على الجامع الأموي في كتابه منادمة الأطلال ومسامرة الخيال (ولما يطبع) ونقل عمن تقدمه من المؤرخين خلاصات في وصفه وتاريخه ، وخرابه وتجديده ، وقال : ثم في ايامنا (سنة ١٣١١) احترق الجامع ، ولم يبق فيه شيء من الآثار القديمة ، واعيد بناؤه على الحالة الحاضرة اليوم ، جعله الله عامراً مدى الأيام اهـ .

واقول : إن العالم السيد علي الألوسي كان نظم قصيدة اثر حادثة الحريق سنة ١٣١١ هـ قبل تعميره وإعادته ، وكتب اليّ كتاباً من بغداد (مؤرخاً في ١٠ رجب سنة ١٣٣٣) بعد عودته من دمشق صحبة علامة العراق ابن عمه السيد محمود شكري (رحمهما الله تعالى) يقول في ختامه : فرأيت ان أقدم اليكم صورتها (اي القصيدة) إذ يكون لها مساس لمن يشتغل بالتاريخ ومن ابياتها :

---

(١) انظر ج ١ ص ٢٠٣ من تاريخه طبع دمشق سنة ١٣٢٩ هـ .

الله من نوب الزمان فكم لها | من فاجعات أعظمت وقعاتها
بالجامع الأموي قف متفكراً | في حادث عم الورى بجهاتها
نار تطاير بالقلوب شرارهـا | وتصاعد الزفرات من زفراتها
يا جامعاً جمع المحاسن إذ غدا | للشام شامتها وعين حياتهـا
قد كنت مجتمع الفضائل والتقى | في المسلمين لدرسها وصلاتها
ولطالما قصدت اليك اولو النهى | تبغي الأسانيد العلا برواتها

ثم ختمها بهذا البيت الواعظ :

وكذا الزمانُ مسرّة ومساءة | هذي الحياة وهذه حالاتهـا

(محدثو دار الحديث الأشرفية وقبة النسر)

عرفت الشام من الصدر الأول بأنها بلد السنة ، فمسند الشاميين ـ أي الصحابة الذين نزلوا الشام ـ هو جزء كبير من مسند الإمام احمد المطبوع [1] ، ويجده المطالع في الجزء الرابع منه ، وبالأسانيد المتصلة بهؤلاء الشاميين وغيرهم من الصحابة الذين تفرقوا في الأمصار اخرج الأئمـة الحفاظ احاديثهم كالبخاري (المتوفى سنة ٢٥٦) ومسلم (٢٦١) واصحاب السنن والمسانيد والمعاجم والجوامع ، وعنهم اخذ أئمة الرواية والدراية مدرسو دار الحديث الأشرفية بدمشق كابن الصلاح (المتوفى سنة ٦٤٣) وابن شامة (٦٦٥) والنواوي (٦٧٦) وابن الوكيل (٧١٦) وابن الزملكاني (٧٢٧) والحافظ المزي (٧٤٢) وعلم الدين البرزالي (٧٣٩) والحافظ الذهبي (٧٤٨) والتقي السبكي (٧٥٦) والحافظ ابن كثير (٧٧٤) وابن جماعة (٧٣٣) اولئك الذين كانوا من مفاخر الدنيا في عصورهم ، وهل ينسى دمشق قول التقي السبكي :

وفي دار الحديث لطيف معنى | الى بسط لهـا اصبو وآوي
لعلي ان امس بحر وجهي | مكاناً مسّه قدم النواوي !

(١) طبع بمصر ومعه منتخب كنز العمال سنة ١٣١٣ هـ .

وروى بالسند عن هؤلاء الأئمة الحفاظ طائفة من محدثي قبة النسر الأعلام، ومن اكبر الأسر التي تسلسل فيها العلم في ديار الشام. وقد كان من شروط قبة النسر ان يقوم على درس الحديث فيها، اعلم علماء دمشق، فآل امرها بالاستحقاق والكفاءة إلى وارث علوم اولئك الأئمة خليفتهم وخاتمتهم شيخنا الشيخ بدر الدين الحسني المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ ولم يأت بعده من يخلفه في علمه وعمله على ما سيأتي في ترجمته، رحم الله اولئك الأبرار، وعوض الأمة عنهم خيراً.

(الدخول في الموضوع)

بعد هذه المقدمات الموجزة نأثر عن العلامة البيطار ما أورده في تاريخه للقرن (الثالث عشر) من سلسلة المحدثين في جامع بني أمية تحت قبة النسر، ناقلاً نبذاً يسيرة من تراجم هؤلاء الأجلاء ـ علاوة على ما ذكره الأستاذ الجد عنهم ـ من تاريخ المحبي المتوفى سنة ١١١١ والمرادي المتوفى سنة ١٢٢٣، وقد تقدم ذكرهما ومن تاريخ الجد نفسه ايضاً جاعلاً في أعلا الصفحات ما قاله في حلية البشر (مختصراً)، مذيلاً بما لخصته من تراجمهم، قال في حلية البشر (ج ١ ص ١٥٣) : ذكر المحبي في خلال ترجمة الامام الحاسني [١] ـ احد مدرسي هذه البقعة ـ أنّ هذا الدرس وظيفة حادثة بعد الخمسين والالف، رتبها بهرام كتخدا [٢] والدة السلطان ابراهيم، وبنى السوق الجديد والخان قرب باب الجابية لأجلها، ثم قال في الحلية : ولا يتوهم ان ابتداء التدريس في هذا المحل من حين الوظيفة، لأن الشمس الميداني الآتي ذكره درس قبل ترتيب الكتخدا بنيف واربعين سنة كما سنذكره مفصلاً إن شاء الله تعالى. وقد اشتهر بين الخاص والعام ان وظيفة هذا الدرس مشروطة لأعلم علماء الشام.

---

(٢) خلاصة الأثر ج ٣ ص ٤٠٨.

(٣) كلمة فارسية أي وكيل نفقتها.

ذكر اول من جلس للتحديث تحت قبة النسر بعد العصر

في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان

اولهم العلامة الشمس محمد الميداني (١) قال المحبي في أثناء ترجمته : لما مات الشمس الداودي (٢) سنة ست والف فقد الناس مجلسه للحديث، فقامت الطلبة على الشمس الميداني بعقد مجلس في الحديث بعد موته بسنتين او اكثر، فأقرأ في صحيح البخاري بعد صلاة العصر، واختار ان يكون جلوسه تحت قبة النسر،

---

(١) هو محمد بن محمد بن يوسف بن احمد بن محمد الملقب شمس الدين، الحموي الأصل، الدمشقي المولد، الميداني، الشافعي، عالم الشام ومحدثها، وصدر علمائها، الحافظ المتقن. قال المحبي : وبلغ به سطوع الشأن الى مرتبة قل من يضاهيه فيها، حتى ان الحكام كانوا لا يستطيعون الظلم خوفاً منه، ويحترمونه اقوى احترام، مع عدم تردده اليهم، وقلة اكتراثه بهم وحطه عليهم، واكثر الناس من الأخذ عنه والقراءة عليه (ثم قال) واكثر الناس فيه من المراثي والتواريخ، فمن ذلك تاريخ الأديب ابراهيم الأكرمي الصالحي، وهو قوله :

شيخُ دمشق وشمسُ دينِ (م) الإله فيها قضى وماتا
فقلت واحسرتاه أرخ أشافعي الزمان ماتا ؟

وقال فيه أبوبكر العمري شيخ الأدب :

مغاني العلم قد درست وقد أقوت معالمها
فقل إن شئت أو أرخ دمشق مات عالمها

(٢) محمد بن داود المنعوت شمس الدين بن صلاح الدين الداودي القدسي الدمشقي، الشافعي المحدث الفقيه، علم العلماء الأعلام، والمفتي المدرس الهمام، ... وكان يعظ يوم الأحد من كل جهة في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان عن ظهر قلب، وكان الوعاظ غيره يعظون الناس من الكراريس.

وكان الداودي يجلس تجاه المحراب الذي للشافعية بعد وفاة البدر الغزي ، واستمر الميداني الى ان توفي بالقوانج في وقت الضحى يوم الاثنين ثالث عشر ذي الحجة سنة ١٠٣٣ ثم قال : ومدة تدريسه على ما ذكر إما اربع او خمس وعشرون سنة ، لا سبع وعشرون كما وهم .

ثم تولاه بعده العلامة الإمام الشيخ نجم الدين محمد الغزي [١] .

واستمر الى ان توفي يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة احدى وستين والف عن ثلاث وثمانين سنة وعشرة اشهر واربعة ايام ومن غريب ما اتفق له في درسه تحت القبة ان الشمس الراوودي كان قد وصل في قراءته البخاري الى باب « كان ﷺ اذا صلى لا يكف شعراً ولا ثوباً » ، ودرس بعده الشمس الميداني من ذلك الباب الى باب « مناقب عمار بن ياسر » ، وتوفي ، ودرس من بعده النجم الغزي الى ان أكمله في ثلاث سنوات ، ثم افتتحه وختمه وأعاد قراءته

(١) محمد بن محمد بن محمد بن محمد ، محدث الشام ومسندها ، الشيخ الامام نجم الدين ابو المكارم وابو السعود ، ابن بدر الدين رضي الدين الغزي العامري الدمشقي الشافعي ، شيخ الاسلام ، ملحق الأحفاد بالأجداد ، المتفرد بعلو الاسناد .

ترجم نفسه في كتابه بلغة الواجد ، في ترجمة والده البدر ، فقال : مولدي كما رأيته بخط شيخ الاسلام : يوم الأربعاء حادي عشر شعبان المكرم سنة ٩٧٧ (اهـ) وعدّله الأمين المحبي نحو ثلاثين كتاباً من تآليفه ، اعظمها : (الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة) ثم قال : وجلس مكان الميداني تحت القبة في الجامع الأموي ، لإقراء صحيح البخاري في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان ، ورأس الرئاسة التامة ، ولم يبق من أقرانه الشافعية احد ، وهرعت اليه الناس والطلبة ، وعظم قدره وبعد صيته ، وكان جلوسه تحت قبة النسر سبعاً وعشرين سنة ، وهو قدر مدة الميداني ، وهو من غرائب الاتفاق اهـ (ص ٢٠٠ ج ٤ من خلاصة الأثر) .

وكانت مدة تدريسه سبعاً وعشرين سنة اهـ .

والظاهر أن الكتخدا المقدم ذكره رتبه في مدة النجم كما يعلم مما سلف والله أعلم .

ثم تولاه بعده ولده الفاضل الشيخ سعود الغزي [١]

وابتدأ من محل : انتهى اليه درس والده في صحيح البخاري واستمر الى أن توفي أواسط ذي القعدة سنة ١٠٧١ وكانت مدة قراءته عشر سنوات .

ثم طلب التدريس العالم الجليل الشيخ محمد الاسطواني [٢] من قاضي القضاة واجتمع

(١) سعود بن محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري ، الدمشقي الشافعي ، مفتي الشافعية بدمشق ، وابن مفتيها ، وابن ابن مفتيها ، رؤساء العلم بالشام وكبراؤه ، وشهرة بيتهم لا تحتاج الى بيان ، وكان سعودي هذا فاضلاً وجيهاً رقيق الطبع ، اخذ الفقه والحديث عن جده لأمه الشهاب احمد العيثاوي ، وعن والده النجم ، وسافر في خدمته الى الحج في سنة ١٠١٤ والى الروم سنة ٣٣ ولما حج والده في سنة ٤٧ اقامه مُقامه في خدمة فتوى الشافعية فباشرها ، وظهرت كفايته ، وحمدت سيرته ، ثم مات ابوه في سنة ٦٠ ، فاستقل بها ، وأعطي عنه المدرسة الشامية البرانية ، ودرس الحديث تحت قبة النسر ، من جامع بني امية ، واستمر مدة يفتي ويدرس وكانت ولادته سنة ٩٩٨ — ١٠٧١ .

(٢) محمد بن احمد بن محمد بن حسين بن سليمان المعروف بالأسطواني الدمشقي الحنفي ، الفقيه الواعظ الاخباري ، كان احد اعاجيب الدنيا في حلاوة المنطق ، وحسن التأدية ، ومعرفة أساليب الكلام ، لا يمل حديثه بحال ، وكلما طال طاب ، كان في الأصل على مذهب اسلافه حنبلياً ، ثم انتقل الى مذهب الشافعي ، ثم تحنف وصار اماماً بجامع السلطان احمد ، ثم واعظاً بجامع السلطان ابي الفتح محمد خان (في دار الخلافة العثمانية) واشتهر بحسن الوعظ ولطافة التعبير ، ثم امر بالمسير الى دمشق فوردها في سنة ١٠٦٧ واقام بها ولزم الدرس تحت قبة النسر بالجامع الأموي بين العشاءين وبعد الظهر ، ونشر علم القراءات والمواعظ ، وأقرأ شرح الهمزية ، —

هو والشيخ محمد تاج الدين المحاسني في مجلس القاضي ، وكان الآخر كذلك طالباً لها ، فوقع بينهما مقاولة ومخاصمة وقيل إنهما تشاتما بألفاظ قبيحة .

ثم وجهت البقعة للمحاسني (١) ومرض الأسطواني من يومه ، وبعد اسبوعين

— ورغب الناس في حضور دروسه من علماء وعوام لحسن تقريره ، وعذوبة تفهيمه ، ولطافة مناسباته ، قال المحبي في ترجمته ج ٤ ص ٣٨٧ : وسمعت والدي رحمه الله تعالى يقول : إن درسه كان يرحل اليه من بلد الى بلد ، وانه قرر أشياء لم يسمعها من اهالي دمشق احد ، وفيه يقول الأمير المنجكي :

إن سمع العقول يصغي لقول الأسطواني والقلوب لديه
جمع الفضل والمكارم حتى كل حسنى تعزى وتنمى اليه
رجل جاء في الزمان أخيراً يحسد الأول الأخير عليه

وكان بدمشق بعض مناكر ، فتقيد بإزالتها او تخفيفها ، ومن جملتها لبس السواد خلف الميت ، ورفع الصوت بالولولة .

(١) هو محمد بن تاج الدين بن احمد المحاسني الدمشقي الحنفي الخطيب بجامع دمشق ، كان فاضلاً أديباً جامعاً لمحاسن الأخلاق ، حسن الصوت ، نشأ في نعمة وافرة ، وكان ابوه ذا ثروة عظيمة ، فكان يصله بكل ما يحتاج اليه من مال ومتاع (قال المحبي) ولما توفي الشيخ سعودي الغزي ، وُجِّه إليه درس الحديث تحت قبة النسر من جامع دمشق كما أسلفته في ترجمة محمد بن احمد الاسطواني قريباً ، وانتفع به خلق من علماء دمشق ، وله شعر حسن مطبوع ، فمنه قوله من قصيدة :

يا سقاها مرابعاً للتلاقي كل سارٍ من الحيا غيداق

ومنها : ياحداة المطي رفقاً بقلبي إن طعم الفراق مر المذاق
ليت شعري متى تعود الليالي ماأتاحت من صفوعيش التلاقي

ومن جيد شعره قوله :

وتنفسي الصعداء ليس شكاية مما قضته سوابق الأقدار —

توفي قبل الظهر من يوم الأربعاء (٢٦المحرم سنة ١٠٧٢) ودفن بمقبرة باب الفراديس .
(قال المحبي) : ولم تطل مدة المحاسني : اي لأنه درس شهراً واحداً ، ثم مات في غرة شعبان سنة ١٠٧٢ ودفن بمقبرة باب الفراديس بالقرب من جده الأمير الحسن البوريني .
ثم وجهت البقعة للأستاذ الكبير محمد بن يحيى الخباز البصير المعروف بالبطنيني[١] ودرس الى ان توفي سنة ١٠٧٥ وكانت مدة تدريسه ثلاث سنين .
ثم وجهت البقعة للإمام الجليل الحنفي الشيخ علاء الدين الحصكفي[٢] ودرس

— لكن بقلبي جملة تفصيلها صعب لدى العقلاء والأحرار
فجعلت موضع كل ذلك أنة ضمنت مرادي من عطاء الباري

ومن شعر المترجم قوله :

أودعكم وأودعكم جناني وأنثر أدمعي مثل الجمان
ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان

(١) محمد بن يحيى بن أحمد بن علي الخباز المعروف بالبطنيني ، الدمشقي الشافعي ، المحدث الفقيه الورع الصالح الناسك ، كان غاية في الورع ذا صلابة في دينه ، ينكر المنكر ولا يخاف في الله لومة لائم ، وكان متواضعاً خلوقاً ، عليه سكينة ووقار . وكان في بداية أمره خبازاً بدمشق ، فارتحل الى مصر ، وجاور بجامع الأزهر سنين ، وفتح الله تعالى عليه بعد رجوعه ، وكان يدرس في فنون ، ويملي من حفظه ما يطالعه بحسن تقرير ، ثم عرض له عمى فزاد حفظه واشتهر ، وانتفع به جماعة من الفضلاء ، وله تآليف منها كتابه : فتح رب البرية بالجواب عن اسئلة الزيدية ، ثم درس تحت قبة النسر البخاي بعد موت الشيخ محمد المحاسني الخطيب ، وانتهت اليه الرئاسة عند الشافعية والتحديث . وكانت وفاته في سنة ١٠٧٥ . والبطنيني نسبة الى قرية من قرى دمشق .

(٢) محمد بن علي بن محمد الملقب علاء الدين ، الحصني الأصل الدمشقي ، المعروف بالحصكفي ، مفتي الحنفية بدمشق ، وصاحب التصانيف الفائقة في الفقه وغيره ، منها

مدة ، ثم سعى بعض حساده في عزله ، وأرسلوا في ذلك كتباً الى جانب الدولة ، فاستقر ذلك في عقول أصحاب الحل والعقد فعزل .

ثم وجهت البقعة للشمس محمد بن محمد العيثاوي [1] . قال المحبي : وبقي العلاء

— شرح تنوير الأبصار المسمى بالدر المختار ، وله شرح ملتقى الأبحر ، وشرح المنار في الأصول وغيرها . وكان عالماً محدثاً فقيهاً نحوياً ، كثير الحفظ والمرويات ، طلق اللسان ، فصيح العبارة ، جيد التقرير والتحرير . قال المحبي : إلا أن علمه اكثر من عقله (ج٤ ص٦٣) ولد بدمشق وقرأ على والده ، وعلى الإمام محمد المحاسني ، خطيب دمشق المقدم ذكره ، ولازمه وانتفع به ، وبلغت محبته له الى أن صيره معيد درسه في البخاري (ثم قال المحبي) : ولما توفي الشيخ محمد بن يحيي الخباز الشهير بالبطنيني ، انحلت عنه بقعة التحديث بجامع دمشق فوجهت اليه ، ودرس بها ، وعلا صيته ، واشتهر أمره ، وبقي يفيد ويدرس الى ان مات سنة ١٠٨٨

(١) محمد بن احمد العيثاوي الدمشقي ، كان قوالاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ومما اتفق له أنه دخل مرة على محافظ الشام في مصلحة متعلقة بالخانقاه السميساطية وطعامها ، فتشاغل الباشا عنه بأوراق ، فمسك الباشا من طوقه وجذبه ، وقال له : انظر في امر هؤلاء الفقراء ، واقض مصالحهم ، فالتفت اليه وقضى له ما جاء فيه . ودخل مرة أخرى على حاكم آخر بسبب معاليم الجامع الأموي ، وكان سنان باشا المتولي عليه كتب بها دفتراً وأراد قطع شيء منها ، فوجد الباشا ينظر في دفتر المتولي ويتأمله ، فجذبه أيضاً من طوقه وقال له : لا تلتفت إلى ما كتبه هذا الظالم ــ وكان حاضراً في المجلس ــ وانظر الى عباد الله بنور الله ، فعمل على مراده وترك ما أراد المتولي ، وله من هذا القبيل أشياء أخر ، وله تحريرات على التفسير وغيره ، لكنها لم تجمع وذهبت . وولي آخر أمره تدريس البخاري في الأشهر الثلاثة تحت قبة النسر بجامع بني أمية ، ودرّس ، وكان يقرر تقريراً جيداً ، وكانت وفاته سنة ١٠٨٠ هـ .

على هذا نحو سنة ، ثم سافر الى الروم ، واجتمع بشيخ الاسلام يحيى المنقاري [1] وشكى اليه حاله . فأعاد عليه بقعة التحديث ، وبقي الى أن توفي سنة ١٠٨٨ هـ ثم وجهت البقعة عن الشيخ علاء الدين الحصكفي المفتي ، الى الشيخ يونس المصري [2] سنة ٨٩ ، فدرس بها الى حين وفاته ، وكانت وفاة الشيخ يونس سنة ١١٢٠ هـ

---

(١) يحيى بن عمر المنقاري الرومي شيخ الاسلام ، صاحب التقرير والتحرير ، اخذ بالروم فنون العلم عن أكابر علمائها ، ودرّس بمدارس قسطنطينية ، وولي المناصب العلية ، منها قضاء مصر ، وليها في سنة ١٠٦٤ ، وأعيد اليها مرة ثانية ، وعقد بها درساً بمجلس الحكم في تفسير البيضاوي ، وحضره أكابر علمائها ، وأذعنوا له بالتحقيق الذي ليس له فيه مساوي . وألّف تآليف عديدة في فنون شتى (قال المحبي) : وانتهت اليه الرئاسة في عصره بالعلوم ، وحظي حظوة لم يحظها احد مثله عند ملك الروم ، وكانت وفاته سنة ١٠٨٨ ودفن باسكدار في مكان عينه في وصيته ، وأوصى أن يعمر عنده مدرسة ، فنفذ ابنه وصيته بعد موته ، رحمه الله تعالى

(٢) ابن أحمد المحلي الأزهري الكفراوي الشافعي ، نزيل دمشق ومدرس الحديث بها ، (قال المرادي) : ترجمه الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري في ثبته المسمى لطائف المنة ، فقال : ولد كما أخبرنا به من لفظه في ذي الحجة سنة ١٠٢٩ بالمحلة الكبرى من اقليم مصر ، ونشأ بها ، وأخذ علم التفسير والحديث والفقه عن جماعة من علماء بلده ، ثم ارتحل المترجم الى مصر ، وأقبل على الاشتغال بالعلوم ، وحضور دروس علماء الجامع الأزهر ، ثم ارتحل الى دمشق سنة ١٠٧٠ وأخذ عن جماعة من علمائها .

وولي بدمشق تدريس بقعة الحديث ، بالجامع الشريف الأموي [تحت قبته] عن الشيخ علاء الدين الحصكفي المفتي ، سنة ٨٩ فدرس بها الى حين موته . وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ١١٢٠ هـ .

وكانت مدة بدريسه ثلاثاً وثلاثين سنة ، ما عدا سنتين درس بهما الكاملي [1] .
وأما الكاملي فانه توفي سنة ١١٣١ كما في تاريخ المرادي ثم وجهت البقعة للعلامة الشهير الشيخ اسماعيل العجلوني [2] .

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد المعروف بالكاملي الشافعي الدمشقي ، كان فقيهاً واعظاً بركة الشام ، علامة رحلة محققا ، وسيما منوّرا ، عليه أبهة العلم ورونقه ، وكان خلقه سويا ، وخلقه رضيا ، وشكله بهيا ، ودروسه من محاسن الدروس ، أخذ عنه الكثير من الأطراف والبلاد . ولد بدمشق سنة ١٠٤٤ وحضر دروس المحدث النجم الغزي ولازمه ، وكانت وفاته سنة ١١٣١ رحمه الله تعالى .

(٢) اسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني الشهير بالجراحي الشافعي ، العجلوني المولد ، الدمشقي المنشأ والوفاة ، الشيخ الإمام ، الحجة الرحلة ، العمدة ، الورع . ولد بعجلون سنة ١٠٨٧ تقريباً ، وحفظ القرآن في بلده ، ثم ارتحل الى دمشق لطلب العلم سنة ١١٠٠ هـ واشتغل على جماعة أجلاء بالفقه والحديث والتفسير والعربية . قال المرادي : ومشايخه كثيرون ، والكتب التي قرأها لا تعد لكثرتها ، وقد الف ثبتاً سماه « حلية اهل الفضل والكمال ، باتصال الأسانيد بكمل الرجال » وترجم مشايخه به ، وعدّ المؤرخ المرادي من أجلائهم قريباً من ثلاثين (ثم قال) : وارتحل الى الروم في سنة ١١١٩ هـ فلما كان بها انحلّ تدريس قبة النسر بالجامع الأموي ، عن شيخه الشيخ يونس المصري بموته ، فأخذه صاحب الترجمة ، وجاء به الى دمشق ، الى آخر ما جاء في (حلية البشر) أخذاً عن (سلك الدرر) . « وفي السلك » : وألف المؤلفات الباهرة المفيدة ، منها (كشف الخفاء ومزيل الالباس ، عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس) (وهو مطبوع بمصر) وعدّ له عشرة تآليف كاملة وسبعة لم تكمل ، وجلها في التفسير ، والحديث والتاريخ (ثم قال) : وكان صاحب الترجمة حليماً سليم الصدر ، سالماً من الغش —

قال المرادي : وذلك أنه ارتحل الى الروم سنة ١١١٩ هـ فلما كان بها انحل تدريس البقعة عن شيخه الشيخ يونس المصري بموته ، فأخذه هو وجاء به الى دمشق ، وكان والي دمشق اذ ذاك الوزير ، يوسف باشا القبطان ، ومدة اقامته منذ ابتدأ سنة ٢١ إلى أن مات - احدى واربعون سنة ، وكانت وفاته بدمشق في المحرم سنة ١١٦٢ هـ .

ثم وجه تدريس البقعة للعلامة الشيخ صالح الجينيني الحنفي [1] فدرّس الى أن مات وذلك سنة ١١٧٠ وكانت مدة تدريسه تسع سنين .

(يتبع) محمد بهجة البيطار



— والمقت ، صابراً على الفاقة والفقر ، وملازماً للعبادات والتهجد ، والاشتغال بالدروس العامة والخاصة ، كافاً لسانه عما لا يعنيه ، مع وجاهة نيرة (المرادي) : ترجمه بقوله : والجراحي : نسبة الى أبي عبيدة بن الجراح ، أحد الصحابة المبشرين بالجنة .

(١) ابن ابراهيم بن سليمان بن عبد العزيز الحنفي ، الجينيني الأصل ، الدمشقي المولد ، النعمان الثاني ، وشيخ الحديث ، العمدة الرحلة ، ولد بدمشق سنة ١٠٩٤ ونشأ بها ، وأخذ عن جماعة كثيرين ، وشرع في القاء الدروس بالجامع الأموي وغيره ، وتزاحمت عليه الطلاب وكثر نفعه . ولما توفي الشيخ اسماعيل العجلوني مدرس الحديث تحت (قبة النسر) في الجامع الأموي ، وجّه التدريس المذكور عليه ، واستقام به إلى أن مات .

« كتاب البرهان في وجوه البيان »

تصحيح خطأ عامي ، وتحقيق شخصية كتاب ، وردّ اعتبار لمؤلف طغى على اسمه الزمان .

كتاب « البرهان في وجوه البيان » لأبي الحسين إسحق بن ابراهيم بن سليمان ابن وهب الكاتب ، طبع جزء منه قدر ثلثه باسم « نقد النثر » حرره وأخرجه الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادي منسوباً إلى أبي الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ . وقد اعتمد مخرجا « نقد النثر » على مخطوطة بمكتبة الإسكوريال رقم ٢٤٣ من فهرس درينبورغ .

وقد عثرنا على مخطوطة لهذا الكتاب بمكتبة تشستربيتي رقم G 767 تحت عنوان « كتاب البرهان في وجوه البيان » وعند المقابلة بينها وبين كتاب « نقد النثر » المطبوع وجدناهما يتفقان في القدر المطبوع وتزيد المخطوطة التي بأيدينا على المطبوعة بمقدار ثلثي الكتاب تقريباً . ولم نشك في أن هذا القدر الزائد إنما هو جزء أصلي من الكتاب قد سقط منه في المخطوطة الإسكوريالية وذلك أن المؤلف قد بنى كتابه على اربعة وجوه للبيان :

البيان الأول الاعتبار ، البيان الثاني الاعتقاد ، البيان الثالث العبارة ، البيان الرابع الكتاب . والبيان الرابع (الذي هو الكتاب) غير موجود في النسخة المطبوعة ، وقد علل محقق هذه النسخة المبتورة هذا النقص بادعائه أن المؤلف قد ضمن الباب الثالث (وهو العبارة) الكلام على الوجه الرابع وهو الكتاب . وجعل بهذه الدعوى الكتاب كاملاً بذاته ، وهي دعوى قد فرضها المحقق على الكتاب فرضاً وجزم بها من غير فحص له ، فانه لو كان قد فحص

الجزء الذي بيده من الكتاب لرأى أن المؤلف قد نبه في أثناء الكتاب على أشياء سيذكرها بعد، ومع ذلك لم يأت لها ذكر. فمن ذلك قول المؤلف (صفحة ١٨ من طبعة دار الكتب). «وأما الحديث فهو ما يجري بين الناس في مخاطبتهم ومنافلاتهم ومجالسهم وله وجوه كثيرة فمنها الجد والهزل والسخف والجزل، والحسن والقبيح والملحون والفصيح، والخطأ والصواب والصدق والكذب والنافع والضار والحق والباطل والناقص والتام والمردود والمقبول والمهم والفضول والبليغ والعيي»، ثم جاء الكلام بعد ذلك عن الجد والهزل والسخيف والجزل والحسن والقبيح والملحون والفصيح والخطأ والصواب، ولكن القول في الخطأ والصواب لم يتم كما أن القول في الصدق والكذب والوجوه الأخرى الباقية لم يأت قط. ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء في باب تأليف العبارة (ص ٤٤ — ٤٥ من طبعة دار الكتب) «وقد ذكر الخليل وغيره من أوزان الشعر وقوافيه ما يغني من نظر فيها .... إلا أنا نذكر جملة من ذلك في باب استخراج المعمّى تدعو الضرورة إلى ذكرها فيه إن شاء الله» وليس في نقد النثر كما نشر أي ذكر أو اشارة الى باب المعمّى وذكر العروض والقافية. ومن أمثلة ذلك ايضاً أنه جاء في آخر النسخة المطبوعة هذه العبارة «وأما مراتب القول ومراتب المستمعين له فقد تقدم القول فيه وبالله التوفيق» واذا تصفحنا كل ما جاء في النسخة المطبوعة لم نجد ذكراً أو اشارة «لمراتب القول» ولا «لمراتب المستمعين له» على الحقيقة. وبهذا يظهر أن المخطوطة الاسكوريالية والكتاب كما طبع ناقصان نقصاً كبيراً، وان محقق الكتاب لم ينتبه الى هذا النقص الواضح، أو لعله أغمض عينيه عن هذا النقص، وتلمس في بعض الأحيان تعللات لا تقوم وفرضها على الكتاب، بدليل أننا نجد كل هذا المفقود قد جاء بالنسخة المخطوطة التي بأيدينا، فقد جاء فيها ذكر البيان الرابع وهو الكتاب واستغرق من أصل الكتاب جزءاً كبيراً أصلياً، كما جاء فيها الكلام على باب المعمى وذكر العروض

والقافية بتفصيل كامل واف . وكذلك جاء فيها ما بقي من وجوه الحديث وجهاً وجهاً وكذلك مراتب القول ومراتب المستمعين له مرتبةً مرتبةً . فكانت مخطوطتنا بهذا التحقيق هي النسخة الكاملة للكتاب . ويظهر أن مخطوطة الاسكوريال كانت ناقصة أو نسخت من أخرى ناقصة فزاد كاتبها ما يشعر بالتمام وهو قوله « وقد تقدم القول فيه وبالله التوفيق » وهي عادة معروفة عند الوراقين كما حصل مثل ذلك في كتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري مثلاً .

وأهمية مخطوطتنا لا تنحصر في أنها النص الكامل للكتاب كما كتبه مؤلفه (اي أكثر من ضعف النص المطبوع) بل إن لها أهمية اخرى اكبر من ذلك ، وهي معرفة مؤلف هذا الكتاب على التحقيق . فقد ذكر المؤلف في مخطوطتنا اسمه كاملاً في أثناء كتابه على عادة المؤلفين المتقدمين فقال في اول البيان الرابع : وهو جزء مفقود من النسخة الاسكوريالية « قال ابو الحسين اسحق بن ابراهيم ابن سليمان بن وهب الكاتب قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا بنعمة الله . . . » وهو تصريح يبطل نسبة الكتاب الى قدامة بن جعفر ويضع حداً فاصلاً للنزاع في مسألة مؤلف الكتاب ، كما ان مخطوطتنا زيادة على هذا تحمل الاسم الصحيح للكتاب وهو كتاب « البرهان في وجوه البيان » .

وإنه وان كنا لم نعثر على اسم هذا الكتاب او اسم مؤلفه مذكوراً في اي مرجع من المراجع المعروفة عندنا فقد وصلنا الى أن هذا الكتاب ليس لقدامة وتحققنا من نسبته لأبي الحسين ، وليس ذلك فقط من أجل أن المؤلف قد ذكر اسمه في اثناء كتابه بل من اجل ادلة اخرى مضمومة الى هذا الدليل :

أولاً — يذكر مؤلف الكتاب في أثناء كتابه اربعة كتب له وهي : الايضاح ، أسرار القرآن ، التعبد ، الحجة . وهذه الكتب الأربعة لم يذكرها احد من

مؤرخي قدامة في فهرس كتبه او ما يشبهها في الاسم او الموضوع ، كما أنهم لم يذكروا له كتاباً باسم «البرهان» «أو «نقد النثر» .

ثانياً — وقد نسب الى قدامة كتاب في الكتابة ولكن هذا الكتاب لم يسمه قدامة باسم البرهان او نقد النثر وإنما سماه «كتاب الخراج وصناعة الكتابة» وهو غير الكتاب الذي بأيدينا فان كتاب قدامة هذا أو على الأصح النصف الثاني منه معروف وتوجد مخطوطة منه بمكتبة كوبرلي بالأستانة . وقد استنسخ شارل شيفر هذا المجلد الباقي من كتاب قدامة ، وهذه النسخة محفوظة الآن بدار الكتب الوطنية بباريس . وقد استخرج دي غويه نبذاً منها وطبعها تحت عنوان «كتاب الخراج» وهذه النبذ هي الأبواب الثاني والثالث والرابع والخامس والحادي عشر من المنزلة الخامسة والبابان السادس والسابع من المنزلة السادسة . واسم هذا الكتاب في هاتين النسختين (الأصلية والمنقولة) «الخراج وصناعة الكتابة» ، وقد وصف ياقوت هذا الكتاب في ترجمة قدامة بقوله «وله كتاب في الخراج وصناعة الكتابة» وله كتاب في الخراج رتبه مراتب وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب اليه وكان على تسع منازل وكان ثمانية فأضاف اليه تاسعاً «ويقول المطرزي في كتاب الايضاح شرح مقامات الحريري (مخطوطة المتحف البريطاني) «وله تصانيف كثيرة منها كتاب الالفاظ وكتاب نقد الشعر وهو حسن للغاية طالعته ونقلت منه أشياء وقيل هو لوالده جعفر . ومنها كتاب صناعة الكتابة ظفرت به وعثرت فيه على ضوالٍّ منشودة وهو كتاب يشتمل على سبع منازل وكل منزلة منها تحتوي على ابواب مختلفة ضمنها خصائص الكتاب والبلغاء» وقال ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ٣٣٧ بمناسبة موت قدامة ما نصه : «وله كتاب حسن في الخراج وصناعة الكتابة» .

ويتضح من كل ذلك أنه كان لقدامة كتاب على منوال كتابنا وأن هذا الكتاب يسمى «الخراج وصناعة الكتابة» وانه كان على تسع منازل أو سبع

منازل وفي كل منزلة ابواب . وهذا الوصف لا يتفق مع تبويب كتاب «البرهان» أو «نقد النثر» إذ أنه على اربعة ابواب تناولت كل ما قصد المؤلف كتابته عن الخراج وصناعة الكتابة وفضلاً عن هذا فنحن إذا قارنا الجزء المطبوع من كتاب قدامة الخاص بالخراج ألفيناه مختلفاً عن القسم الخاص بالخراج في كتابنا «البرهان» والنتيجة البديهية هي أن قدامة وابا الحسين كتب كل منهما كتاباً في الموضوع ولكن كلاً منهما سلك مسلكه الخاص في علاج الموضوع .

ثالثاً — وقد رجح دي غويه في مقدمته الفرنسية لكتاب الخراج المستخرج من كتاب قدامة في صناعة الكتابة أن قدامة ألف كتابه هذا بعد سنة ٣١٦ بقليل ، وذلك أن قدامة تحدث في أثناء كتابه عن مليح الأرمني على أنه معاصر له ، ويشير أيضاً الى إغارة أسفار الديلمي على قزوين في سنة ٣١٦ والى الشنائع التي جرت على يد مرداويج واتباعه في السنين التالية كحوادث قريبة الوقوع . ونحن نعلم مما يقوله ابو حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانسة (ج٣ ص١٤٥ ـ ١٤٦) ان قدامة عرض كتابه هذا في سنة ٣٢٠ على عليّ بن عيسى حيث يقول «وما رأيت أحداً تناهى في وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة بن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه . قال لنا علي بن عيسى الوزير عرض عليّ قدامة كتابه سنة ٣٢٠ واختبرته فوجدته قد بالغ وأحسن وتفرّد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشاركه فيه احد من طريق اللفظ والمعنى» . فهذا الكتاب قد تم الفراغ من تأليفه قبل سنة ٣٢٠ قطعاً . أما كتاب «البرهان» فلم يكن موجوداً في هذا الوقت ولنا على هذا ثلاثة أدلة :

أ — يقول ابو الحسين اسحق بن ابراهيم في البرهان «وقد رأيت شيخنا علي ابن عيسى رحمه الله يكاتب ام المقتدر» واشارة أبي الحسين في كتابه الى وفاة علي بن عيسى تدل قطعاً على ان علي بن عيسى لم يعش حتى يرى هذا الكتاب

وقد مات علي بن عيسى سنة ٣٣٥ وهو امر يدل على ان ابا الحسين الف كتابه بعد سنة ٣٣٥ .

ب — ويقول ابو الحسين ايضاً « ... ومنه ترجمة لآل مقلة ولأبي الحسن ابن خلف بن طياب رحمه الله » وقد كان ابو الحسن بن خلف هذا حياً الى سنة ٣٣٠ (راجع أخبار الراضي والمرتضى للصولي ص ٢٣٠ — ٢٣١) .

ج — ويقول ابو الحسين في « البرهان » أيضاً مشيراً الى مقتل المقتدر على يد غلامه مؤنس : « وكان نتيجة هذا الإهمال وثمرة هذه الأفعال أن خرج السلطان في جيشه ، على أحسن زينة لقتال غلام من غلمانه فقتل وحده من بين اهل عسكره وتفرق عنه الباقون ورجعوا موفورين » وقد حدث هذا في سنة ٣٢٠ (راجع المنتظم ج ٦ ص ٢٤٣) وابو الحسين يقص هذه الحادثة على أنها قصة معروفة للعبرة وضرب المثل فيما يصيب ولاة الأمر عند إهمالهم ، ولا بد ان تكون قد مرت عليها سنوات اصبحت بها مثالاً للعظة وضرب الأمثال ، فكتابه لا بد ان يكون قد ألّف بعد هذا التاريخ .

والنتيجة التي نجمعها من كل ذلك هي أن قدامة ألف كتابه قبل سنة ٣٢٠ وأن ابا الحسين ألف كتابه بعد سنة ٣٣٥ حسب ما جاء من نصوص تاريخية في ثنايا الكتابين .

رابعاً — من الكتب المعروفة على وجه التحقيق لقدامة كتابه « نقد الشعر » وقد عالج فيه الشعر وفنونه بوجه خاص . وقد عالج صاحب « البرهان » في كتابه الشعر أيضاً ، فلو انه كان لقدامة لما احتاج الى معالجة هذه الموضوعات مرة اخرى بمثل هذا البيان الكافي ، وفضلاً عن ذلك فان معالجة الشعر في « البرهان » تختلف اختلافاً جوهرياً عنها في كتاب « نقد الشعر » من الناحية الفنية والموضوعية وما تصيّده الاستاذ العبادي في تحقيقه من مقارنات إنما هو مجرد افتراضات لا تقوم امام الفحص . ومما يستحق أن نذكره من المقارنات أن

قدامة في « نقد الشعر » حينما يسوق أقوال المتقدمين من الفلاسفة يذكرها مجملاً : « فلاسفة اليونان » في حين أن صاحب « البرهان » يذكرهم بأسمائهم كأن يقول « قال ارسطوطاليس ... » .

خامساً — وقد كان مؤلف « البرهان » فقيهاً شيعياً من غير شك . ودليل ذلك منثور في أثناء الكتاب . فمن ذلك اهتمامه بنقل أقوال أئمة الشيعة وذكره لهم دائماً عند كل استشهاد بما يشعر بتشيعه كقوله « الأئمة عليهم السلام .... الأئمة الصادقين ... الأئمة المستودعين علم القرآن ... روي عن الصادق عليه السلام ... » واهتمامه بنقل فقه الشيعة كاملاً في تعرضه لأقوال الفقهاء ، وترجيحه لآرائهم في بعض الأحيان ظاهرة تدل على تمكنه في نحلته الشيعية . وقدامة بن جعفر لم يكن من الشيعة ولا من فقهائهم كما هو معروف وكما يدل عليه ما كتبه عن الخراج وإنما كان نصرانياً في الأصل وأسلم على يد الخليفة المكتفي بالله ، وإذا أسلم نصراني على يد خليفة عباسي — وذلك إنما يكون عادة طمعاً في مناصب الدولة — فمن المستبعد ان يصير علوياً متشيعاً مرة واحدة . وما أورده الأستاذ العبادي في توجيه مسحة التشيع الظاهرة في الكتاب من أن قدامة قد جارى بني بويه بعد دخولهم بغداد سنة ٣٣٤ يرده النقد التاريخي وقد كتب قدامة كتابه في الكتابة قبل هذا التاريخ بأربعة عشر عاماً على الأقل . ومات بعد دخولهم بغداد بوقت قصير .

سادساً — وصاحب كتاب « البرهان » يُصِرّ في كل مناسبة على ذكر الرجال المشهورين من آل وهب معظماً لهم فخوراً بهم كأن يقول « وقد كان شيخنا ابو علي الحسن بن وهب رحمه الله ... » « وقال ابو أيوب رضي الله عنه ... » « وقد ذكر ابو أيوب رحمه الله رجلاً مشهوراً بالبلاغة ... ولو لم نتقدم من ذكر البلاغة الا بهذا القول من شيخنا رحمه الله لكفى وأجزى » . وابو أيوب هذا هو سليمان بن وهب عميد آل وهب وجدّ المؤلف .

سابعاً — وهناك أمر يجب التنبيه اليه وهو ان البطليوسي في كتابه « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » قد كتب فصولاً طويلة بنى عليها مقدمته في شرح الكتاب (صفحة ٦٦ — ٩٠) وهذه الفصول تتفق في لفظها في معظم الأحيان تمام الاتفاق مع بعض فصول كتاب البرهان ، وفي بعض الأحيان تتفق معها مع تعديل طفيف ، ولكن البطليوسي لم ينسبها الى أبي الحسين ولا إلى قدامة وانما أشعر بنسبتها الى علي بن مقلة (المتوفى سنة ٣٢٧) ، ولا يمكن أن يقال إن هذا الكتاب « البرهان » هو لابن مقلة ، وان البطليوسي نقل عنه بعد ان اثبتنا أن « البرهان » أُلف بعد سنة ٣٣٥ وبعد وفاة ابن مقلة بنحو ثمان سنين كما أن شيوخ صاحب البرهان كما جاء ذكرهم « بالبرهان » لم يكونوا شيوخاً لعلي بن مقلة ولم تكن له بهم صلة قريبة ولم يكن علي بن مقلة شيعياً . والقدر المتيقن ان البطليوسي لم يحتسب على أي حال قدامة بن جعفر مؤلفاً للكتاب الذي نقل عنه على فرض أنه نقل فصوله من كتابنا هذا . ومن المحتمل ان يكون « البرهان » قد نسب مرة الى علي بن مقلة كما نسب الى قدامة بن جعفر وجهل امر صاحبه ومن المحتمل ايضاً ان يكون البطليوسي ومؤلف كتابنا هذا من قبل ، كلاهما قد نقل نقولاً من كتاب لابن مقلة في هذا الموضوع ، وهو أمر لم تساعدنا الظروف على تحقيقه .

وجملة القول ان مؤلف كتاب البرهان يجب أن تتوفر فيه من الشرائط : (١) كونه شيعياً . (٢) ان تجمعه اواصر القربى بآل وهب . (٣) أن يكون قد ألفه بعد سنة ٣٣٥ . (٤) ألا تزيد ابواب كتابه على اربعة ابواب كاملة وهذه الأحوال لا تجتمع في قدامة بن جعفر ، ولكنها يمكن ان تجتمع في مؤلف آخر وفي يدنا مخطوطة قديمة كاملة للكتاب ذكر المؤلف فيها اسمه في متن الكتاب ، هكذا « أبو الحسين اسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب » فنحن على أن ننسب الكتاب اليه الى أن يظهر لنا خلاف ذلك . ولم نجد ذكراً

لهذا الكاتب أو لمؤلفاته في المراجع والمظان المعروفة لنا . ومن غريب الأمر أن هذا الكتاب قد نسب الى قدامة بن جعفر في طرة المخطوطة الاسكوريالية وكذلك في طرة المخطوطة التي بايدينا مع ورود اسم المؤلف في أثناء الكتاب وهو امر غفل عنه الناسخ ، وتفسير هذا التناقض يسير ، فان الوراقين كانوا يعرفون قيمة قدامة الأدبية ويعرفون شهرة كتابه في الأدب فلا يستبعد عليهم أن يضعوا اسمه على هذا الكتاب لتسهيل بيعه وتداوله ، وهذه طريقة معروفة عند النساخ والوراقين لا تخفى على المحققين ، ونذكر مثلاً قريباً لذلك كتاب « أسرار البلاغة » نشر بمصر وجاء في خاتمة الكتاب ان مؤلفه اتمه في سنة ٨٥٥ ومع ذلك نسب في طرة الكتاب لبهاء الدين العاملي المتوفى سنه ١٠٠٣ وعرف باسمه لدى الوراقين ، وفي كتب الفهارس ، وغير ذلك كثير .

وبعد فإنصافاً للعلم والعلماء ، وإنصافاً لأنفسنا كذلك لا يسعنا إلا أن ننوه في ختام هذه الكلمة بأن عالمين جليلين كانا قد أظهرا الشك في نسبة كتاب نقد النثر الى قدامة بن جعفر وانه لا بد أن يكون لكاتب آخر مجهول من اهل القرن الرابع ، وهذان العالمان الفاضلان هما الدكتور طه حسين بك والأستاذ محمد كرد علي فاستحقا منا التقدير والثناء .

وها نحن أولاء قد قمنا بما تمليه علينا الأمانة العلمية بتقديم أدلتنا على أن الكتاب اسمه « البرهان » وأنه من تأليف أبي الحسين اسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، وأن الجزء الذي نشر منه تحت اسم « نقد النثر » ليس إلا نحو ثلث الكتاب الأصلي الذي قد حررناه ونقدمه للطبع الآن ليكون بين أيدي العلماء في القريب ان شاء الله ليصبح موضع بحثهم ونقدهم ولست أنسى هنا أن أقدم للعلماء الأستاذ العالم مجتبى سينوي بلندن زميلي في تحقيق هذا الكتاب واعداده للنشر فهو يشاركني مسئولية اخراج الكتاب بما يتبعها من قبول أو نقد .

المركز الثقافي الاسلامي بلندن

الدكتور علي حسن عبد القادر

كنز من كنوز الجاحظ

اربع رسائل من رسائله

— ٤ —

تتمة ما كتب عن الرسالة الثالثة

التي موضوعها (الجد والهزل)

بقي من تعاليقنا على رسالة الجد والهزل ما يتعلق بالأبحاث اللفظية وما يتخللها من الفوائد اللغوية . من ذلك :

قوله ص ٦٢ (ولا هذه المطالبة من شكل هذه الجريمة) معنى المطالبة متابعة غيرك بحق لك عليه ولم يكن صديق الجاحظ يتابعه بحق وإنما يتجنى عليه بذنب لم يفعله فهو يعاقبه ظلماً . ويغاضبه هضماً . فمن ثمّ كان الصواب (المعاقبة) أو (المغاضبة) مكان المطالبة .

وص ٦٦ قوله : (وصداقة المستطرَف غرر) المستطرَف المستحدث من الأشياء وقد استعمله الجاحظ في معنى المستحدث من المعارف والأصدقاء يقول : كن من صديقك الجديد على حذر حتى اذا بلوت امره وانعمت تجربته استوثق به ، واتكل عليه وان لم تفعل كنت منه في غرر وعلى مدرجة خطر . فالمستطرف في هذا المعنى من طرائف كلم الجاحظ . واعاد ذكره في ص ٩٤ فقال : ما قبّح الرجال شيء كالوكال ، ولا أفسد الكريم شيء كحب الاستطراف) والوكال أن يتكل على غيره في شؤون حياته . ومعنى كون الكريم يفسده حب الاستطراف ان يملّ اصدقاءه القُدامى ويسأم عشرتهم فيجفوهم ويعرض عنهم الى صديق جديد يهش اليه ويمنحه ثقته ويفرشه دخلته قبل ان يبلوه ويختبر

احواله . وقوله : (التتابع والتبرع) صوابه (التترع) بتاءين وهو التسرع الى الشرور فيناسب (التتابع) الذي معناه التسارع في الشرور أيضاً وان يركب الأمور من غير تثبت . ويأتي في ص ٩٢ سطر ٢ المتبرع صوابه المتترع بتاءين من التترع في الشر بدليل السياق .

وقوله ينصح في التوثق من اتخاذ الصديق والانتباه الى (قحته عند التقريع ، وحيائه عند التعريض ، والى فطنته عند الرشق والتودية) صوابه (التورية) بالراء ليناسب التعريض أي تأمل في اخلاق من تتخذه صديقاً لحين رشقه الناس بلسانه وطعنه عليهم وهل هو في ذلك يصرّح او يعرّض ويكني ويورّي ، او يهتك الأعراض ويعرّي ؟ ؟

وقوله ص ٦٨ في تلمّس أسباب التثبت في أمر الأصدقاء ودلائل الثقة بهم (وتكامل هذه الدلائل وتعاون هذه البرهانات) جمعَ (البرهان) على برهانات وعهدي أنه استعمل هذا الجمع ايضاً في كتابه (البيان والتبيين) كما استعمل جمع الوجدانات جمعاً لوجدان وشؤونات جمعاً لشؤون .

(وقد قال الأول : دلائل الأمور أشدُّ تثبيتاً من شهادات الرجال ... لأن الدليل لا يكذب ولا ينافق اولا يزيد ولا يبدل . وشهادة الانسان ليس معها أمان الخ ..) وكلام الجاحظ هذا يتسق مع القوانين والأنظمة العصرية المعول عليها في المحاكم الجزائية ، فانهم يعتمدون في ايقاع الاحكام على (قرائن الأحوال) التي عبّر عنها الجاحظ بقوله (دلائل الأمور) ولا نعلم إن كان قضاتنا يستحسنون العدول عن اصطلاحهم الى اصطلاح الجاحظ .

وقوله ص ٦٩ (ولا خير في عقوبة تشمت العدو القادم ويُنادي بها العدو الحادث) الظاهر من مقابلة (القادم بالحادث) أنه أراد به (أي بالقادم) اسم الفاعل من قدُم اذا مضى على وجوده زمن لكن اسم الفاعل منه قديم وقُدام لا قادم فلعله محرف ، أو ان الجاحظ اراد المزاوجة اي الموافقة في الصيغة بين كلمتي القادم والحادث . وكثيراً ما فعله البلغاء .

وقوله ص ٧٠ (والريث والأناة في بلوغ الأمل وإدراك النعمة) الأصوب البغية مكان النعمة .

وقوله ص ٧١ (قال الدهقان لعامل خراسان حين مرّ به وهو يدهق في حبّه) الدهقان عند الأعاجم مقدّم فلاحي القرية فهو بمنزلة مختار القرية في عصرنا وكان الدهقان حين مرور العامل عليه يدهق حب حنطة البيدر اي يقطعه ويكسره يعني يدرسه ويدوسه بالنورج لينفصل عن التبن وأرى ان جعل الدهق بهذا المعنى تكلف وان كان ابن الاعرابي قال كما في الصحاح ان الدهق يكون بمعنى القطع والكسر . وعندي ان المراد من كون الدهقان (يدهق) في حبه أنه يقوم بوظيفته في حراسة غلة بيادر القرية ودراس حنطتها ليؤدي ما عليها من حق بيت المال للعامل . ووظيفته هي الدهقنة كما في القاموس . ودهقنوه جعلوه دهقاناً . ويكون اشتقاق فعل دهق من الدهقان مثل اشتقاق فعل هندس من المهندس وفعل نورز من النوروز . ولا يبعد ان يكون فعل (يدهق في حبه) محرفاً عن (يدهقن في حبه) .

وقوله : (ظلمتَ بالبطش والغشم أو ظلمتَ بالدحْس والدسّ) قال مصحح الرسالة لعل صواب الدحس (الدعس) بالعين . وعندي أن الدحس بالحاء هو الصواب لأن (الدعس) الطعن والوطء ولا ينسجم معناه هذا مع (الدس) الذي معناه نقل الحديث خفية بقصد الفتنة وافساد ذات البين . والدحس والدس شيء واحد . ورحم الله الذي قال :

(وان دَحَسُوا بالشر فاعف تكرّماً وان خَنَسُوا عنك الحديث فلا تَسلْ)

ومعنى خنسوا الحديث اخفوه وستروه .

وقوله ص ٧٤ في صدد العناية بالكتب (وتقدمتَ في استجادة الجلود ، وتمييز الصناع ، وتخيّر الساعات) معنى تقدمت في كذا امرت به . وكلمة (الساعات) لا علاقة لها بجلود الكتب وصنّاعها المجلّدين وأرى انها محرفة عن (الساجات)

جمع (ساجة) وخشب شجر الساج اسود رزين لا تكاد الرطوبة تبليه فكانوا يتخذون منه دفتين للكتب كما يتخذونها اليوم من الورق المقوّى . وفي مكتبتي نسخة مخطوطة من كتاب (مراصد الاطلاع) كانت دفتاه من خشب متين غير أني — وأنا في القدس — أعطيتها لمجلد يهودي وغفلت عن توصيته بإبقاء الخشبتين فبدّل بهما دفتين من الورق المقوى جهلاً منه او خبثاً !!

وقوله : (احكمتُ شأني وجمعتُ اليّ اقطاري) لا أرى حاجة الى جعل (أقطاري) محرفة عن أفكاري وإنما الأقطار جمع قطر بمعنى الجانب ، واقطار الفرس أو الجمل او الجبل كل ذلك جوانبه المشرفة . وكذلك اقطار الانسان :

(نميلُ على جوانبه كأنّا نميلُ إذ نميلُ على أبينا)

ويكون جمع الأقطار كناية عن جمع الهمة والعزيمة والنشاط ويقولون (جمع فلان قطريه) اذا تكبّر متغضّباً . ويشبهه جمع الازار يريدون به تشميره مذ يقولون فلان كميش الازار اي انه عزوم ماض في امره لا يثنيه عنه شيء .

وقوله ص ٧٥ (وموقعه من الدين والفرض عظيماً) صوابه والعرض بشهادة سياق الكلام .

وقوله ص ٧٨ في ذم الكتب التي تتخذ قراطيسها من جلود بدل الورق (هي أنتن ريحاً واكثر ثمناً وأحمل للغش واكثر خباطاً) الخباط الغبار . وقوله (ثمناً) أي انها اغلى ثمناً . وارجح ان تكون (ثمنا) محرفة عن (ثخنا) مصدر ثخن اذا غلظ وصلب فهو ثخين : لأن المقام انما هو في ذم تلك الكتب فهو يقول انها ذات رائحة نتنة وذات ثخانة وغلظ يصعب معه حملها واستصحابها في الأسفار وأن تاجرها يغشك فيزعم ان جلود الكتاب كوفية مع انها واسطية ويبيعك اياها أحياناً على كونها واسطية مع انها بصرية بخلاف الكتب ذات القراطيس الورقية فإنه لا يتيسر وقوع الغش فيها .

وقوله (وعلى الجلود يعتمد في حساب الدواوين وفي الصكاك والعهود وفي

الشروط وصور العقارات) ولا يعتمد في ذلك على الورق كذا زعم ابن الزيات اما الجاحظ فيخالفه فيه . وما المراد يا ترى من قوله (صُوَر العقارات) ؟ هل كانوا يصورون العقارات في صكوك بيعها وشرائها ؟ أم ان للصور هنا معنى آخر او هي محرفة ؟ او لعل المراد بصورها وتصويرها تخطيط مساحتها وتحديد أجزائها واقسامها وسائر مرافقها فيكون المراد بصور العقارات ما نسميه في الشام خارطة البناء او خريطة البناء ومخطط البناء ويسمى في مصر (تصميم) وبالافرنسية Croquis أو Plan .

وقوله (وانكرتَ ان تكون الفارة الى الجلود أسرع بل زعمت انها الى الكاغد أسرع وله أفسد) الكاغَد بفتح الغين يريد به الورق الذي يكتب عليه وهو لفظ فارسي معرب . والوزير ابن الزيات أتى أمراً فرياً في نظر الجاحظ لأنه زعم ان الفارة تسرع الى اوراق الكتب فتقرضها وتعيث فيها أكثر مما تسرع الى الجلود . والحق مع الجاحظ لأن جلود الكتب اذا كان يسرع اليها النتن بسبب ما يلحقها من الرطوبة أحياناً — كما مر ذلك من قول الجاحظ — كان ذلك النتن مما يُغري الفارة بالجلود وتمزيقها بأنيابها . لا جرم ان للفارة التي نحتقرها وندعوها بالفويرة تارة وبالفويسقة تارة نصيباً من أدب الجاحظ ومن عنايته وعناية مناظره العظيم الوزير ابن الزيات .

وبمناسبة اصطناع الكتب من الجلود والكاغد أوصى الجاحظ بتمييز (القرآن) وتخصيصه باسم (المصحف) وان كان المصحف في اللغة اسماً لما يجمع من القراطيس المكتوبة بين دفتين فقال (وقد كان في الواجب ان يدع الناس اسم المصحف للشيء الذي جمع القرآن دون كل مجلد) وما زال عمل الناس جارياً بوصية الجاحظ الى اليوم .

وفي ص ٧٩ اتهم الجاحظ صديقه الوزير بانه يريد ان لا يكون للجاحظ ولد يحيي ذكره فيحوي ميراثه رجال السوء من المعدِّلين (فقد رأيت صنيعهم في

مال المفقود والمناعة والوارث الضعيف ومن مات بغير وصية) لا يهمنا ان كان ما قاله الجاحظ في تهمة صديقه حقاً أو باطلاً وانما يهمنا ان نعرف مراده بقوله (والمناعة) وفي بعض النسخ (والصناعة) ولم يرضها المصحح وقال لعل الصواب (ومولى التباعة) ؟ وأحسن الكلمات الثلاث عندي هو (الضاعة) وتكون جمعاً لضائع كالصاغة في جمع صائغ والباعة في جمع بائع في نظير ذلك ويؤيده السياق ولا سيما قوله قبله المفقود فمال المفقودين والضائعين وضعاف الناس عرضة لتسلط الأشرار من معدّلي ذلك العصر ووكلاء دعاويه وقضاته . والمراد بالمعدّلين الشهود الذين يلازمون مصطبة المحكمة لتحمّل الشهادات .

وفي ص ٨٦ اذا تخلص العقل من سورة غضبه شعر براحة وطمأنينة وكان شأنه في ذلك شأن المخمور اذا صحا من سكره والمنهزم اذا عاد الى أهله والمقيد حين يفك من قيوده (والمبرسم اذا افاق من برسامه) . البرسام ومثله السرسام كلاهما لفظ فارسي مركب من كلمتين وبدلان على نوعين من المرض . فالبرسام مرض صدري أو هو ذات الرئة والسرسام مرض دماغي من اعراضه حمى دائمة يرافقها سهر واختلاط ذهن ومن هذه الجهة كان من الأمراض النفسية أيضاً فالإفاقة التي ذكرها الجاحظ انما تتصور في مرض السرسام لا البرسام فصواب برسامه سرسامه وصواب المبرسم المسرسم وفي بعض اللهجات العامية الشامية (مسرسب) بالباء ويعنون به المصاب بشيء من ذهول وعته ووسواس يجعله ينفر من مخالطة الناس ويتجنب مساسهم والدنو منهم .

وقوله ص ٨٧ (وكتب عمر الى قضاته أن ردوا القرابات عن حرّ القضاء فان ذلك يورث التضاغن) . (حرّ القضاء) ان لم تكن محرفة عن حكم القضاء كانت كناية عن لذع القضاء وحرقته التي يشعر بها المحكوم عليه في قلبه . وفي المستدرك من معاني الحرّ حرقة القلب من الوجع والغيظ . ومن ذلك قولهم : وجد حرارة السيف والضرب والفراق . فلا بدع ان يكون لحكم القاضي

حرارة في قلوب المحكوم عليهم . فعمر يوصي قضاته بأن يتجنبوا ايقاع الأحكام بين الأقارب فان الحكم مهما كان عادلاً لا بد ان يورث القلوب ضغناً وغيظاً دائماً فتبقى العداوة بين الأقارب الى ما شاء الله . وكان شيخنا محمد عبده يوصي القضاة من أصدقائه وتلاميذه بألا يصدروا حكماً اصلاً بين المتداعين أقارب كانوا او غير اقارب بل يعنوا باقامة الصلح بينهم مكان الحكم ويقول ان الحكم يقطع الوُصَل ويورث الاحقاد ويفسد ذات البين ويعرض المجتمع للخطر . ولا شيء أفضل من تقرير الصلح بينهم فإنه يلقي في المجتمع الطمأنينة والهدوء والهناءة والسلام . والمحاكم المسماة محاكم صلح في تشكيلات محاكمنا اليوم إنما اتخذت وسميت بالصلح لهذا الغرض الشريف وليتجنب الحاكم ما أمكنه الحكم وليؤثر الصلح واصلاح ذات البين .

وفي ص ٩٠ قوله (ولكنك استضعفتني وجعلتني فرّوج الرقا) رجح المصحح ان يكون صواب (الرقا) الرفّاء وهو الذي يرفو الثياب الممزقة فيكون الفرّوج بمعنى القباء الذي شق من خلفه فهذا القباء المسمى فروجاً اذا بلي اعطي الرفّاء ليرفوه ويصلح عيبه فهو ضعيف واهٍ . فضربه الجاحظ مثلاً لضعفه الذي اغرى به صديقه الوزير فغضب عليه ولجّ في عقابه . ولكن (فرّوج الرفاء) لم يشتهر استعماله بين البلغاء مضرب مثل في الضعف والوهن وانما المعهود في ذلك هو (فرّوج الرنقاء) اي فرخها و (الرنقاء) الدجاجة القاعدة على بيضها . فهذا الفرخ يضرب بضعفه المثل . قالت الزبّاء ابنة علقمة الطائي وقد اكرهتها أمها على الزواج بالحرث سيد بني اسد وكان شيخاً هرماً فتنفست يوماً وارخت عينيها بالبكاء وقالت (مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ) وعلى هذا يكون صواب (الرقا) (الرنقاء)

وقوله ص ٩٦ (وليس الصبر بالصمت والسكوت ولا بقلة الصياح والضمور ... وذو المخلب كله ضجور صياح . وذو الحافر كله كظوم ضاغن) والضمور بالراء صوابه والضموز بالزاي المعجمة بمعني السكوت وهو مأخوذ من ضموز البعير اذا

أمسك جرته في فيه ولم يجتر · اما ضمور الفرس بالراء المهملة فهو هزاله ولا مناسبة له هنا · وكذلك قوله في ما بعد (ضاغن) وفي الأصل بالميم ضامن فصححه المصحح بالضاغن (وهو الفرس الذي لا يعطي كل ما عنده من الجري الا بالضرب) ولا نراه يلتحم مع ما قبله أيضاً · وانما صوابه ضامز بالزاي من الضموز وهو السكوت والكظم كما مر · وقوله (وسمن ذي الظلف عام وهو في الضأن أخفى) ذوات الأظلاف من الماشية يعم فيها السمن ولكنه في الضأن أخفى ولا معنى للخفاء هنا فصوابه احد لفظين : إما (اخظى) بالخاء والظاء المعجمتين من خظا لحمه اذا اكتنز فالسمن في الضأن — بواسطة العناية بالرعي والتغذية المتواصلة — يكون اكثر وأشد اكتنازاً · والثاني ان يكون محرفاً من (احظى) بالحاء المهملة والظاء المعجمة أي سمن الضأن اشد حظوة في نفوس الناس وأشهى اليهم من السمن في سائر المواشي ·

وقوله ص ٩٧ (والبازي اكرم من الصقر ··· وأعفى صيداً · وأنبل نبلاً) قوله (وأعفى) اي واكثر · وقوله (نبلاً) بالباء صوابه (نيلاً) بالياء المثناة وهو ما تناله من عطاء ونحوه يقال اصاب فلان من الأمير نيلاً فيكون المراد من النيل الصيد الذي يناله صاحب البازي من كسب البازي · أما (أنبل) بالباء الموحدة فمعناه ازكى وأنجب وأفضل · ومحصل القول أن ما يصطاده البازي أوفر وأزكى وأشهى مما يصطاده الصقر ·

المغربي

نفائس المخطوطات العربية

في المشهد الرضوي المطهر

المشهد الرضوي المطهر هو البقعة التي تضم رفات الامام الثامن من أئمة الشيعة الاثني عشرية وهو الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام الذي انتقل الى الرفيق الأعلى في ٢٠٣ او ٢٠٢ للهجرة ودفن في ذلك المكان بالقرب من مدينة طوس في اقليم خراسان ، ومنذ ذلك الحين اخذت هذه البقعة تتسع حتى أضحت مدينة كبيرة هي اليوم من أمهات مدن ايران . وقد سميت المدينة [مشهد] او [آستان قدس] نسبة الى المشهد الرضوي الذي فيها .

وقد مرت بهذا الضريح ومشهده احداث كالتي مرت على صاحبه عليه السلام فقد ذكر المؤرخون ان الذي بنى الضريح وما حوله للمرة الأولى هو الخليفة العباسي المأمون بن الرشيد الذي كان كثير الحب لآل علي . وهم يذكرون انه احسن بناء هذا المشهد وزينه احسن تزيين . كما ان عمال خراسان ايام العباسيين كانوا لا يألون جهداً عن العناية به والاهتمام بما حوله . فلما انقضى عهد السلطة الحقيقية للعباسيين على ايران واخذت ايالات ايران تنفصل واحدة بعد اخرى عن بغداد واضطربت الحالة في ايران منذ نشوء دولة الطاهريين فالصفاريين فمن جاء بعدهم اخذت العناية تقل بهذا المكان وما حوله ويظهر انه قد أصابه بعض التخريب في عصر آل سبكتكين . وظل امر المشهد مهملاً او قليل الحظ حتى جاءت الأسرة الصفوية ، وكانت اسرة علوية شديدة التعصب للمذهب الشيعي المذهب الرسمي للبلاد ، فاهتمت ببنائه وزخرفته واضافت اليه ملحقات كثيرة من مدارس ومعاهد وربط . وقد كان الشاه طهماسب الأول هو اول

من اعتنى به فأعاد بناء ما تهدم احسن اعادة ، وذهب الجدران والقباب وأعاد للمشهد رونقه القديم ٠

وفي سنة ٩٩٧ ﻫ اصيب المسجد من جديد بالهدم وامتدت اليه يد بعض الأشرار فانتهكت حرمته وانتهبت كثيراً من نفائسه وتحفه وكتبه ، ولكن لم يلبث ان اعيد بناؤه من جديد ٠ وفي سنة ١٠٠٦ ﻫ أصاب المشهد ما أصابه في سنة ٩٩٧ من هدم ونهب بسبب الفتن والاضطراب التي كانت تقع في خراسان في تلك العصور ولما ان استقرت الحالة من جديد قام اهل الخير والمروءة وأعادوا بناء ما تهدم كما اعادوا اليه كثيراً من تحفه وسجاده ونفائس ذخائره وأضحى المشهد ومعاهده في القرن الحادي عشر جامعة كبرى تلقى فيها العلوم وتنسخ الكتب والمخطوطات وتلقى فيها المحاضرات في شتى العلوم الدينية والحكمية والأدبية من عربية وفارسية وخاصة في عهد الفاضلين الشيخ الحر العاملي والبهاء العاملي فانهما كانا لا يفتران عن القيام بالدروس والقاء المحاضرات وحض الناس على التعلم او استنساخ الكتب واهدائها الى خزانة المشهد المقدس ٠

ويظهر ان مكتبة المشهد قد أضحت منذ اوائل القرن العاشر مكتبة عظيمة بل من أعظم مكاتب ايران لا في عدد كتبها بل في نفائس ما فيها ، وفي عصر الدولة الصفوية ازدادت نفائس مخطوطاتها ففي أيام الشاه عباس زار الضريح وأهدى المكتبة كثيراً من الكتب والمصاحف النفيسة في خطها وصنعها ٠ وفي تلك الفترة أيضاً قدّم الشيخ البهاء العاملي الأديب العالم المشهور كنزاً من كتبه ومؤلفاته الى الخزانة وفيها كثير بخط يده الجميل ٠

ثم أخذت الهدايا من نفائس المخطوطات تتوارد على المكتبة حتى عصر رضا شاه وهي اليوم من أغنى مكاتب ايران واكثرها نفائس في الخط والمذهبات والمرقعات ولا يسبقها في هذا ، كما حدثني بعض فضلاء ايران ، الا مكتبة قصر كلستان الملكي التي تحتوي على كنوز وتحف لا تعرف ٠

* * *

وأقدم ما يعرف من فهارس خزانة المشهد فهرست يرجع الى سنة ١٢٩٦ ﻫ وهي السنة التي وقف فيها المرحوم الميرزا سعيد خان مؤتمن الملك كثيراً من الكتب القيمة ، حينما كان متولياً على اوقاف المشهد . وقد بلغت كتب الخزانة المشهدية في عهده ٢٠٦٩ كتاباً نظمت جميعها في خزائن حسنة الصنع . وهذا الفهرست لا يحتوي الا اسماء الكتب مع بعض معلومات عن مؤلفيها او واقفيها او سنة نسخها وفيه كثير من الأخطاء العلمية .

وفي سنة ١٣١٢ ﻫ تولى امر المشهد والمكتبة الامير مؤيد الدولة فزاد في الكتب وصنع لها فهرستاً جديداً وقد بلغت الكتب في عهده ٢٩٨٢ كتاباً .

وفي سنة ١٣٤١ ﻫ تولى أمر المكتبة العالم الفاضل ميرزا مرتضى قلي خان فنظم فهارسها من جديد ورتب كتبها ترتيباً جديداً ، ولكن فهرسه هذا لم يخل أيضاً من بعض الأغلاط . ولم يبق طويلاً في الاشراف على المكتبة بل حل محله في سنة ١٣٤٢ ﻫ الحاج ميرزا محمد علي خان فاهتم بالمكتبة كثيراً وزاد في مخطوطاتها ورتب لها فهرستاً حسناً ووظف بعض الأفاضل للعناية بالكتب وبأمر الخزانة والمطالعين ، كما وظف بعض المراقبين واصبحت المكتبة منذ ذلك الحين على شيء كثير من الترتيب والعناية بعد ان كانت قبلاً أشبه بمخزن كبير للكتب منها بمكتبة . وفي هذه الفترة انصرف بعض الموظفين فيها وهو الأديب الميرزا فضل الله السبزواري الملا باشي الى تنظيم فهرست حسن الترتيب ، وقد بلغت كتب الخزانة في هذه الفترة نحواً من ٣٣٤٤ مجلدة .

وفي سنة ١٣٤٥ طلب جلالة الشاه السابق رضا بهلوي الى القائم على المشهد المقدس الميرزا محمد ولي خان الاسدي ان يعتني بتنظيم فهرست لمحتويات الخزانة فاهتم السيد الاسدي بهذا الأمر واخرج ثلاثة اجزاء اشتملت على محتويات كتب المشهد من مخطوط ومطبوع ، ولكن عمله كان سريعاً وقليل الفائدة

ولكنه على كل حال عمل ذو خطر فقد كشف للناس القناع عن كثير من الكتب المجهولة في هذه الخزانة ·

ومحتويات هذه الخزانة اليوم ٤١٠٨ مجلدة منها ٢٧٧٥ مخطوطة والباقي مطبوع ·

وقد قسم السيد الاسدي فهرسته بحسب الموضوعات ، وقسم كل قسم الى بابين أحدهما خاص بالمخطوط والآخر خاص بالمطبوع واليك تفصيل ذلك :

المجلد الأول : يشتمل على اربعة فصول (١) علم الحكمة والكلام وما اليها (٢) المنطق (٣) التفسير (٤) علم الأخبار · (ويقصد بها الكتب المذهبية المتعلقة بالآثار الواردة عن اهل البيت وأخبارهم وفضائلهم وآداب زيارتهم وما الى ذلك) ·

(فالفصل الأول) فيه مخطوطات علم الحكمة والكلام واصول العقائد والتصوف ، وأرقامها من (١) الى (٢٩١) وفيه مطبوعات علم الحكمة والكلام وأصول العقائد والتصوف ، وارقامها من (١) الى (٩٠) ·

(والفصل الثاني) فيه مخطوطات علم المنطق وارقامها من (١) الى (١٦٦) وليس في هذا الفصل كتب مطبوعة

(والفصل الثالث) فيه مخطوطات علم التفسير وأرقامها من (١) الى (٢٩٩) وفيه مطبوعات علم التفسير وأرقامها من (١) الى (٥٠)

(والفصل الرابع) فيه مخطوطات الأخبار وأرقامها من (١) الى (٣١٩) وفيه مطبوعات الأخبار وأرقامها من (١) الى (١٧٧)

المجلد الثاني : ويشتمل على سبعة فصول (٥) علم الفقه (٦) علم الاصول (٧) علم التجويد (٨) الأدعية (٩) علم الأخلاق (١٠) علم الرجال والأنساب (١١) علم اللغة ·

(فالفصل الخامس) فيه مخطوطات الفقه على المذاهب الأربعة والمذهب الجعفري وأرقامها تبدأ من (١) الى (٤٦٩) وفيه مطبوعات الفقه على المذاهب الاربعة والمذهب الجعفري وأرقامها تبدأ من (١) الى (١٨٧) ·

(والفصل السادس) فيه مخطوطات علم الاصول وارقامها تبدأ من (١) الى (١٠١)
وفيه مطبوعات علم الاصول وارقامها تبدأ من (١) الى (٣٩)

(والفصل السابع) فيه مخطوطات علم التجويد وأرقامها تبدأ من (١) الى (٤٢)
وفيه مطبوعات علم التجويد وأرقامها تبدأ من (١) الى (٤)

(والفصل الثامن) فيه مخطوطات الأدعية وارقامها تبدأ من (١) الى (٢١٤)
وفيه مطبوعات الأدعية وارقامها تبدأ من (١) الى (٢٠٤)

(والفصل التاسع) فيه مخطوطات علم الأخلاق والمواعظ وأرقامها تبدأ من
(١) الى (٥١) وفيه مطبوعات علم الأخلاق والمواعظ وأرقامها تبدأ من (١) الى (٨١)

(والفصل العاشر) فيه مخطوطات علم الرجال والأنساب وأرقامها تبدأ من
(١) الى (٣١)

(الفصل الحادي عشر) وفيه مخطوطات علم اللغة وأرقامها تبدأ من (١) الى (٦١)
وفيه مطبوعات علم اللغة أرقامها تبدأ من (١) الى (٢٨)

(المجلد الثالث) : ويشتمل على ستة فصول : (١٢) في العربية (١٣) في البلاغة
(١٤) في التاريخ (١٥) في الأدب (١٦) في الطب (١٧) في الرياضيات .

(فالفصل الثاني عشر) فيه مخطوطات علم الصرف والنحو وأرقامها تبدأ من
(١) الى (١٤٤) وفيه مطبوعات علم الصرف والنحو وارقامها تبدأ من (١) الى (٣٥)

(والفصل الثالث عشر) فيه مخطوطات علمي المعاني والبيان وأرقامها تبدأ من
(١) الى (٥٢) وفيه مطبوعات علمي المعاني والبيان أرقامها تبدأ من (١) الى (٨)

(والفصل الرابع عشر) فيه مخطوطات علمي التاريخ والقصص وارقامها تبدأ من
(١) الى (٩٤) وفيه مطبوعات علمي التاريخ والقصص وارقامها تبدأ من (١) الى (٢٢٣)

(والفصل الخامس عشر) فيه مخطوطات علم الأدب وارقامها تبدأ من (١) الى
(١٣٩) وفيه مطبوعات علم الأدب وارقامها تبدأ من (١) الى (١٥٩)

(والفصل السادس عشر) وفيه مخطوطات الطب وأرقامها تبدأ من (١) الى (١٢٣) وفيه مطبوعات الطب وارقامها تبدأ من (١) الى (٢٧)

(والفصل السابع عشر) وفيه مخطوطات العلم الرياضي وارقامها تبدأ من (١) الى (١٨٩) وفيه مطبوعات العلم الرياضي وارقامها تبدأ من (١) الى (٢١)

هذا وقد رتبت الكتب التي اردت وصفها في هذه المقالة على سبعة اقسام (١) في التفسير وما اليه (٢) في الكتب المتعلقة بالمذهب الاثني عشري (٣) في الفلسفة والكلام والمنطق (٤) في التصوف (٥) في اللغة وعلوم العربية (٦) في الأدب والشعر (٧) في الموسيقى ·

(أ) كتب التفسير وما اليه

(١) معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط النحوي (— ٢٢١/٢١٥ هـ)[1] الامام النحوي الأشهر ذي التآليف الكثيرة التي عددها ابن النديم ولم يبق منها الا شرح « ابيات المعاني » ومنه نسخة في مكتبة الفاتيكان رقمها ٩٧٧ و « معاني القرآن » هذا ولا تعرف منه نسخة في العالم الا هذه النسخة ولكنها مع الأسف الشديد مخرومة الصدر واول الموجود منها « اسمه لأنك اذا صغرته قلت سمي ··· » ولعل النقص قليل · وآخرها « ··· ويقال فيها ان هذا آخر كتاب الأخفش في معاني القرآن والحمد لله » · وهي بقلم احمد بن احمد المقري كتبها في ربيع الأول سنة ٥١١ · وفي آخر ورقة منها ما نصه « نظره العبد لله والفقير الى رحمته علي بن صدقة بن مسيب المقري في شهور سنة تسع وثلاثين وستمائة » وقفها الأمير جبرائيل سنة ١٠٣٥ ، وعدد اوراقها ١٨٧ ورقمها ٢٣٠ تفسير ·

(٢) زاد المسير في علم التفسير

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم (٨١) وارشاد الأريب ٤ : ٢٤٢ ومرآة الجنان ٢ : ٦١ وبغية الوعاة : ٢٥٨ وبروكلمان ١ : ١٠٥ والذيل ١ : ١٦٥

لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن الجوزي (— ٥٩٧)
هذا الكتاب مؤلف[1] من اربعة اجزاء وليس في الخزانة الا الجزء الثاني واوله تفسير سورة الانعام وآخره تفسير سورة الحجر وأول النسخة «بسملة سورة الانعام فصل في نزولها روى مجاهد عن ابن عباس ...» وآخرها «... والثاني انه الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على اعدائك حكاه الماوردي . آخر الجزء الثاني من كتاب زاد المسير» والنسخة مكتوبة بخط نسخي جيد بقلم ابي حامد محمد بن عبد الخالق بن ابي هاشم الكرخي سنة اربع وثلاثين وستمائة عن نسخة المؤلف . وعدد اوراقها ٣٨٩ ورقمها ١٣٨ تفسير .

(٣) اسئلة اسرار مشكلات القرآن وأجوبتها

لزين الدين محمد بن ابي بكر بن عبد المحسن بن القاهر (القادر) الرازي الحنفي القادري (— ٦٦٠) وهو صاحب الكتاب المشهور «مختار الصحاح» وله شرح على «بدء الأمالي» وتحفة الملوك وغيرها من الكتب الأدبية واللغوية[2] .

والنسخة جد قيمة سلك فيها مسلك الأدباء واللغويين ، واكثر من الشواهد والأبحاث اللغوية واولها «بسملة قال الفقير الى رحمة ربه ومغفرته محمد بن ابي بكر القادري عفى الله عنه ....» وهي في ٢٥٩ ورقة وقفها الملا موسى وهي مكتوبة بقلم حسن نستعليق في سنة ٩٦٩ ورقمها ٤ تفسير .

(٤) كنز العرفان في آيات الاحكام (في تفسير القرآن)

للمقداد بن جمال الدين عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد السيوري الحلبي الشيعي الملقب بتلميذ الشهيد الأول وبفاضل مقداد ، المتوفى في حدود سنة ٨٢٢ وقد مات وهو في طريقه من ايران الى العراق ودفن في بقعة هناك في صحراء شهروان وقبره هناك ويغلط من يظن انه قبر الصحابي الجليل المقداد بن الاسود فان هذا دفن في البقيع . والسيوري من جلة علماء الشيعة وكبار مؤلفيهم ومن

(١) انظر بروكلمان ١ : ٥٠٤ رقم (٣٣) .
(٢) انظر بروكلمان ١ : ٣٨٣ والذيل ١ : ٦٥٨

آثاره : نهج المسترشدين ، والتنقيح الرائع في شرح مختصر الشرائع ، وشرح كتاب « الباب الحادي عشر » واسمه النافع يوم الحشر [١] ، وشرح فصول الخواجة نصير الدين الطوسي [٢] . وكتاب « كنز العرفان » وقد رتبه على ابواب الفقه فابتدأ بكتاب الطهارة واختتم بكتاب الديات ولم يأت في كتابه هذا بسوى الآيات الكريمة والأقوال الصحيحة في تفسيرها عن الأئمة المعصومين ، كما ذكر في كتابه هذا طرفاً من النكت الأدبية والبيانية وأوله « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب لكل شيء تبياناً ... » والنسخة جيدة الخط مكتوبة بقلم نسخي في ٣٩٤ ورقة وقفها الأمير جبريل ورقمها (١٨٠) تفسير . وقد طبع هذا الكتاب في طهران سنة ١٣١٣ ولكن نسخه جد عزيزة وفي خزانتنا نسخة منه .

(٥) عرائس البيان في حقائق القرآن .

للشيخ صدر الدين روزبهان ابي محمد بن ابي النصر الفسوي الشيرازي البقلي الكازروني الصوفي المشهور بالشيخ الشطاح . طاف البلاد واستقر بالاسكندرية ثم آب الى بلاده وأقام بشيراز يعظ بها ويرشد الى ان هلك سنة ٦٠٦ [٣] .

وعرائس البيان تفسير سلك فيه مسلك الصوفية واختار بعض الآيات التي تحتاج الى تفسير على رأيه ففسرها على طريقتهم وأوله « بسملة يارب يسر يا كريم الحمد لله الذي كان في ازل الأزل موجوداً بوجوده .... » والنسخة بخط محمد غني بن صفي الله الحسيني الشهير بسلامي كتبها سنة ١٠٦٠ بقلم نسخي جيد . ووقفها المرحوم عضد الملك عدد اوراقها (٢٦٠) ورقمها ٤٩ تفسير .

(٦) العروة الوثقى .

للشيخ بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الحائري

(١) في خزانتنا نسخة نفيسة من هذا الكتاب .
(٢) انظر أمل الآمل ٧١ والروضات : ٤٢٨ وبروكلمان الذيل ٢ : ٢٠٩
(٣) انظر بروكلمان ١ : ٤١٤ والذيل ١ : ٧٣٥

الجبائي (٩٥٣ — ١٠٣٠) المشهور بشيخ بهائي وهو صاحب الكشكول والمخلاة المشهورين وكتاب الحبل المتين، ومشرق الشمسين وهما من الكتب المعتبرة عند الشيعة الامامية وله آثار كثيرة بالعربية والفارسية [١] وقد كان للبهاء مكانة سامية عند الشاه عباس الكبير .

والعروة الوثقى حاشية له وضعها على تفسير البيضاوي ولكنه لم يتمها بل بلغ فيها الى تفسير الآية الحادية والعشرين من سورة البقرة . وقد ضمنها كثيراً من الأمثال والشواهد والأخبار الأدبية واللغوية وأولها « بسملة الحمد لله الذي انزل على عبده كتاباً الهيّاً .... » والنسخة مكتوبة بخط نسخي حسن في ٢٩ ورقة كتبت في سنة ١٠٣٧ ورقمها ١٤٧ تفسير [٢] .

(٧) مشكل اعراب القرآن الكريم

لأبي محمد مكي بن ابي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني المقري المفسر (٣٥٤ — ٤٣٧ هـ) [٣] . والكتاب من الكتب القيمة التي سلك فيها مسلك المحققين وجميع وجوه الاعراب لكل آية على اختلاف القراءات والمذاهب اللغوية والنحوية . والنسخة جد نفيسة اولها « بسملة ... اما بعد فاني رأيت أفضل علم صرفت اليه الهمم ... هو كتاب الله ... »

وهي بقلم نسخي كتبها محمود بن ميمون بن محمود سنة ٦٧٠

(ب) الكتب المذهبية

(٨) دعائم الاسلام

لأبي حنيفة الشيعي النعمان بن ابي عبد الله محمد بن منصور بن احمد بن حيوان

(١) انظر بروكلمان ٢ : ٢٩٧ ونقد الرجال للتفرشي : ٣٠٣

(٢) انظر بروكلمان ٢ : ٥٩٧ رقم ٢٣ .

(٣) انظر أخباره في ارشاد الأريب لياقوت ٧ : ١٧٣ وطبقات القراء لابن الجزري ٢ : ٣٠٩ والبغية للسيوطي : ٣٩٦ ومفتاح السعادة لطاش كبرى زادة ١ : ٤٠٩ وعقود الجوهر لجميل العظم ١ : ٢٩٧ والوفيات ٢ : ٧٢ وبروكلمان ١ : ٤٠٧ والذيل ١ : ٧١٩ .

(— ٣٦٣) كان قاضي مصر ايام الخليفة الفاطمي تميم بن منصور وهو من كبار الدعاة الى المذهب الفاطمي والكتاب من افضل الكتب الفريدة التي بقيت عن المذهب الشيعي في أيام الفاطميين وهو في مجلدين ضخمين ضمنها ابو حنيفة مجالسه في الوعظ والدعوة ، كما ضمنها كثيراً من اخبار الدعوة والدعاة واركان المذهب وتعاليمه .

اول الجزء الاول « بسملة قال الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .... » وعدد اوراق هذا المجلد ٢٧٤ ورقة

والثاني في ١٩١ ورقة اوله « ذكر الحض على طلب الرزق .... » وآخره « ومن قواصم الظهر سلطان جائر يعصي الله وانت تطيعه » . والمجلدان مكتوبان سنة ١٠٠٣ ورقمها ١١٥/١١٦ أخبار .

(٩) الخرائج والجرائح :

لأبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن قطب الدين الراوندي الفقيه الطبيب الثقة ولد سنة ٤٣٦ وتوفي في عهد الخليفة المقتدر بالله العباسي وهو اول من شرح نهج البلاغة ونقل كثيراً عنه ابن ابي الحديد في شرحه ومن آثاره الكثيرة بقي : المغني في تدبير الأمراض ، وكتاب خلق الانسان ، وكتب اخرى في الطب ، والخرائج والجرائح .

وهو كتاب معتبر عن الشيعة الامامية جمع فيه معجزات النبي (ﷺ) وكرامات الأئمة الاثنى عشر وأوله « بسملة أما بعد حمد الله الذي هدانا الى منهاج الدليل ... » وهو مؤلف من عشرين باباً وقد طبع هذا الكتاب ولكن طبعته رديئة والنسخة مكتوبة بقلم نسخي جيد في سنة ٩٨٥ وقفها الخواجة شير احمد ورقمها (١١٠) أخبار . وفي خزانتنا نسخة منه حسنة الضبط .

(١٠) الاربعون حديثاً

للبهاء العاملي (انظر رقم ٦)

وهو من امهات كتبهم الكثيرة التداول والاعتماد عليها كبير واوله « ان احسن حديث تحلى اللسان ... » وقد أتم تأليفه في سنة ٩٩٥ والنسخة مكتوبة بقلم نسخي حسن وقفها الحاج سيد حسن اليزدي وعدد أوراقها ١٤٢ وقد طبعت مرات ورقمها (١٨) أخبار . وفي خزانتنا نسخة منها .

(١١) ايضاح مخالفة السنة لبعض الكتاب والسنة

لجمال الدين ابي منصور آية الله الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلّي المشهور بالعلامة (٦٤٨ — ٧٢٦) . وقد كان من كبار أئمتهم المعتبرين وكبار مؤلفيهم [١] ، قال عنه صاحب نقد الرجال : « ويخطر ببالي ان لا اصفه اذ لا يسع كتابي هذا ذكر علومه وتصانيفه وفضائله ومحامده وان كل ما يوصف به من جميل وفضل فهو فوقه وله أزيد من سبعين كتابا في الأصول والفروع والطبيعي والالهي وغيرها . ومن جملة كتبه منتهى الطلب وهو سبع مجلدات ، وتذكرة الفقهاء وهو اربع عشر مجلدا وكتاب مختلف الشيعة وهو ست مجلدات ... ودفن بمشهد الغروي » ومن آثاره الباقية : نظم البراهين في اصول الدين ، وارشاد الأذهان الى أحكام الامام ، وقواعد الاحكام في معرفة الحلال والحرام وهو المشهور باسم « قواعد علاّمة » ومنهاج الكرامة في معرفة الامامة ، وخلاصة الأقوال في معرفة الرجال ، وايضاح الاشتباه في اسماء الرواة .

وكتاب الايضاح تفسير للقرآن مؤلف من ثلاثة أجزاء لم يبق منها الا الجزء الثاني وأوله « بسملة قال الله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا .... » وآخره « تم الجزء الثاني من كتاب ايضاح مخالفة السنة في نص الكتاب والسنة ويتلوه الجزء الثالث سورة النساء على يد العبد الفقير الى الله حسن بن يوسف المطهر مصنف الكتاب تسويداً في المقبرة الشريفة الغروية بتاريخ سنة ثلاث

---

(١) انظر أمل الآمل : ٤٠ ومنتهى المقال : ١٠٥ وروضات الجنات : ١٧١ ومجالس المؤمنين : ٢٧٦٠ وهدية الأحباب : ٢٠١ ونقد الرجال : ١٠٠

وعشرين وسبعمائة ٠٠٠ » والنسخة مكتوبة بعد هذا التاريخ بخط نسخي عادي وقفها ابن خاتون سنة ١٠٦٧ وعدد أوراقها ١١٥ ورقمها (٥) تفسير ٠

(١٥) الاستغاثة في بدع الثلاثة (او) البدع المحدثة بعد الاسلام ٠

للسيد علي بن ابي القاسم العلوي الكوفي الفقيه المتوفى سنة ٣٥٢ ، وقد كان اماميًا معتدلاً في أمره وكان مستقيم الطريقة ثم انقلب آخر امره غاليًا شديد الغلو وقد ضمن كتابه هذا وبعض كتب اخرى كثيراً من الأخبار التي لا تليق ٠

والكتاب في ٥٤ ورقة ضمنها كثيراً من الأخبار التي لا سند صحيح لها وجلها مطاعن في الخلفاء الثلاثة الراشدين ٠ وقد اعتمد عليه ابن شهراشوب في كثير من نقوله في كتاب « المناقب » وسماه كتاب « البدع المحدثة بعد الاسلام » ٠

وأوله « الحمد لله ذي الطول والامتنان والعز والسلطان ٠ ٠ ٠ ٠ » وآخره « ٠ ٠ ٠ ٠ وقد شرحنا من فساده وأوضحنا من باطله ما فيه كفايته » ٠ والنسخة حسنة الخط مكتوبة بقلم نسخي سنة تسع وستين وتسعمائة ٠ وقفها الخواجة شير احمد ورقمها ٤٠٦ اخبار ٠ ولم أعثر فيما بين يدي من مصادر على نسخة اخرى كما لم اعثر على شيء مفصل من حياة مؤلفها وأخباره ٠

(١٦) الشافي في الامامة

للشريف المرتضى ابي القاسم علي بن الطاهر الحسين الموسوي علم الهدى (ــ ٤٣٦)[١] قال عنه النجاشي (من كبار مؤلفي كتب الرجال عند الشيعة) في رجاله « حاز من العلوم ما لم يدانه فيه احد في زمانه وجمع من الحديث فاكثر وكان متكلماً شاعراً أديبًا عظيم المنزلة في الدين والدنيا صنف كتبًا مات رضي الله عنه لخمس بقين من شهر ربيع الاول ٠٠ وصلى عليه ابنه في داره ودفن فيها توليت غسله ومعي الشريف ابو يعلى محمد بن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز »[٢]

(١) انظر بروكلمان ١/٤١٤ والذيل ١/٧٠٦

(٢) انظر نقد الرجال ٢٣٣ : وقد اضاف على الهامش عند قوله « ودفن في داره » : ثم نقل الى جوار جده الحسين كذا نقل من تنزيه ذوي العقول في أنساب آل الرسول ٠

وله ديوان شعر يزيد على عشرين الف بيت .

والكتاب من الكتب المعتبرة عن الشيعة جمع فيه كثيراً من الأخبار والأقوال الخاصة بالامامة وأحكامها عند الجعفرية ، كما ضمنه كثيراً من الاحكام الشرعية والنكات الأدبية . واوله « بسملة الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ... » وهو في (٢٧٠) ورقة ورقمه ١٧١ أخبار .

(١٧) الأنوار البدرية في رد شبهات النواصب القدرية

للحسن بن محمد بن علي المهلبي الحلي الشيعي وكان حياً في حدود الثمانمائة وكان فاضلاً واسع الاطلاع في التاريخ والكلام .

وقد ألف كتابه هذا رداً على كتاب انتقاد الشيعه الامامية ليوسف الواسطي وهو في ٣٦٦ ورقة اوله « الحمد لله الذي هدانا بمن كتب على نفسه من الرحمة بواضح المنهاج ... »

وآخره « فرغت من تسويد كتابة الكتاب يوم الأحد اثني عشر سنة اثني عشر والف » وهو مكتوب بقلم نسخي حسن وقفه الخواجة شير احمد ورقمه (٢٣) . وفي الخزانة نسخة أخرى مخرومة الأول والآخر رقمها (٣٤) .

(يتبع) اسعد طلس

التعريف والنقد

عبقرية الاسلام في اصول الحكم

ألفه الدكتور منير العجلاني
الأستاذ في كلية الحقوق بدمشق

هذا الكتاب مما جمعه مؤلفه فأحسن جمعه ، ووضعه فأحكم وضعه ؛ فجاء معلمة موجزة : « في تاريخ الحكومة الاسلامية من عهد الرسول (ﷺ) الى آخر العهد العباسي » . فمن موضوعات الكتاب : « مولد الحكومة الاسلامية » ، و « طبقات الناس » ، وهو فصل تكلّم فيه عن الأرقاء ، والموالي ، والمرأة ، واهل الذمة ، والاشراف ، عرّف كل طبقة وذكر ما كانت عليه قبل الاسلام ، وما صارت اليه بعده . و « الحكومة في الجاهلية » ، و « حكومة النبي » : كيف نشأت ، وما كان فيها من اعمال ، ومن مناصب وامراء وعمال . ثم « الخلافة » وطأ لها بمقدمة تاريخية . وذكر تعريفها وألقابها ، وشعارها وأبهتها ، ووحدتها وشروطها وحقوقها . و « الوزارة » تعريفها وتاريخها ووحدتها ، وصفات الوزراء ، وسلطانهم وتقاليدهم والقابهم وآدابهم . و « الامارة » ، و « الحسبة » ، و « الشرطة » ، و « الدواوين » ، و « المظالم » ، و « القضاء » ، و « العقوبات » ، ثم « الموارد المالية » وهو خاتمة الكتاب .

استهل المؤلف كتابه بقوله : « نشر قاض مصري من سنوات كتاباً اسماه : « الاسلام واصول الحكم » زعم فيه : ان اصول الحكم ليست من الدين في كثير ولا قليل . فللمسلمين ان يختاروا لأنفسهم نوع الحكم الذي يرضي أذواقهم ، فان أرادوا كانوا ملكيين ، وان ارادوا كانوا جمهوريين ، وان ارادوا كانوا فاشيين ، وان أرادوا كانوا شيوعيين ؛ كل هذا متروك لاجتهادهم الخاص

لا يلزمهم فيه الدين بشيء ، ولا يحاسبهم منه على شيء ؛ فان اصول الحكم كانت اهون عند محمد (ﷺ) من جناح بعوضة » .

وعقب الأستاذ العجلاني على كلة القاضي المصري ، بكلمة لقاض لبناني : « أنكر فيها على الاسلام ان يكون عرف القضاء - ايام الرسول وايام خلفائه الراشدين - وانما هو شيء وجده الأمويون فى الشام والعراق ومصر ، فأخذوه عن شعوبها .. »

قال المؤلف : « هذه المزاعم وأضرابها هي التي حفزتني الى الكتابة في تاريخ الحكم الاسلامي . ذلك اني التمست جواباً عليهـا في الكتب التي تداولتها الأيدي في هذا الفن فلم أجده ، وانما وجدته متفرقاً في كتب الأدب والتاريخ والتفسير والحديث والسير . »

واذا كان الأستاذ العجلاني قد وفق في الرد على القاضي اللبناني ؛ فجاءه بسند من التاريخ ، بل بنص من القرآن نفسه ، أن العرب عرفوا القضاء وعانوه ، قبل ان خرجوا من الحجاز الى الشام ومصر والعراق ؛ فانه - في رأينا - لم يوفق في رده على القاضي المصري ، التوفيق كله ، ولا بعضه .

نقل المؤلف في مقدمته ما حدث به ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والنحل) : « ان الأمويين استبدوا بالخلافة ، فنهض فقيه من الأردن يقول : لا تجوز الخلافة شرعاً الاّ في بني امية بن عبد شمس . ثم استبد العباسيون في الخلافة . فقالت الراوندية : لا تجوز الخلافة شرعاً الاّ في ولد العباس بن عبد المطلب . ونادى ولد علي بن ابي طالب : انهم اصحاب الحق بالخلافة : فاجتمع حولهم علماء كثيرون لا يرون الخلافة جائزة الاّ فيهم » .

« كل هؤلاء الفقهاء السياسيين ، احتاجوا الى نصوص يسيطرون بها على عقول العامة ، فراحوا يطلبونها في « احاديث » الرسول .. وكم وضعت على لسان النبي احاديث لم يقلها ... أو اخذت الأحاديث التي قيلت في ظرف مخصوص ، فأخرجت عن دائرتها وفسرت على غير وجهها ..

لقد ترك لنا النبي (ﷺ) أموراً كثيرة من امور السياسة والادارة ، لم يبين لنا احكامها ، فلنفكر فيها بعقولنا ، ولنرجع فيها الى ضمائرنا ، فان ما نراه حسناً ، قد تكفل لنا رسول الله بأن الله يراه حسناً .»

قلنا : اذا كان «الفقهاء السياسيون» وجدوا أو اوجدوا لكل من تولوا الخلافة حديثاً او مستنداً يقول : ان الخلافة لا تجوز الا لهم ؛ فان هؤلاء الفقهاء لأحرياء ان يبتدعوا لكل شكل من اشكال الحكم القائم : خلافة ، أو ملكية او امارة ، او جمهورية ؛ مقيداً او مطلقاً ، فاشياً او نازياً او شيوعياً ؛ ما ينطبق على الدين ، بل هم خلقاء ان يجعلوه الشكل الذي أراده الدين نفسه .

واذا كان «الفقه السياسي» لم يؤثر قليلاً ولا كثيراً في سقوط خلافة قوم فسدت سياساتهم ، فزالت دولتهم ، فشكل الحكم مهما كان ، لا يبقى على دولة فسد القائمون عليها .

وأخرى ، هي ان الاسلام او المسلمين ما وقفوا عند شكل واحد من اشكال الحكم فتقيدوا به ، فنقول : هذا هو الحكم الذي أمر الله به ورسوله . فلقد عرفوا الخلافة موحدة ومتعددة ؛ وعرفوا الملكية مطلقة ومقيدة ، وعرفوا ما يشبه الجمهورية قديماً ، وعرفوها اليوم ؛ بل هم قد عرفوا لكلٍّ من هذه الأشكال لوناً يختلف عن لون أخيه ؛ فخلافة الراشدين والبيعة في أيامهم ، وولاية العهد عندهم ، غيرها أيام الأمويين ؛ وليست هي اياها في عهد العباسيين والفاطميين ، بل خلافة الراشدين انفسهم على قلة في عددهم ، وعلى قربها عهداً من الرسول ، لم تكن واحدة : اختياراً وبيعة .

ثم ما لنا ولهذا كله ، فالمؤلف نفسه يقول : «لقد ترك لنا النبي أموراً كثيرة من امور السياسة والادارة ... نفكر فيها بعقولنا ، ونرجع فيها الى ضمائرنا ، فما نراه حسناً فهو عند الله حسن ! ..»

الاسلام يهمه من الحكم نوعه لا شكله ، فهو يريد العدل للناس ؛ والعدل

يقوم على روح الحكم ، ثم لا فرق بعد ذلك أكان ملكياً أم جمهورياً ؛ اشتراكياً ام شيوعياً ؛ فليست هذه المذاهب مطلوبة لذاتها ، محبّبة لاسمها ، بل على قدر ما فيها من صلاح ، من حيث الزمان والمكان . فقد يقبح اليوم ما كان حسناً بالأمس ، وقد يحسن بهذا القطر ما يقبح بالقطر الآخر . فعلى الأمة الرشيدة أن تختار الحكم الذي يرضي مصلحتها ـ لا ذوقها ـ على ما قال الأستاذ عبد الرزاق ، فحيث تكون مصلحتنا العامة ، فثمة الحكم الذي نرضاه ، والصداقة التي ننشدها .

ولا نطيل في هذا ، اكثر من هذا ؛ بعد ان يقول المؤلف : « اذن ليس كل ما قاله القاضي المصري الفاضل (صحيحاً) ، وهبه صحيحاً فاننا انما نؤرخ في هذا الكتاب للحكم الاسلامي » .

يؤخذ على الأستاذ أنه يجتهد احياناً ليجعل من عمل بعض الخلفاء او الوزراء ؛ او من صفات يريدها أديب او فقيه او مؤرخ ، في الخليفة او الوزير ؛ قاعدة يبني عليها اصول الحكم . فاذا كان العمل الطالح يعمله الخليفة او الوزير ، لا يكون حجة في الطعن على الحكم عامة ، فكذلك العمل الصالح يقوم به خليفة او وزير ، لا يكون الحجة التي يقال معها : على هذا بنيت اصول الحكم . فأكثر كلام الأدباء والفقهاء والمؤرخين في الخلفاء والوزراء والمستوزرين لا قيمة له ، بل هو أشبه شيء بمقالات الجرائد ، وبيانات الوزراء وتصريحاتهم الرسمية ، وخطب المعارضين ، ومناهجهم الوطنية والشعبية ، في يوم الناس هذا .

وقد نقل المؤلف : أن جماعة ارادوا الرسول ـ وقد فتح مكة ـ على ان يصرف الحجابة عن صاحبها ويجعلها لعلي بن ابي طالب ، قال : « على نحو ما يصنع الحكام الجدد الذين ما يكادون يتسلمون مقاليد الحكم حتى يقذفوا (بالموظفين) الاكفياء ذات اليمين وذات الشمال ، ليضعوا مكانهم اقرباءهم وأنصارهم » .

وهي غمزة غمزها المؤلف قبل ان يلي الوزارة . ولكنها غمزة في غير موضعها . فليست البلية في ان الحكام عندنا يقذفون بالموظفين الأكفياء ذات اليمين

وذات الشمال . بل البلية في انهم لا يقذفون أحداً لا الأكفياء ولا غير الاكفياء . وهذا التصنيف ، قد فُتح به باب القذف على مصراعيه ، فما قذفوا منه حتى «أشد الناس عداوة للذين آمنوا» بل اصبح معه اتباع الأمس أسياد اليوم .

وأراد المؤلف ان يجعل من بعض الوقائع الغالبة احكاماً عامة ثابتة . من ذلك قسمه الامارة امارتين : امارة عامة على الصلاة والخراج . وامارة خاصة على الصلاة . قال : وان كلمة «الصلاة» لا تعني امامة الناس في صلواتهم فقط ، وانما تعني الولاية عليهم في جميع الأمور : الدينية والسياسية والحربية ، والقضائية والادارية باستثناء «جباية الأموال» فاذا جمع الأمير الصلاة والخراج كانت «امارته عامة» وان قصروا امارته على الصلاة فهي «امارة خاصة» .

ولو كان ذلك كذلك عاماً ، لكانت الامارة على الحرب مثلاً داخلة حكماً في الامارة على الصلاة ، ولما كان من حاجة الى ذكرها معها وعطفها عليها ، حتى في كثير من المواضع التي ذكرها المؤلف نفسه .

وقد جاءت في هذا الكتاب الفاظ لم يعرفها العرب حتى اواخر القرن الرابع الهجري ، فكان اولى ان يستعمل في مواضعها ما كان يعرفه العرب :

البحر الأبيض المتوسط ، بدلاً من بحر الشام . الموظفون ، بدلاً من العمال . «وقد تكررت هذه اللفظة عشرات المرات ، وفي الصفحة الواحدة حتى ليخيل اليك انك تقرأ قانون الموظفين» . روما ، بدلاً من رومية . والوليد الثاني بدلا من الوليد بن يزيد .

ومن الاستعمال الذي كان يستغنى عنه في مثل هذا الكتاب العربي البحت :

المراكز الحساسة ، والمنصب الحساس . والاكثار من استعمال (ما) : (رجل ما) و (حد ما) و (جهة ما) و (خليفة ما) و ... و ... واعتنق ديناً ، ولا أكثر ولا أقل ، وهي ترجمة حرفية عن الفرنسية ، لا يجيزها البيان العربي الا بتأويل وتكلف . ولم يملك لا كثيراً ولا قليلاً .

ومن الكلمات التي تحتاج الى رجع نظر فيها :

(مُباعات) وصوابها مبيعات . ومصانة وصوابها مصونة ، (وقد جاءت في تقليد الصابي وهي ولا شك من خطأ النساخ) ولا سيما وقد جاء فيه بعدها : (وامره ان يصون ...) .

ومثل هذه الهنات التى أشرنا الى بعضها لا يخلو منها كتاب يؤلفه احدنا في أيامنا هذه . وما أردنا الا ان نلفت نظر المؤلف العليم اليها حتى اذا رأى فيها رأينا استدركها في طبعة جديدة .

وبعد ، فان في هذا الكتاب من الفوائد الادارية والسياسية ، ما لو عمل القائمون على الحكم في البلاد العربية ببعضه ، لكنا من أمرنا في أمنة ومنعة ودعة ، ولكن أنى هذا ، وقد ذهب الذين يعملون ، وجاء الذين يقولون ؛ وشتان ما هما .

فنشكر للوزير المؤلف ما عاناه من جهد في جمع هذا الكتاب ووضعه ، حتى جاء مجموعة قيمة من الفوائد التي لا يستغني عنها معنيٌّ بالسياسة ، متتبع للتاريخ .

عارف النكدي

عائشة والسياسة

تأليف الأستاذ سعيد الأفغاني

كتاب يقع في ثلاث مئة صفحة وتزيد ، من القطع الكبير ، حسن الطبع والتبويب . طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .

الكتابة في التاريخ خطة صعبة ، لا يؤمن فيها العثار . فالانسان عسير عليه مهما اجتهد ان يتفلت من مشاعره ، وان يخالف عقائده ؛ وما فيه من نزعة الوراثة ، وهب استطاع ذلك او بعضه ، فهو في ما يكتبه عالة على من سبقه فكتب في التاريخ . والمؤرخون ـ الا اقلهم ـ جروا وراء منازعهم ، واتبعوا مذاهبهم ، وأرضوا نزعاتهم ؛ فأرخ كل مؤرخ ما أملاه عليه هواه السياسي أو المذهبي .

وصدق الأستاذ السيد محسن الأمين في كلمته التي بعث بها الى المؤلف وفيها :

« ومهما بذل العلماء جهودهم في تنقية الأخبار لم يستطيعوا ـ وان تخيلوا ذلك ـ لأن العصبيات المذهبية والعداوات الدينية تأصلت في النفوس ، وتوارثها الخلف عن السلف ، ومن أراد تجريد نفسه عنها لم يوفق لكثرة ما في الأمر من اختلاط ، الا ما شاء الله ، ولا يمكننا تنزيه ما عند فريق دون فريق عن ذلك . فما علينا الا ان ننعم النظر ، ونأخذ بما اتفق عليه الكل ، وتوافقت عليه الأخبار من الطرفين . وأيده الكتاب العزيز والسنة الثابتة عند الجميع » .

ويقول المؤلف : « .... ومن راعى جانب الناس وحاذر ان يصدم ما نشأوا عليه من اهواء ، قضى ولم يقل من الحق شيئاً . وبحثنا هذا شائك ، ما في ذلك ريب ، وقد استعنت الله وسلكته على حرجه ، بل لعلي لم اسلكه الا لحرجه ، وأحب ان يعلم القارئ اني شرعت فيه قبل عشر سنين كوامل ، وانا كغيري من المشتغلين بالتاريخ والأدب ، احمل آراء في بعض الحوادث ، واحكاماً على بعض الأشخاص ، فما زلت أوغل في بحثي ، وأتحرى الصغيرة والكبيرة ، وأنظر في مبادئ الحوادث ثم في ذيولها البعيدة .... حتى غيرت ـ على رغم هواي ومألفي ـ كثيراً من تلك الآراء وهذه الأحكام . »

فهل تحرر الأستاذ الأفغاني فعلاً في بحوثه (الشائكة) من سلطان المذهب والعصبية ؛ فكان في ما كتبه المؤرخ العربي المسلم ، او انه ظن ذلك في نفسه ، ولم يكنه ؟ .

في الحق ، ان الكتابة في مثل هذا الموضوع الذي عالجه المؤلف ليست صعبة فحسب بل شائكة ؛ فعائشة (رضي الله عنها) طهرها قوم وكفرها آخرون ؛ فهل جرى المؤلف في تأليفه على ما أخذ نفسه به من النزاهة والتجرد ؟ فكان لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، فذكر ما لها غير غالٍ ، وما عليها غير قالٍ ؟ .

نعم ! نقولها غير مترددين . واذا كان ثمة من موطن يناقش فيه ، او رأي يؤخذ عليه ، فما احسب ان المناقش او المؤاخذ يكون اكثر من المؤلف توفيقاً في دعم حجة وهدم حجة .

يقول الأستاذ : « ... الادارة والسياسة تقتضيان بعداً في التفكير ، ومنطقاً سديداً ، وحساباً دقيقاً للعواقب ، وصبراً مضنياً ، وضبطاً للعواطف ، وكبحاً للأهواء والنزوات .... الى صفات كثيرة كلها يعوز المرأة بل يعوز اكثر الرجال . فلا عجب ان كان اضطراب الأمور وتدخل المرأة في السياسة قرينين في التاريخ لا يفترقان ، الا حين يدبر الأمورَ للمرأة وزراء حصيفون من وراء ستار . ومع هذا فقلما خلت امرأة ـ مهما حف بها من فحول المحنكين (كذا) ـ من طامع فيها ، مستغل لضعفها ؛ وما أكثر ما حفظ التاريخ من سير عروش كان الغرام هو الحاكم في ممالكها .... المرأة ريحانة وليست بقهرمانة » .

هذه كلمة عامة ، في المرأة عامة ، تنطبق على كل امرأة ومنهن عائشة ؛ غير ان المؤلف لم يقف عند هذه الكلمة العامة ، بل قال في عائشة كلمة خاصة في خاتمة كلامه :

« ان المرأة لم تخلق قط لتدس نفسها في المنازعات السياسية ... وليس لها ان تشارك في القلاقل والاضطرابات والفتن . ان بيدها مفاتيح خطيرة في التأثير في نفوس الجماهير واستغلال حميتهم ونخوتهم ... وقد أثبتت لك انه لولا موقف السيدة عائشة في امر عثمان ، ثم المطالبة بدمه من بعد ، لتغير مجرى الحوادث في تاريخنا ... ولسارتِ سيراً مأموناً مطرد الرقي مباركاً ، فيه الخير كل الخير للأقطار الاسلامية . »

هذا وأمثاله مما جاء في الكتاب ، يدلك على رأي المؤلف الناضج الموفق ؛ وهو : ان عائشة ما كان من مصلحتها ولا من مصلحة المسلمين ، ان تدخل نفسها في سياسةٍ جرّت كثيراً من المصائب على العرب وعلى المسلمين .

فاذا هو انتهى من هذا الذي عليها من الناحية السياسية ، عاد يثني على علمها : « وانه قد بلغ ذروة الاحاطة والنضج في كل ما اتصل بالدين من قرآن وحديث وتفسير وفقه .... فكان عمر يحيل عليها كل ما تعلق بأحوال النساء او باحوال النبي البيتية ؛ لا يضارعها في هذا الاختصاص احد من النساء على الاطلاق » .

وفي الكتاب على ما قال صاحبه : « الأدب الغزير ، من نثر وشعر واراجيز ، زخرت بها تلك الحوادث الجسام التي اكتوى بهـا العالم الاسلامي يومئذٍ . فنفث المصدورون من أبطال القتال وفرسان البلاغة أدباً حياً خالداً .... تقرؤه فتشارك قائليه شدائدهم وأهوالهم ، وتجد في نفسك الحسرة التي وجدوها ، وتعاني الآلام التي عانوا ، وتكاد كبدك تتفطر ألماً لما كابدوا .... واذا انت أيضاً تنفس عن صدرك بدموع حرار تسكبها غزاراً وأنت مغلوب على أمرك .... »

قلنا : كأننا في يومنا هذا ؛ نختلف ونتلاحك ونتقاتل ؛ والعدو على الأبواب ، يستولي على ديارنا بقعة بقعة ، وبلداً بلداً ، ونحن في هذا الذي نحن فيه ، نمكن له من التغلل والتغلب على العواصم والثغور .

والذي أريده ـ على ذكر هذا الذي ذكرته ـ ان يقرأ كل عربي ما جاء في كتاب الأستاذ الأفغاني عن ابن سبأ : هذا اليهودي الذي ملأت دسائسه ومؤامراته بلاد العرب ، ففرّق الصفوف ، وزرع البغضاء في القلوب ؛ كمثل ما يفعله قومه اليوم ، وهم يكتسحون بلاد العرب ويعملون على تهويدها قومياً ودينياً .

وفي الكتاب كثير من الآراء الصائبة (راجع الصفحات الـ ١٠٦ و ٢٠٧ و ٢١٠ و ٢١١) والحجج الراجحة كرده على الشيخ عبد الوهاب النجار في الصفحة الـ ٩٦ وهو رد موفق ، لم يوفق مثله بالرد عليه في الصفحة الـ ١١٢ ـ ١١٣

والكتاب بعد مكتوب بلغة عربية ناصعة لا يكتب التاريخ في يومنا هذا بأحسن منهـا .

على أننا نريد ان نلفت نظر المؤلف المدقق الى بعض الفاظ وقفنا عندها . منها : جمعه (نيـة) على (نوايا) وما نحسبها تجمع على غير (نيات) . وضبطه (خُبْث) بالضم والتسكين ، في قوله : (كما يخلص الذهب من خُبْثه ، او الثوب من دَرَنه) ولعل الصواب من (خَبَثه) بالتحريك . و (الخَبَث) من المعدن : ما ينفيه الكير مما لا خير فيه ، وبذلك يستقيم المعنى والمبنى بين (خَبَثه) و (دَرَنه) .

واستعمل (الغوغاء) بمعنى الصوت والضجة في قوله : (وكانت بحيث تسمع الغوغاء . . فلم تلبث ان سمعت غوغاء شديدة فقالت ما هذا قالوا ضجة العسكر) . و (الغوغاء) طغام الناس واوشابهم ولعله أراد (الضوضاء) .

وقوله : « ولنرجع ثلاثين سنة . . . فسنجد » وفي رأينا ان الرجوع الى الوراء ثلاثين سنة لا يجتمع وهذه (السين) . وقوله : (تنبه الى هذا الخطر أهل البصر : السنيين والشيعيين) والصواب (السنيون والشيعيون) وقد يكون الأصل (من السنيين والشيعيين) فسقطت (من) في الطبع .

وفي بيت للزبير :

فقلت حسبك من عدل ابا حسن فبعض الذي قد قلت يكفيني

وهو عجز سقطت منه كلمة فاختل وزنه ، ويمكن ان يقال :

فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

واستعمل (المياتم) جمع (ميتم) لـ (بيت اليتيم) أو (دار اليتيم) وما اظن ان الميتم يؤدي هذا المعنى .

وكنت افضل لو كتب (روما) (رومية) كما كان يكتبها العرب . وكذلك (روسية) و (اوربة) و (اميركة) فذلك اشبه بمصطلح العرب .

هذا ، والشكر الجزيل للمؤلف الفاضل على هذا الكتاب الذي أخرجه أحسن مخرج : موضوعاً ولغةً وأسلوباً وبياناً .

ع . ن

استدراك

ورد في السطر الخامس من الصفحة ٥٩٧ من المجلد الثالث والعشرين (لعله من العراق ؟) والصواب حذف ذلك لأنه زيادة .

ع . ن

الدارس في تاريخ المدارس

تأليف عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي المتوفى سنة ٩٢٧

الجزء الأول ص ٦٦٥ عني بنشره وتحقيقه الأمير جعفر الحسني

وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي وطبع بمطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٧ - ١٩٤٨

هذا كتاب آية من آيات المجد العربي فهو تاريخ العلم في دمشق مدة خمسة قرون، وتاريخ من درس في مدراسها من العلماء والفقهاء والمحدثين والقراء والأطباء، حرص المجمع العلمي العربي على نشره منذ زمن وعهد الى ثلاثة أساتذة من أعضائه (الشيخ عبد القادر المبارك والشيخ عبد القادر المغربي والسيد سليم الجندي) النظر في معارضته على عدة نسخ، ثم دفعه الى زميلهم الأستاذ الأمير جعفر الحسني فعلق عليه ونشره على صورة علمية مدققة فجاء مصدراً نفيساً من مصادرنا التاريخية التي لا غنية عنها.

وقد وقع في اسم كتاب الدارس واسم مؤلفه اختلاف منذ القديم فمنهم من نسبه لابن حجي ومنهم من عزاه الى النعيمي وكذلك كان اختلافهم في اسمه فقد قال السخاوي في الضوء اللامع عند ترجمة ابن حجي ان له كتاباً نفيساً سماه الدارس في أخبار المدارس قد احترق غالبه في وقعة التتار وقفت على كراريس منه محرقة. وقد كنا سألنا صديقنا فقيد العلم احمد تيمور باشا رأيه في الكتاب ومؤلفه فأجابنا: (والذي تبين لي أن الدارس في المدارس لا شبهة في أنه لابن حجي. اما موضوعه فيجوز ان يكون من موضوع كتاب النعيمي كما يجوز ان يكون مغايراً له. وأما كتاب النعيمي فلا أدري من أين اتاه هذا الاسم بعد ان صرح المؤلف في خطبته بانه سماه «تنبيه الطالب وارشاد الدارس لأحوال مواضع الفوائد بدمشق كدور القرآن والحديث والمدارس» الخ. وجاء في خطبة مختصره لعبد الباسط العلموي ما نصه «وبعد فهذا تعليق لطيف اختصرت فيه كتاب تنبيه الطالب وارشاد الدارس للعلامة محيي الدين ابي المفاخر النعيمي

الشافعي رحمه الله » الخ • وفي كشف الظنون : « تنبيه الطالب وارشاد الدارس فيما بدمشق من الجوامع والمدارس لمحيي الدين ابي المفاخر النعيمي الشافعي ومختصره للشيخ عبد الباسط الواعظ الدمشقي وهو مرتب على احد عشر باباً وخاتمة » انتهى ولم يذكر في حرف الدال الدارس • والظاهر ان بعضهم أراد اختصار اسم الكتاب فسماه بالدارس الا ان يكون المؤلف سمى الكتاب باسمين فقد يفعله بعض المؤلفين بل رأيت من سمى كتابه بثلاثة أسماء ولكن لا بد في ذلك من نص يثبته ولا أدري هل ورد هذا الاسم في طرة نسخة الظاهرية وهل هي قديمة يجوز الاعتماد على ما فيها ام لا) •

وبعد فانه لا يضرُّ العلم الاختلاف في اسم الكتاب واسم مؤلفه بقدر ما يضره فقده وعفاؤه • وان المجمع العلمي ليغتبط ان نشره للناس ووضعه بين أيدي الراغبين للانتفاع به ، وعلى القصور في تراجم اكثر من ترجم لهم المؤلف من اعيان تلك العصور فانه ضمَّ فوائد كثيرة وفيه وقفنا على اسماء مدارس وعلماء ما كانت تعرف لولا الدارس ، عرفنا في جملة ما عرفنا اسماء مهندسين واطباء وانه في دمشق كان للهندسة مدرسة ومدارس طبية وكانت عناية هذه المدارس بالعلوم الدينية خاصة ولم تغفل العلوم الدنيوية وما قيل في جقمق ومدرسته صورة من العصر مكبرة وما قيل في المدرسة الجقمقية وما صودر به جقمق وما كان اخذ قازان من اهل دمشق من الأموال واستفدنا مبلغ عناية الملوك بالعلماء والعلم وكانت التداريس بمراسيم سلطانية وتواقيع ملوكية واستفدنا منه اسماء الكتب التي كانت رائجة في التدريس وكانت تحفظ ومنها ما فقد واستفدنا مما نشر من الأقضية والأوامر فيما ورد من مصر الى الشام ان القضاة لا يطلبون أحداً من عند حكام السياسة ولا يحكمون في من سبقت دعواه اليهم وكذلك حكام السياسة لا يأخذون أحداً من مجالس الشرع الشريف ولا يحكمون فيه الى غير ذلك مما لا نكاد نجده اليوم في كتاب •

فالشكر لصديقنا الأمير جعفر الحسني على العناية التي بذلها في خدمة هذا السفر الجليل •

محمد كرد علي

« مذكرات خالدة »

أدب المذكرات عريق في ثقافة الأمم ، فلقد عرفته الانسانية المتأدبة منذ القديم وما آثار « تيت ليف » و « تاسيت » ولا خواطر « كسينوفان » و « أريستوفان » إلا مذكرات فيها كثير مما عاين هؤلاء المفكرون وما تمرسوا به من شؤون وشجون ، وكتب من بعدهم ناس في دنيا الأدب العتيق أخباراً ورسائل وصفوا فيها صوراً من حياتهم ومنازعهم وألواناً من معايشهم وفنونهم ، لكن أحداً منهم لم يفرد للمذكرات كتاباً خاصاً ، وحين هب الأدب الغربي في أرجاء اوروبة أخذ فريق من الكتاب والمفكرين يعبرون عن آرائهم وخواطرهم بأسلوب المذكرات ، وقد بدت آثارهم النفسية وميولهم الذاتية في صور اعترافات ، والاعترافات أشد لصوقاً بصاحبها وتبياناً من المذكرات .

حين قرأت اعترافات فتى العصر لألفريد ده موسيه قلت كم يحلو التأدب بهذه الفكر النافذة على مفاسد الحياة ، والتي تبصر الناشئة بمزالق الشباب ، فلما نقلها الى العربية الخطيب الأديب المأسوف عليه فليكس فارس أهدى الي نسخة منها فقرأتها وأنا أقول : هل يطلع أديب في لغتنا فيكتب لنا قصة حياته على هذا النحو الصادق في تمحيص الفلسفة الضارة والحضارة المتهورة ، وراح فكري وراء كتاب « الأيام » الذي قص فيه الدكتور طه حسين ذكريات طفولته وصباه بين الريف والأزهر ، فكانت هذه القصة الرائعة تأخذ مكانها في منتصف الطريق بين المذكرات والاعترافات ، وكذلك « يوميات نائب في الأرياف » للأستاذ توفيق الحكيم ، فقد صور فيها على السجية والحقيقة حياة القرية في مصر ، فكانت أصدق آثاره وأحسنها ، ولعل الأدب في دنيا المسيحيين قد تناول هذا اللون من الشعور الديني فانتقل فيه الاعتراف من حجرة الكنيسة الضيقة الى آفاق الحياة الواسعة ، ويا روعة حدث في أدب الغرب الحديث جاء به آندره جيد في اعترافاته وذكرياته التي باتت أروع أدب إنساني موروث عن الحضارة

الفكرية الغربية وقد شاع هذا اللون من الأدب في آثار الأمم المعاصرة حتى رأينا كثيراً من المذكرات في الأدب وفي السياسة، لرجال ونساء .

وإذا انتقلت الى أدب المذكرات عند العرب وجدت أدبنا لم يكن خلواً منها، فان طائفة من الرواة والأدباء القدامى كانوا يعرفون بالأخباريين، وهل كان أدبهم في جملته إلا مذكرات عما عالجوا وعاينوا في حياتهم، وهذا ابو عثمان الجاحظ حشر في كتبه كثيراً من الذكريات في كل ما عرض له ورآه، فهو حيناً يصور مزاجه في الصحة والمرض، وآونة يعبر عن خواطره وأطواره فيما اتفق له مع العلماء والكبراء، ولكم قص علينا كيف كان يأكل وماذا أكل وأين سهر وبات؛ لقد عاش أوائلنا في أدبهم حياة خافقة بأرواحهم متألقة بمواهبهم، وما فاتهم أن يقيدوا في دفاترهم جوانب من حوادثهم اليومية ونوادر لفريق ممن عاشروهم ومارسوهم .

ولئن سبقت مصر في نهضتها الأدبية الحديثة الى أدب المذكرات، فشاع في آثار أعلامها فإن علامة الشام وباعث نهضتها الفكرية الأستاذ محمد كرد علي شاء ان يسد هذا النقص في أدبنا الجديد، بل ان ظهور مذكراته في فترة طغت فيها المادة وضاع صوت الأدب ليعد حدثاً رائعاً، وما هذه المذكرات إلا سجل كبير لحياة حافلة بالأحداث الجسام مرت بالمراحل والعهود التي ألمت ببلاد الشام، وفي المذكرات صور لطائفة ممن عرفهم المؤلف في الشرق والغرب وفي دنيا السياسة والصحافة، وفيها موضوعات منوعة عالجها وقيدها كما قال في روح مذكراته « ليشاركه أبناء هذا الجيل والذي بعده في الانكار على من أضجروه بقصورهم وآلموه بغرورهم »، وكان قصده منها « التحذير من دجل الدجالين والتنبيه على أحابيل المبطلين، والعمل على مكافحة الظالمين، ليعرف أن كل جيل لا يخلو من دعاة يحلو لهم الجهر بالحق مهما جشمهم، ومن افضل الطرق اليه ضرب السفهاء في وجوههم بعيوبهم » .

لقد جمع الأستاذ « كرد علي » في مذكراته سيرة حياته منذ كان يدلف الى الكتّاب الى يومه هذا وفي خلال ذلك ذكر أروع الحوادث التي عرضت له في وطنه وغربته ، في حياته العلمية والسياسية ، ولعل نبوغه المبكر وامتداد صيته الى مصر قد ملأا عمره بهذه الصفحات الغر من الذكرى البعيدة والقريبة

وأول ما طلع علينا من هذه المذكرات لقب مؤلفها وهو « كرد علي » فقد حيره هذا اللقب وحير الناس في أمره ، غير أنه أفضى بعنصره ولقبه الى قارئه فقال :

« جاء جدي من مدينة السليمانية من بلاد الأكراد ، شمال العراق ، وسكن دمشق قبل نحو مائة وخمسين سنة ، وأمي شركسية من قفقاسيا ، فأنا على رغم أنف من آمن وكفر من جنس آري لا يقبل النزاع ، وليس للغربي ولا للشرقي ما يقول في دمي » الى أن يقول « ولما بدأت أكتب في الصحف كان أقصى همي أن أعود الى اسمي الأول والى لقب بيتنا القديم ، فأصبحت « محمد كرد علي » واغتبطت ان حافظت عليه طول عمري وبه اشتهرت » .

وهنا لا بد لي أن أرى لنسب الأستاذ كرد علي الى العنصر الآري أثراً في نبوغه وإبداعه ، وهو رأي أرسله على نحو ما أرسل سليمان البستاني سنة ١٩٠٤ والأستاذ العقاد من بعده بأن تفوق ابن الرومي في الشعر وتجديده فيه كان من هذه الآرية المبدعة .

ثم يمضي الأستاذ كرد علي بقارئ مذكراته إلى ذكريات طفولته ، فياله شيخاً باعد العمر بينه وبين تلك الطفولة الذكية التي كان يصحب فيها أمه الى أسرة بزقاق النارنجة في حي القيمرية بدمشق فيقع نظره لأول مرة على رفوف مصفوف عليها المجلدات ، فيشهق متعجباً ، ويسأل والدته عنها فتجيبه بأنها كتب يقرأ فيها العلماء ، ويعجب الصغير هذا المنظر الطريف فيقول لأمه : أنا أحب أن أتعلم هذه الصنعة !

وشاء القدر أن يربط بعد حين برابطة العلم والأدب بين هذا الفتى النجيب

وبين أكبر عالم سوري في زمانه هو الشيخ طاهر الجزائري الذي ملأ الأستاذ كرد علي قلبه وفاء له فوفاه حقه من الثناء والإعجاب في كثير من صفحات الكتاب ، وما كان أجدره بأن يؤلف للعالم الاسلامي كتاباً عن شيخه الجزائري الذي يعد في الديار الشامية كالشيخ محمد عبده في الديار المصرية .

ويصف بعد ذلك صاحب المذكرات أعذب الذكريات عن صغره العجيب وأثر الغوطة في حياته وثقافته ، منذ كان يذهب الى مزرعة أبيه في جسرين ويمتزج بالفلاحين فلا يتأنف منهم ولا يتجنى عليهم ، لقد نزل دوح جسرين لحنى عليه صغيراً وكبيراً ، وكان هو ـ مد الله في حياته ـ وفياً للغوطة على العمر ، ففي أفيائها ورياضها دوّن الأستاذ كرد علي كثيراً من ذكرياته ، ولو أن هذه المذكرات جاءت بترتيب زمني وتتابع منطقي لكانت أوفى بمعناها .

وإذا كانت تآليف الأستاذ كرد علي في جبين الحياة الشامية درة لا تقدر بثمن فإن مذكراته الخطيرة أروعها وأبقاها على الزمان ، فإلى صاحب هذه المذكرات التي جاءت بدعاً من مؤلفات العرب في هذا العصر بما فيها من حرية وبيان وعنافة وطرافة ، اليه تحياتي على الرغم مما جار فيه على بنات جنسي في مجاراة أعداء المرأة وظالميها الذين ينفون عنها كل موهبة ويجردونها حتى من خصائصها الطبيعية .

(دمشق) وداد سكاكيني

النظرية العامة

للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية

تأليف المحامي : صبحي المحمصاني

دكتور في الحقوق (ليون) ب . ح . (لندن)

أستاذ المجلة والقانون الروماني في جامعة بيروت الأميركية

الجزء الأول (ص ٢٦٠) . (الناشر : مكتبة الكشاف ومطبعتها : بيروت)

موضوع هذا الكتاب النفيس هو المقارنة بين فقه الاسلام في التصرفات الشرعية بوجه عام ، والتصرفات غير الشرعية أيضاً ، وبين ما يقابل هذه التصرفات

القانونية وغير القانونية في أعظم الشرائع القديمة والحديثة ، الدينية منها والمدنية ، كالعهد القديم (التوراة) والقانون الروماني ، وكالشرائع المدنية الأميركية والانكليزية والفرنسية والسويسرية ، والقانون المدني الألماني ، وقانون الموجبات والعقود اللبناني . والدكتور المحمصاني واسع الاطلاع على كتب الحديث ، ومذاهب الفقهاء فهو حجة في صحة ما ينقله عن أمهات المراجع الاسلامية كالمدونة الكبرى لإمام دار الهجرة مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ ه والأم للامام الشافعي (٢٠٤) والمجموع للنووي(٦٧٦) وهوشرح مهذب الشيرازي الشافعي (٤٧٦) والمغني للموفق المقدسي الحنبلي (٦٢٠) مع الشرح الكبير لابن أخي المؤلف وتلميذه شمس الدين المقدسي (٦٨٢) وكالمحلى لمجدد القرن الخامس أبي محمد ابن حزم (٤٥٦) وكل مؤلف من هذه المؤلفات المذكورة يشتمل على اجزاء كثيرة ، فهو ينقل عن هذه الأمهات ، ويشير الى الأجزاء والصفحات ، وما يعزوه الى غيرها كثير أيضاً ، وهذا دأبه فيما يترجمه من المواد والأحكام ، عن كتب الحقوق الفرنسية والانكليزية وغيرها ، وهو ما تقتضيه أمانة العلم ، وقد قسم المؤلف هذا الجزء الأول من كتابه الى قسمين :

١ — التصرفات الشرعية بوجه عام .

٢ — التصرفات الفعلية أو الأعمال غير المباحة ويدخل فيها كما قال : أبحاث سوء استعمال الحقوق ، وأعمال الفضولي ، والكسب غير المشروع ، والجنايات والحدود ، والغصب والتعزير ، والجرائم المدنية ، ومسؤولية الإنسان عن أعماله وأعمال غيره ، وأعمال الجوامد والحيوانات التي تقع تحت حراسته .

نظرية الموجبات والالتزامات

قال الأستاذ المؤلف : إن نظرية الموجبات والالتزامات نظرية عامة ، وهي بلا ريب أهم ما ترك الرومانيون من نظريات وأبحاث فقهية ، فإنها تشمل ناحية كبيرة من المعاملات الشرعية ، وتضم القواعد التي ترتكز عليها جميعاً ، وقد

أعرب الدكتور المحمصاني عن قصده في طليعة كتابه فقال : وإنما الغاية من وضع كتابي استخلاص النظرية العامة للالتزام في الشريعة الاسلامية ، ومقارنتها بالنظرية العامة المعروفة في القوانين المدنية العصرية ، وأنا لا أدعي ان المسلمين في دراساتهم الفقهية تطرقوا من حيث الأسلوب الى نظرية عامة تشبه النظرية الحديثة ، بل انهم على العكس لم يفعلوا ذلك لأن هذه النظرية رومانية الأصل وإن الفقه الاسلامي لم يتأثر مبدئياً بفقه الرومان ، كما أثبت في كتاب « فلسفة التشريع في الإسلام » .

وهنا نشكر الدكتور على عنايته بهذا المبحث الجد ، وإثباته استقلال شرعة الاسلام عن فقه الرومان ، وتخطئته لمن يتخيل الإمام أبا حنيفة النعمان وغيره من الأئمة مترجمين لفقه الرومان ، ويوهمون أن ما يقتبسه الشرق من قوانين الغرب الجديدة هو دليل على أن التاريخ يعيد نفسه في هذا المضمار ، ثم يكتبون ويستنتجون كما تشاء أهواؤهم ، أو كما يمليه عليهم اعتقادهم المغلوط ، أو كما تؤهلهم له دراساتهم السطحية ، ثم قال أثابه الله وأدام توفيقه : وإن كل هذا والله كان من العوامل التي دفعتني الى تأليف كتابي (ص ٧) .

وأجاب المؤلف معتذراً عن فقهاء الإسلام - في إهمالهم لوضع النظرية العامة للعقود كلها ، وما يقابلها من موجبات والتزامات - ومعللاً ذلك بقوله : ولا عجب من ذلك فالفقه الاسلامي لم ينشأ تأريخياً عن بحث علمي ، بل هو وليد القضايا العملية التي كانت أسباب نزول الآيات القرآنية ، وأسباب السنة القولية والفعلية والتقريرية ، والتي كانت ميداناً للاجتهاد والقياس والاستدلال والاستحسان ؛ هذه القضايا العملية وجدت قبل أن توجد المبادئ العامة والقواعد الكلية . اه ص ٣١
وقد بين المؤلف معنى الموجب والالتزام في اللغة والاصطلاح الفقهي ، ومنه : وجب عقد البيع وجوباً بمعنى لزم وتم ، وعناصر الموجب : الدائن أو الدائنون ، والمدين أو المدينون ، ثم الرباط القانوني الذي يربطها ، ويعتبر المدين بموجبه ملزَماً

(أو ملتزماً) نحو الدائن ، وأخيراً الموضوع ، وهو إما أداء شيء ، أو تسليم شيء أو إجراء عمل ، أو الامتناع عن عمل معين » .

وهنا يخطر في البال سؤال وهو أن الكتاب العزيز والسنة النبوية وافيان بالنصوص التي تعد أصولاً لهذه (النظرية العامة) - الرومانيـة الأصل والتي اقتبستها القوانين الحديثة - في العقود والعهود والشروط والموجبات والالتزامات ، وهي دالة على معانيها ومقاصدها ، بعموم الفاظها لا بطريق الاجتهاد والاستحسان ، وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية طائفة منها في (أعلام الموقعين) وسترى أنها هي في نفسها قواعد كلية ومبادئ عامة مشتملة على المصالح والمطالب الشرعية ، معللة بعللها وأسبابها ، ولم أرها في كتاب « النظرية العامة للموجبات والعقود » وهي مما يتصل بصميم موضوعه ، وأعلام الموقعين من مراجع الدكتور الكبرى ، وهو معجب بمؤلفه احد أئمة الاصلاح والتجديد (٧٥١) وقد نشر في مجلة مجمعنا العلمي وهو من اعضائه مقالاً ضافياً عنه (ج ٣ م ٢٣) أبان فيه اعجابه بمزاياه ، وإني ألخص عن ابن القيم في أعلامه جملاً قصيرة مما يدخل في نصوص « النظرية العامة » وأدع الباقي لمن يريد استيفاءه منه :

قال عليه الرحمة والرضوان : ان ما لا تتناهى افراده لا يمتنع أن يجعل انواعاً ، فيحكم لكل نوع منها بحكم واحد ، فتدخل الأفراد التي لا تتناهى تحت ذلك النوع ، الى أن قال : « دخل في قوله : وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ما لا تحصى أفراده من الجنايات وعقوباتها حتى اللطمة والضربة والكسعة [1] كما فهمه الصحابة . ودخل في قوله : « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغي بغير الحق » تحريم كل فاحشة ظاهرة وباطنة ، وكل ظلم وعدوان في نفس او مال او عرض .

ودخل في قوله « والجروح قصاص » وجوبه في كل جرح يمكن القصاص منه ، وليس هذا تخصيصاً ، بل هو مفهوم من قوله قصاص وهو المماثلة .

---

(١) كسعه : اذا ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه

ودخل في قوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » وجوب نفقة الطفل وكسوته ، ونفقة مرضعته على كل وارث قريب او بعيد .

ودخل في قوله : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » جميع الحقوق التي للمرأة وعليها ، وأن مرد ذلك الى ما يتعارفه الناس بينهم ، ويجعلونه معروفاً لا منكراً ، والقرآن والسنة كفيلان بهذا أتم كفالة (ج ٢ ، ٢٦ ـ ٢٧) [1] .

النصوص الكلية العامة المغنية عن القياس في « العقود والموجبات »

وقد زاد الإمام ابن القيم على ما تقدم من النصوص العامة المغنية عن القياس في العقود والموجبات معاً ، زيادات مهمة تدل على شمول النصوص للأحكام وتفاوت الأفهام فيها ، وبيان دلالة النص ، والاكتفاء به عما عداه ، وأن القياس شاهد وتابع ، لا أنه مستقل في إثبات حكم من الأحكام لم تدل عليه النصوص :

فمن ذلك الاكتفاء بقوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » عن إثبات قطع النباش بالقياس اسماً او حكماً ، إذ السارق يعم في لغة العرب وعرف الشارع سارق ثياب الأحياء والأموات .

ومن ذلك الاكتفاء بقوله : « قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم » في تناوله لكل يمين منعقدة يحلف بها المسلمون من غير تخصيص إلا بنص أو اجماع ، وقد بين ذلك سبحانه في قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين » فهذا صريح في أن كل يمين منعقدة فهذه كفارتها ، وقد أدخلت الصحابة في هذا النص الحلف بالتزام الواجبات ، والحلف بأحب القربات المالية الى الله وهو العتق .

ومن ذلك الاكتفاء بقوله ﷺ : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد في إبطال كل عقد نهى الله ورسوله عنه وحرمه ، وأنه لغو لا يعتد به نكاحاً كان او طلاقاً او غيرهما .

---

(١) من أعلام الموقعين المطبوع مع حادي الأرواح المؤلف أيضاً (طبعة فرج الله زكي الكردي بمصر سنة ١٣٢٥ هـ) .

ومن ذلك الاكتفاء بقوله تعالى : « وقد فصَّل لكم ما حرم عليكم » مع قوله ﷺ : « وما سكت عنه فهو مما عفا عنه » فكل ما لم يبين الله ولا رسوله تحريمه من المطاعم والمشارب والملابس والعقود والشروط فلا يجوز تحريمها ، فان الله سبحانه قد فصل لنا ما حرم علينا ، فما كان من هذه الأشياء حراماً ، فلا بد أن يكون تحريمه مفصلاً ، وكما أنه لا يجوز إباحة ما حرمه الله ، فكذلك لا يجوز تحريم ما عفا عنه وأحله وبالله التوفيق » (ج ٢ : ٨١ ـ ٨٣) .

أقول : هذا قليل من كثير من النصوص العامة الشاملة التي تجمع بين المتماثلات ، وتثبت « النظرية العامة للعقود والموجبات » إذ أنها صريحة في أن جميع العقود الدنيوية مأذون فيها ، وعلى الإباحة والصحة وهي تشمل الغذاء والكساء والبناء ، والبيوع والأنكحة وغيرها ، وما فيها من شروط وقيود ، وأنه لا يصح تحريم شيء منها ، ولا تأثيم أحد فيها ، إلا بنص من الشارع ، وقد فصل لنا ما حرم علينا منها . والأصل في ذلك قول الله العليم الحكيم في اول سورة المائدة « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » فهو أمر بالوفاء في كل عقد عقده المؤمن وارتبط به مع غيره ، ويدخل في هذا الباب : العقدُ بالفعل ، كإعطاء المال لمن بيده تذاكر السفر في البواخر ، والمراكب البرية والجوية . ومثله قوله : « وأوفوا بالعهد » فهو أمر بالوفاء بالعهود كلها ، وقال : « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » فهذه الأدلة تثبت « النظرية العامة في العقود » ويدخل فيها جميع ما أورده الفقهاء في أبواب المعاملات التي عقدوها في كتبهم ، وما سكت عنه الشارع رحمة منه غير نسيان ولا إهمال . وإنما نهى الرسول ﷺ ، عن أنواع من المعاقدات كانت في الجاهلية لما فيها من غبن وغش ، وغرر وضرر ، وأمثلتها معروفة في الصحيحين وغيرهما ، وهي معاقدات باطلة ، لأنها مناقضة للعقود الصحيحة النافعة ، أو هي من الكسب غير المشروع ، ومثلها الخلف في العهود ، والحنث في الأيمان والعقود ، والأعمال غير المباحة كالجرائم (التي يرتكبها شخص ،

ويلتزم بضمان نتائجها) كما قال المؤلف فهي كلها داخلة في مصادر الالتزام والموجبات من كتاب « النظرية العامة » .

ومن هذه القواعد القرآنية ، والمبادئ الكلية العامة التي اشتقت منها ، أخذ علماء الأصول قواعدهم ، وبنى عليها الفقهاء أحكامهم ، فالقرآن الكريم - في هذا الباب كشريعة الرومان - هو أصل الأصول ، ومصدر التشريع والتفريع ، والاستنباط والتخريج ، وقد أسند فيه الافتاء والقضاء الى منزله « قل الله يفتيكم » « فالله يحكم بينهم » وقضت به سنة النبي عليه السلام ، في النوازل والأحكام ، وسار على هذين الأصلين الصدر الأول ومن تبعهم بإحسان ، أخذاً واستدلالاً ، واجتهاداً وقياساً ، فتولدت الفروع من الأصول ، وتنوعت فيها المآخذ والمدارك ، ودونت المذاهب على تراخي العصور ، ورتب الفقه هذا الترتيب الذي تراه في مصنفاته .

ولعل مؤلفنا القانوني الكبير يفرغ في الجزء الثاني هذه المباحث العلمية في لغة النظريات الحديثة ، ويضيف ذلك الى مآثر ابن القيم وخصائصه .

هذا وانا نوجه نظر المؤلف الكريم إلى ما يأتي ولعله من سهو القلم :

جاء في ص ٨٤ و ٨٥ و ٨٧ : « ابن القيم الجوزية » وإنما هو ابن قيم الجوزية ، والجوزية من مدارس دمشق وقد أم الناس فيها كما في طبقات الحافظ ابن رجب « ودرس بالصدرية وأمّ بالجوزية مدة طويلة » والدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٠ ، والشذرات ج ٦ ص ١٦٩

ص ١١٧ و ٢٢٥ « في المذهب الظاهري البائد »

إن أدري كيف يكون بائداً وهو مدون في كتب المذاهب والخلاف المطبوعة ، ومعدود من أفضلها بما فيه من اتباع الدليل ، ومستفاد منه على مر العصور ، وهذا امام الشافعية في عصره ، العز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء (المتوفى سنة ٦٦٠) يقول : ما رأيت في كتب الإسلام في العلم ، مثل : المحلّى والمجلّي (لابن حزم) وكتاب المغني للشيخ موفق الدين بن قدامة في جودتها ،

وتحقيق ما فيها ، وكان يستعير المحلى وشرحه المجلى كما انه نقل عنه أنه قال : لم تطب نفسي بالفتيا حتى صارت نسخة من المغني عندي (انظر ترجمة الموفق في مقدمة المغني طبعة المنار) وقد طبع كتاب المحلى العظيم لابن حزم الظاهري ، وعنه نقل المؤلف ، كما طبع بعض فضلاء الحنابلة بدمشق أقوال الإمام داود الظاهري واختيارات شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة واحدة .

ص ١٧٣ «وهذا الاختلاف في الاستعمال لايجب ان يفسر بالغموض ولا بالابهام» وإذا انتفى الوجوب في لغة الفقه بقي الجواز ، والصواب : لا يجوز أن يفسر الخ .

وبعد فإن هذا الكتاب من خير ما ألف في موضوعه ضبطاً وتحريراً ، ودلالة على المصادر الفقهية الكبرى ، وأخذاً عنها ، وموازنة بينها وبين المآخذ الأوربية ، وترجيحاً للفقه الاسلامي عليها ، وهو من أهم المراجع لانشاء مجلة تسير على نهج مجلة الأحكام العثمانية (على ألا تكون مثلها مقيدة بمذهب واحد) تبحث في المسائل الشرعية العصرية ، وتضع لها ما يناسبها من الأحكام .

فشكر الله لمؤلفه ما بذل من جهد ، وأنفق من وقت ، وجعله قدوة للعاملين المحسنين في هذه السبيل .

محمد بهجة البيطار

الدرر المباحة في الحظر والاباحة

تأليف الشيخ خليل بن عبد القادر الشيباني الشهير بالنحلاوي

أحسن المؤلف رحمه الله في جمع ما يحتاج الانسان الى معرفته في مأكله وملبسه ومسكنه ، وفي عبادته لربه ، ومعاملته لخلقه ، وما قاله الفقهاء في ذلك كله حظراً أو إباحة ؛ وقد رتب هذا الكتاب الذي يقع في نحو (١٥٠) صفحة على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة . فالمقدمة في تعريف الحظر والاباحة ، والباب الأول في الأكل والشرب ، والثاني في اللبس والكسوة ، والثالث في النظر والمس ، والرابع في الكسب والحرفة ، والخامس في الاخلاق الذميمة ، والخاتمة في العقيدة

الإسلامية . والمؤلف ناقل غير قائل، وهو يعزو إلى الكتب وصفحاتها، وقد ذكرها في آخر كتابه مع رموزها ليسهل الرجوع اليها .

وكنا نرجو أن يختار المؤلف من بين تلك «الدرر المباحة» ما كان أكثر ملاءمة لحاجة العصر، ليتبين به يسر الفقه الإسلامي، وان اختلاف الأئمة رحمة، والأخذ من متنوع مذاهبهم نعمة، وأما التمسك بقول واحد لا محيد عنه فهو نقمة، لا سيما اذا لم يرد به نص صحيح، ولا قياس صريح، وقد قال الشهاب القرافي في قواعده : «ومن جهل المفتي جموده على النصوص في الكتب، غير ملتفت الى العرف» .

وأيضاً فينبغي للمفتي أن يذكر دليل الحكم ومأخذه ما أمكنه من ذلك، ولا يلقيه الى المستفتي ساذجاً مجرداً عن دليله ومأخذه، ومن تأمل فتاوي النبي ﷺ الذي قوله حجة بنفسه، رآها مشتملة على التنبيه على حكمة الحكم ونظيره ووجه مشروعيته، لا سيما اذا كان الحكم مستغرباً جداً مما لم تألفه النفوس وانما الفت خلافه، فينبغي للمفتي أن يوطئ قبله ما يكون مؤذناً به كالدليل عليه، والمقدمة بين يديه . وقد ختم الإمام ابن القيم كتابه أعلام الموقعين بفوائد تتعلق بالفتوى ومنها ما ذكرناه، وانما دعانا الى هذا بعض ما أورده المؤلف من المسائل الغريبة التي يحتاج إثباتها الى نص ديني قاطع وإلا وقع الناس في حرمات لا نهاية لها من غير بينة شرعية قطعية، واليك ملخص قوله من الباب الثالث في النظر والمس :

«إذا مسّ الرجل امرأة مشتهاة حية تم لها تسع سنين بشهوة من احدهما أو منهما ولو لشعر على الرأس ولو بحائل لا يمنع الحرارة ! .. حرم عليه أصولها وفروعها وحرم عليها أصوله وفروعه ! ... «فلو قبل الرجل بنت امرأته المشتهاة أو مسها بشهوة من احدهما حرمت عليه أمها حرمة مؤبدة ... ثم قال بعد ايراد مسائل من هذا النوع : ولا فرق في ثبوت الحرمه بالجماع .. أو اللمس أو النظر بشهوة بين كونه عامداً أو ناسياً او مكرهاً او مخطئاً ؟

وليس الكلام في حرمة ما ذكره وانما السؤال عن الدليل في تحريم كلٍّ من اصول الرجل والمرأة وفروعهما على التأبيد ، لا سيما الناسي والمكره والمخطئ المرفوع عنهم الإثم بنص الحديث ، فما دليل ما ذكروه وما تعليله يا ترى ؟ لقد كان على المؤلف رحمه الله أن يمحص الأقوال قبل عرضها ، فما كل بيضاء فضة ، ولا كل خضراء روضة .

وعلى كل فقد أحسن أولاده الأكارم بنشر هذا المؤلف ففيه فوائد كثيرة مجموعة في كتاب واحد جزاهم المولى خيراً .

م . ب . ب

شروح سقط الزند

قسمها الثالث من السفر الثاني

على أثر إقامة مهرجان ابي العلاء المعري بدمشق (٢٥ ايلول سنة ١٩٤٤) ألفت وزارة المعارف المصرية لجنة دعتها (لجنة إحياء آثار ابي العلاء) تعمل على جمع أخباره ونشر ما انطوى من مختلف آثاره فكان أول ما أصدرته السفر الأول المسمى (تعريف القدماء بأبي العلاء) اقتصرت فيه على تراجمه وأخباره ونشرته خلال ايام المهرجان ثم في سنة ١٩٤٥ م اصدرت السفر الثاني واقتصرت فيه من شروح أشعار ابي العلاء المسماة (سقط الزند) على ثلاثة (التبريزي) (والبطليوسي) (والخوارزمي) وجعلته أقساماً وضمنت كل قسم ما قاله الشراح الثلاثة على كل قصيدة من قصائد (السقط) فتذكر البيت من القصيدة وتعقبه بما قاله كل واحد من الثلاثة في شرح معناه وهي طريقة طريفة يستخفها المطالع من حيث أنها تُسهل عليه تناول الفائدة وتقريب ما يريد فهمه من شعر ابي العلاء فالقسم الأول من السفر الثاني استوعب شرح اربع عشرة قصيدة ولم يصل الينا القسم الثاني ، ويظهر أنه استوعب سبعاً وعشرين قصيدة حتى وصل الى مجمعنا بالأمس القسم الثالث مطبوعاً كاخوته في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٧ م

وقد استوعب هذا القسم اثنين وعشرين قصيدة فالمجموع الناجز الى اليوم ٦٣ قصيدة .
وأولى قصائد هذا القسم (اي الثالث) في رثاء ابي ابراهيم العلوي ومطلعها :

(بني الحسب الوضاح والشرف الجم لساني ان لم ارث والدكم خصمي)

وهو في نحو ٤٦٠ صفحة حسنة الطبع كاملة القطع توفرت فيها العناية ومظاهر الضبط والتصحيح والتعليق الى أقصى حد ممكن ، ولا عجب فان أعضاء اللجنة من أنجب من أنبتهم ارض مصر وأكملهم ثقافة وأشدهم كلفاً بخدمة العلم .

أشرنا آنفاً الى عناية اللجنة بالتعليق والشرح بيد أنا عثرنا ونحن نتصفحه على بضع ملاحظات أحببنا ذكرها توفية لخدمة الكتاب واستئناساً بمشايعة اخواننا أعضاء اللجنة في عملهم .

ص ٩٨٧ في الهامش : قولهم وانما كان مولد الشافعي يوم وفاة ابي حنيفة فلا يتصور التحامل منه على ابي حنيفة صوابه (التحامل على الشافعي) كما هو ظاهر من سياق الكلام في المتن .

ص ١٠٩٩ في الهامش : الميس شجر تعمل منه الرماح صوابه تعمل منه اكوار الإبل ورحالها وكان يحسن ان يقال في التعليق على كلمة الميس الواردة في هذا المقام هكذا : (الميس) اكوار الابل وهو اسم شجر سميت الرحال والاكوار باسمه . وهذا كالشيزى اسم لشجر اسود تتخذ منه جفان تسمى باسمه والغضار اسم لطين حر علك تتخذ منه آنية خزفية وتسمى باسمه . والركب في بيتي ابي تمام انما يمتطون أكوار الميس لا اشجاره .

ص ١١٠٧ قول رؤبة (اذا الدليل استاف أخلاق الطرق) (أخلاق) بالقاف كذا رواها الشراح الثلاثة وقال المصححون : (أخلاق الطرق) هي الطرق القديمة العادية ثم أحالوا القارئ الى خزانة الأدب وديوان رؤبة وأرى ان كلمة (اخلاق) صحفت على من رواها عن رؤبة لا على رؤبة نفسه وانما قال (اي رؤبة) (اذا الدليل استاف اخلاف الطرق) بالفاء لا بالقاف والاخلاف جمع خلف

وهو للناقة بمنزلة الضرع لغيرها جعل رؤبة للطرق اخلافاً بعد ان شبهها بالنياق وكانوا اذا أخطأ الدليل الطريق في الظلام عمد الى ترابه فاستافه اي شمه ليعلم من رائحة ما اختلط به من بول او روث ان كان الطريق طريقه الذي يريده أم لا وهذا كالفصيل يشم اخلاف أمه ليعلم ان كانت هي أمه فيمتلج أم لا فيعمد الى غيرها حتى يهتدي الى أمه (والأخلاق) بالقاف جمع (خَلَق) وأكثر ما توصف به الثيـاب وما يتخذ منها: رداء خلق . ملحفة خلق جبة خلق الخ ولم نر في المعاجم أثراً لوصف الطرق بالخلوقة فلم ينقلوا أنه يقال طريق خَلَق أي قديم او بالٍ على ان الدليل انما يعمد الى شم تراب الطريق الذي يشك فيه سواء أكان قديماً أم حديثاً . وقد استعمل هذه الجملة (استاف اخلاف الطرق) عبد الله بن احمد الخازن من صنائع الصاحب بن عباد (المتوفى سنة ٣٨٥) وملازمي مجلسه ثم هجره مغاضباً ثم تاب اليه تائباً وقال في كتاب قص فيه واقعة حاله: (وصبحت جرجان اهدى من القطا الكدري . كأني دعيميص الرمل . استاف أخلاف الطرق الخ) كذا ورد نص هذا الكتاب في ترجمة الخازن في يتيمة الدهر للثعالبي طبعة دمشق (جزء ٣ ص ١٤٨) وفيه (أخلاف) بالفاء وليس في هذا حجة ما دام التصحيف ممكناً وانما حجتنا ما ذكرناه آنفاً . والحجة الوثقى هي مخطوطة ديوان (رؤبة) المقروءة على الشيوخ بالرواية عنه اذا تيسر العثور عليها .

ص ١١٨٧ في الهامش قول متمم بن نويرة :

(وما وجد أظآر ثلاث روائم أصبن مَجَرّاً من حوار ومصرعا)

المجرّ موضع جر الشيء قال ابو الطيب المتنبي (مجرّ عوالينا ومجرى السوابق) وهنا الحوار اذا صرع اما يكون له مجرّ يُجرُّ فيه ؟ نعم ولكن ربما كان الأصح والأصوب (مخرّ) بالخاء المعجمة بمعنى المصرع جاء في اللسان (وخرّ مات وذلك ان الرجل اذا مات خرّ اي سقط ..... وقوله تعالى : فلما خر تبينت الجن . يجوز ان تكون خر هنا بمعنى وقع ويجوز ان تكون بمعنى مات اهـ)

وأشرنا آنفاً الى ان (مجرا) بالجيم لا تعدم تأويلاً ولا سيما اذا ظفرنا برواية عن الشيوخ ٠

ص ١١٩٩ قال امرؤ القيس يصف ثغراً :

(منابتــه مثل السدوس ولونه كشوك السيال وهوعذب يفيص)

فسروا (في الهامش) يفيص بمعنى يحيد وتفسيره بذلك لا يناسب هنا وانما المناسب ان يفسر بأحد معانيه الأخر وهو ما فسره به اللسان في مادة (فيص) (جزء ٨ ص ٣٣٥) وهذه عبارته (وقول امرئ القيس منابته مثل السدوس الخ قال الأصمعي ما أدري ما يفيص ٠ وقال غيره هو من قولهم فاص في الأرض اي قطر[1] وذهب ٠ قال ابن بري وقيل يفيص يبرُق ٠ وقيل يتكلم يقال فاص لسانه بالكلام وأفاص الكلام أبانه ٠ فيكون يفيص على هذا حالاً أي هو عذب في حال كلامه اهـ) ٠ فيفيص في قول امرئ القيس عن الثغر (وهو عذب يفيص) انما يفسر بأحد هذه المعاني أما تفسيره بيحيد فلا نرضى به وان ارضانا كل ما جاء به اولئك الفضلاء مصححو (شروح سقط الزند) ومفسروها والمعلقون عليها جزاهم الله خيراً عن أتعابهم في خدمة لغتنا وآدابنا ٠

المغربي

(١) قطر في الأرض قطوراً ذهب وأسرع ٠

من تراث النبوة

في العلم والحكمة والأخوة

تأليف الأستاذ حمدي عبيد

طبع في مطبعة الترقي بدمشق في زهاء ٢٠٠ صفحة بالقطع الصغير

جمع المؤلف في هذا الكتاب المفيد ١٥٥ حديثاً نبوياً التقطها من حديث البخاري وكأنه راعى في اختيارها الإيجاز . ليسهل استظهارها على مطلق الناس . كما انه تعمد بسط معناها بعبارة لينة لا تعقيد فيها ولا تكلف جزالة زيادةً في تسهيل فهمها . وتيسير أمرها على قارئها . والقليل من هذه الأحاديث المختارة في العبادات . وجلُّها في يسر الاسلام وفي الآداب ومكارم الأخلاق فما أجدر الجمهور من عامة وفتيان وفتيات بالحرص على مطالعتها والاستضاءة بنور هدايتها مكان تلك (النشريات) الملأى بما يضر ولا ينفع . ويفسد ولا يصلح . والكتاب حسن الحرف جيد الطبع وقد ضبطت احاديثه الشريفة بالشكل الكامل فكان بمجموعه قليل الأغلاط ، ومما لاحظناه عليه وأحببنا التنبيه اليه ان المؤلف ترك تفسير الألفاظ اللغوية الواردة في الحديث والاكتفاء بفهم القارئ لمعنى اللفظ من السياق أو من الشرح والتعليق على الحديث : فأحياناً لا يفهم القارئ معنى اللفظ اللغوي بالمرة وأحياناً يفهمه على صواب كتفسير فعل (لا تزرموه) (ص ١٤) وأحياناً يفهمه على خطأ كتفسير قوله ﷺ (ولعل بعضهم ألحن بحجته) ـ وفسر (اللحن) بالفصاحة وقوة الحجة إذ قال الشارح (لهم ألسنة فصيحة وحجة قوية)(ص ٥٣) مع ان صاحب النهاية في تفسير غريب الحديث يقول في تفسيره : (أراد ان بعضكم يكون أعرف بالحجة وأفطن لها من غيره) وتابعه السيوطي فقال : (أي أفطن لها وأعرف بها) ومهما يكن من أمر فللمؤلف الشكر وجزيل الأجر .

المغربي

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م

	الاسم	البلد
١	الأستاذ محمد كرد علي (رئيس المجمع)	دمشق
٢	الدكتور اسعد الحكيم	〃
٣	الأمير جعفر الحسني	〃
٤	الدكتور جميل الخاني	〃
٥	〃 جميل صليبا	〃
٦	〃 حسني سبح	〃
٧	الأستاذ خليل مردم بك (أمين السر العام)	〃
٨	〃 سليم الجندي	〃
٩	〃 شفيق جبري	〃
١٠	〃 عارف النكدي	〃
١١	الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)	〃
١٢	الاستاذ عز الدين التنوخي	〃
١٣	〃 فارس الخوري	〃
١٤	السيد محسن الأمين	〃
١٥	الاستاذ محمد البزم	〃
١٦	الشيخ محمد بهجة البيطار	〃
١٧	الدكتور مرشد خاطر	〃
١٨	الأمير مصطفى الشهابي	〃
١٩	الدكتور منير العجلاني	〃
٢٠	الاستاذ هنري لاوست	〃
٢١	الشيخ راغب الطباخ	حلب
٢٢	〃 عبد الحميد الجابري	〃
٢٣	〃 عبد الحميد الكيالي	〃
٢٤	الدكتور عبد الرحمن الكيالي	〃
٢٥	الاستاذ عمر ابوريشة	〃
٢٦	الشيخ محمد زين العابدين	〃
٢٧	البطريرك مار اغناطوس افرام	حمص
٢٨	الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	اللاذقية
٢٩	الشيخ سعيد العرفي	دير الزور
٣٠	〃 ابراهيم منذر	بيروت
٣١	الاستاذ أنيس المقدسي	〃
٣٢	〃 بشارة الخوري	〃
٣٣	الدكتور صبحي المحمصاني	〃
٣٤	〃 عمر فروخ	〃
٣٥	الشيخ فؤاد الخطيب	〃
٣٦	الفيكونت فيليب دي طرازي	〃
٣٧	الدكتور نقولا فياض	〃
٣٨	الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٣٩	الشيخ احمد رضا	جبل عاملة

٤٠	الشيخ سليمان ظاهر	جبل عاملة
٤١	الأب أ.س. مرمرجي الدومنكي	القدس
٤٢	محمد الشربتي باشا	عمان
٤٣	الشيخ رضا الشبيبي	بغداد
٤٤	طه باشا الهاشمي	〃
٤٥	الاستاذ عباس العزاوي	〃
٤٦	الشيخ كاظم الدجيلي	〃
٤٧	〃 محمد بهجة الاثري	〃
٤٨	الدكتور مصطفى جواد	〃
٤٩	الاستاذ احمد حامد الصراف	〃
٥٠	〃 كوركيس عواد	〃
٥١	الدكتور داود الچلبي	الموصل
٥٢	الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني	القاهرة
٥٣	احمد امين بك	〃
٥٤	الاستاذ احمد حسن الزيات	〃
٥٥	الدكتور احمد زكي بك	〃
٥٦	احمد لطفي السيد باشا	〃
٥٧	الاستاذ خليل ثابت	〃
٥٨	خليل مطران بك	〃
٥٩	الاستاذ خير الدين الزركلي	〃
٦٠	الدكتور طه حسين بك	〃
٦١	الاستاذ عباس محمود العقاد	〃
٦٢	الدكتور عبد الوهاب عزام	〃
٦٣	الشيخ محمد الخضر حسين	〃
٦٤	الاستاذ محمد لطفي جمعة	〃
٦٥	الأمير يوسف كمال	〃
٦٦	الأستاذ عبد الحميد العبادي	الاسكندرية
٦٧	حسن حسني عبدالوهاب باشا	تونس
٦٨	الاستاذ مارسه	〃
٦٩	〃 عبد الحي الكتاني	فاس
٧٠	〃 عبدالعزيزالميمني الراجكوتي	عليكر
٧١	〃 عباس إقبال	طهران
٧٢	〃 محمد الحجوي	مراكش
٧٣	〃 كي	بوليفيا
٧٤	〃 ماسه	باريس
٧٥	〃 دوسو	〃
٧٦	〃 كولان	〃
٧٧	〃 ماسينيون	〃
٧٨	〃 هيس	سويسرا
٧٩	〃 كرينكو (كمبردج)	انكلترا
٨٠	〃 هـ.ا. رجيب (اوكسفورد)	انكلترا
٨١	〃 بروكلمن	المانية
٨٢	〃 هارتمان (ريشار)	〃
٨٣	〃 سترستين	السويد
٨٤	〃 استروب	الدانيمارك
٨٥	〃 موجيك	فينا
٨٦	〃 ماهلر	بودابست
٨٧	〃 كراتشكوفسكي	لينغراد
٨٨	〃 كرسيكو	فنلاندة
٨٩	〃 فيليب حتي	اميركة
٩٠	〃 هرزفلد	〃
٩١	〃 سعيد ابو جمرة	البرازيل

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

الرقم	الاسم	البلد
١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق
٢	〃 سليم البخاري	〃
٣	الاستاذ مسعود الكواكبي	〃
٤	〃 الياس قدسي	〃
٥	〃 أنيس سلوم	〃
٦	〃 جميل العظم	〃
٧	〃 مالنجو	〃
٨	〃 سليم عنحوري	〃
٩	〃 عبد الله رعد	〃
١٠	〃 رشيد بقدونس	〃
١١	الشيخ عبد القادر المبارك	〃
١٢	الاستاذ اديب التقي	〃
١٣	〃 معروف الأرناؤط	〃
١٤	الأب جرجس شلحت	حلب
١٥	〃 جرجس منش	〃
١٦	الاستاذ قسطاكي الحمصي	〃
١٧	الشيخ كامل الغزي	〃
١٨	الاستاذ ميخائيل الصقال	〃
١٩	الشيخ بدر الدين النعساني	〃
٢٠	الدكتور صالح قنباز	حماة
٢١	الشيخ سليمان احمد	اللاذقية
٢٢	الاستاذ ادوار مرقص	〃
٢٣	الاستاذ حسن بيهم	بيروت
٢٤	الأب لويس شيخو	〃
٢٥	الشيخ عبد الله البستاني	〃
٢٦	الاستاذ جبر ضومط	〃
٢٧	〃 عبد الباسط فتح الله	〃
٢٨	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٢٩	〃 مصطفى الغلاييني	〃
٣٠	الاستاذ عمر الفاخوري	〃
٣١	〃 بولس الخولي	〃
٣٢	〃 امين الريحاني	لبنان
٣٣	الامير شكيب ارسلان	〃
٣٤	الاستاذ جرجي يني	طرابلس الشام
٣٥	〃 نخلة زريق	القدس
٣٦	الشيخ خليل الخالدي	〃
٣٧	الاستاذ عبد الله مخلص	〃
٣٨	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	〃
٣٩	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم
٤٠	الاستاذ محمود شكري الآلوسي	بغداد
٤١	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
٤٢	〃 معروف الرصافي	〃
٤٣	〃 طه الراوي	〃
٤٤	الأب انستاس ماري الكرملي	〃

٤٥ الشيخ احمد الاسكندري القاهرة
٤٦ احمد زكي باشا 〃
٤٧ احمد شوقي بك 〃
٤٨ الاستاذ اسعد خليل داغر 〃
٤٩ حافظ ابراهيم بك 〃
٥٠ السيد محمد رشيد رضا 〃
٥١ الاستاذ مصطفى صادق الرافعي 〃
٥٢ احمد كمال باشا 〃
٥٣ احمد تيمور باشا 〃
٥٤ الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي 〃
٥٥ الدكتور يعقوب صروف 〃
٥٦ الاستاذ اوجينيو غريفيني 〃
٥٧ 〃 رفيق العظم 〃
٥٨ 〃 داود بركات 〃
٥٩ الدكتور امين المعلوف 〃
٦٠ الشيخ عبد العزيز البشري 〃
٦١ الدكتور احمد عيسى بك 〃
٦٢ الشيخ مصطفى عبد الرازق 〃
٦٣ انطون الجميل باشا 〃
٦٤ الأمير عمر طوسون الاسكندرية
٦٥ الشيخ محمد بن ابي شنب الجزائر
٦٦ الاستاذ رينه باسه 〃
٦٧ 〃 ميشو بلاير طنجة
٦٨ 〃 زكي مغامز الاستانة
٦٩ الحكيم محمد أجمل خان الهند

٧٠ الاستاذ فران باريس
٧١ 〃 كليمان هوار 〃
٧٢ 〃 بوفا 〃
٧٣ 〃 جويدي ايطاليا
٧٤ 〃 نللينو 〃
٧٥ 〃 هومل المانيا
٧٦ 〃 ساخاو 〃
٧٧ 〃 هوروفيتز 〃
٧٨ 〃 مارتين هارتمان 〃
٧٩ 〃 ميتفوخ 〃
٨٠ 〃 مونته سويسرا
٨١ 〃 سنوك هوغرنيه هولاندة
٨٢ 〃 اراندونك 〃
٨٣ 〃 هوتسما 〃
٨٤ 〃 مرجليوث انكلترا
٨٥ 〃 بفن 〃
٨٦ 〃 براون 〃
٨٧ 〃 بوهل الدانيمارك
٨٨ 〃 بدرسن 〃
٨٩ 〃 اغناطيوس غولدصهير بودابست
٩٠ الشيخ ابو عبد الله الزنجاني زنجان
٩١ الاستاذ ماكدونالد اميركا
٩٢ 〃 آسين بلاسيوس (مجريط) اسبانيا
٩٣ 〃 لويس (لشبونة) البرتغال
٩٤ 〃 موزل تشكوسلوفاكية
٩٥ 〃 كوفالسكي بولونيه

طه الراوي

هو الأستاذ النحوي الأديب المتفنن السيد طه بن السيد صالح الفُضَيل الراوي نسبةً الى « راوة » قرية مشرفة على الفرات تقابل « عانة » أو « عانات »[١] البلد القديم المشهور في العراق . ولد سنة ١٣١٠ هـ — ١٨٩٢ م في راوة ، ونشأ بين قوم لهم في القبائل أنساب يتمجّدون بها ، وكثير منهم يدعون العَزْوة الى السلالة النبوية ويغلب عليهم التدين والشظف لبعد صقعهم عن العمران . فلما كان في نحو العاشرة ذهب الجُدَريُّ بإحدى عينيه ، فيقال إنه ما رُئِيَ غلام يجزع مما حلّ به جزعَهُ . حتى اذا شبّ شبابه لم تتسع القرية الصغيرة لمطارح آماله ، فهجرها الى « بغداد » في طلب العلم ، وليس له فيها من وَزَر يلجأ اليه إلاّ نفس صافية تألف وتُؤلف وذكاء حادّ يحببه الى الأرواح وتدين بريء يعطف عليه القلوب ، فأوى الى مساجد الكرخ والرُّصافة زمناً طويلاً ، واختلف الى المدارس ومجالس العلم يتلقى عنها علوم العربية والشريعة ويحفظ المتون ويستوعب الشروح والحواشي في جدّ بالغ ونفس ظامئة الى منازل الكمال ، فكان لحرصه وقلة ذات يده يقرأ كتب العلم والأدب في ضوء الشمعة فاذا عزّ عليه ففي ضوء القمر[٢] . حتى اذا أوفى من (علوم الجادّة) على الغاية أو كاد ، سما الى الاستزادة من معرفة علاّمة العراق شيخنا الإمام السيد محمود شكري الألوسي رحمه الله ، وذلك في غمرة الحرب العالمية الأولى ، فأسعفه بالإعفاء من حمل السلاح ، واكتُفي منه بتعليم رجال الجيش ومدربيه من الجرمانيين اللغة العربية ونحوها وصرفها .

ولما استولى البريطانيون على العراق وبدأوا اعادة سيرة التعليم النظامي فيه ، انتمى الى « مدرسة المعلمين » ، وعين بعد ستة أشهر قضاها فيها مديراً لمدرسة ابتدائية في الكرخ ، وأوى الى الحياة الزوجية . ثم عين بعد عامين مدرساً في

(١) معجم البلدان ١٠٢/٦ مطبعة السعادة ، القاهرة .

(٢) حدث بهذا عنه ابنه الأوسط . مجلة الرحاب ، الجزء السادس ١٩٤٦/١٢/٢٢ م .

« دار المعلمين الابتدائية » فالمدرسة « الثانوية المركزية » . ودخل « كلية الحقوق » طالباً ، فاستعان بشهادتها على الانتقال الى المسلك الإداري ، وعين سنة ١٩٢٦ مديراً للمطبوعات ، ثم أميناً لسر مجلس الأعيان في سنة ١٩٢٨ ، وكان معتماً فاستبدل الزي الافرنجي (وهو الزي الرسمي للموظفين) بالجبة والعمامة ، واستمر الى جانب عمله الاداري يدرس ويحاضر ، في بعض المعاهد العالية ، في التاريخ العربي والاسلامي والتفسير والحديث والأدب وعلوم العربية .

وطفق في هذه المرحلة من حياته ينتهز الفرص للرحلة ، فزار تركية وسورية ومصر ، وأفاد من لقاء العلماء صداقة وخبرة ونظراً وعلماً ، وتوسم فيه رجال « المجمع العلمي العربي » في دمشق الفضل ، فانتخبوه في ١٩٣٣/١/٥ م عضواً مراسلاً ، وشرع ينشر في مجلته أبحاثه ومحاضراته .

كما أتاحت له تسع سنين لبثها في وظيفته بمجلس الأعيان صداقات وصلات وثيقة بهؤلاء الرجال الذين يؤتى بهم الى مناصب الدولة ومجلسي التشريع ، وأعانه على كسب هذه الصداقات والصلات دماثة لطيفة فيه وجودة تصرّف وحسن مداخلة ، فاستأنس بعشرته من كان يصيب اللذة بالأحاديث والأسمار من القوم ، ورجع الى مذاكرته بما يدور في المجلس من شؤون السياسة والتشريع آخرون مثقفون ثقافة تركية عسكرية او مدنية ليقيم لهم على عمود القوانين رأياً يريدون إعلانه ، او يحكك لهم كلاماً مكتوباً يبغون إذاعته في الصحف المنشّرة .

فلما صارت الوزارة الى بعض هؤلاء أسندوا اليه مديرية المعارف العامة في ١٩٣٧/٩/١٩ م . وما لبث أن دار الفلك دورته ، واذا بالسياسة المتحوّلة من يد الى اخرى تمتدّ اليه بالتحويل الى مسالك التعليم وتجعله استاذاً في « دار المعلمين العالية » في ١٣/٣/١٩٣٩ م كأن العناية الالهية تأبى الا تيسيره لما خلق له من القيام على اللغة القومية وآدابها . فلم يزل في منصبه هذا الى أن وافاه اجله ضحوة يوم الاثنين ٢٤ ذي القعدة ١٣٦٥ هـ - ٢١ تشرين الأول ١٩٤٦ م .

⁂

كان المترجم به واسع الرواية ، غزير العلم ، متفنناً ، صاحب ملكات عالية وذكاء حادّ ، حسن الاستنباط ، جيّد التوليد ، سليم الفكر ، غير أنه كان يؤثر الانزواء ويرى الخِيَرة في الوقوف عند حدود المدرسة ومذاكرة الرفقاء ، وابث على ذلك دهراً لم يؤثر عنه فيه أثر منظور ذو خطر . الى أن انتخبه المجمع العلمي العربي عضواً مراسلاً ، فبدأ ينشر فى مجلته ما تهيأ له من ابحاث ورسائل ، كما بدأ ينشر في بعض المجلات العراقية محاضراته ، وكان العقد الأخير من عمره احفل ايامه بالبحث والنشاط للكتابة في الصحف اليومية في موضوعات شتى يعالجها معالجة خفيفة سهلةً حيناً فيكتفي منهـا بالرأي العارض والنظرة المعجلى مسايرةً لطبيعة الحوادث الزمنية المسرعة في السير . ويعالجها معالجة دقيقة مستوعبة حيناً آخر فيتعمق الفكرة ويستقصي ويبالغ في هذا الاستقصاء ويجوّد التعبير حتى لتجد عنده طابع المنشئين الأوائل من السجع والموازنة وقوة الأسر ونصاعة البيان .

ولقد أتاحت له الحرب العالمية الأخيرة وضرورات التعاون المحدث بين الأقطار العربية في اثنائها فرصاً مواتية لهذا النشاط الى الكتابة في الصحف والظهور في المجتمعات . اذ انتدبته الحكومة العراقية لتمثيلها في بعض المؤتمرات الثقافية والتربوية والمهرجانات الأدبية في مصر والشام ، فذاكر وحاضر وخطب وكتب ، وعمل في كثير من الجمعيات ورأس بعض اللجان العلمية في وزارة المعارف .

***

أما الآثار التي خلفها مما حاضر ودرس وكتب ، فهي :

(١) « بغداد مدينة السلام » نُشِر ملخصاً في سنة ١٩٤٥م في جملة سلسلة (إقرأ) لدار المعارف في القاهرة .

(٢) « ابو العلاء في بغداد » طبع سنة ١٩٤٤ م بمطبعة التفيض الأهلية

بغداد ، وهو محاضرة تقع في ٧١ صفحة حاضر بها في الموسم الثقافي ، وكان تقيمه وزارة المعارف في اثناء الحرب الأخيرة .

(٣) « نظرة في النحو » بحث يتضمن أنظاراً مقبولة في بابها ، نشر في مجلة المجمع العلمي العربي تباعاً .

(٤) « رسالة الضاد والظاء » لم أرها .

(٥) « تفسير سورة البقرة » نشر اكثره في مجلة الهداية الإسلاميه البغدادية .

(٦) « تاريخ العرب قبل الإسلام » محاضرات حاضر بها طلاب جامعة آل البيت التي انشئت في اوائل ايام الحكومة العراقية ولم تطل مدتها ، نشر اكثرها في مجلة الهداية الإسلامية البغدادية .

(٧) « تاريخ علوم الأدب » مخطوط في مجلد لطيف .

(٨) « الأخلاق » مخطوط يبلغ زهاء ١٠٠ صفحة ، وهو خلاصة محاضراته في كلية الشرطة ببغداد .

(٩) « الرسائل والمقالات » مجموعة ما نشر في الجرائد والمجلات من المقالات العلمية والأدبية والاجتماعية .

(بغداد) محمد بهجة الأثري

مؤتمر اليونسكو الثالث

تتألف منظمة الأمم المتحدة للعلم والتربية والثقافة من ثلاثة أقسام رئيسية : المؤتمر العام والمجلس التنفيذي وامانة السر العامة . اما المؤتمر العام فيشبه المجلس النيابي في كل دولة ، وهو يحدد توجيه المنظمة ، ومنهجها العام ، ويبدي رأيه في البرامج التي يهيئها المجلس التنفيذي ويقر الميزانية ، وينصح منظمة الأمم المتحدة في القضايا التربوية والعلمية والثقافية ، ويتسلم تقارير الدول الأعضاء ، وينتخب أعضاء المجلس التنفيذي والمدير العام .

وأما المجلس التنفيذي فيتألف من ١٨ عضواً ينتخبهم المؤتمر العام وهو مسؤول

عن تنفيذ البرنامج الذي يقرره المؤتمر ، ويشرف على اعمال المنظمة ويهيئ ترتيب اجتماعات المؤتمر وبرنامج أعماله ٠

وأما أمانة السر العامة فتقوم بتنفيذ جميع المشاريع والخطط ، ولها مدير عام ينتخبه المؤتمر ولموظفيها صفة دولية محضة ٠

ان الاجتماع الأول لمؤتمر اليونسكو العام عقد في باريز عام ١٩٤٦ ، والاجتماع الثاني عقد في مكسيكو عام ١٩٤٧ ٠ أما الاجتماع الثالث فقد عقد في بيروت بدعوة من الحكومة اللبنانية بين السابع عشر من شهر تشرين الثاني والحادي عشر من شهر كانون الأول عام ١٩٤٨ ٠

لقد قام مؤتمر بيروت بدراسة جميع القضايا الواردة في جدول أعماله وعالج قضايا اخرى غيرها واهتدى الى مقررات تربوية وعلمية وثقافية لم يصل اليها في باريز ومكسيكو ٠ ويرجع ذلك في نظرنا الى حسن تنظيمه ورغبة أعضائه في التفاهم والتعاون وايمانهم جميعاً بمبادئ اليونسكو ٠

تنظيم المؤتمر :

افتتح المؤتمر في الساعة الحادية عشرة من يوم الأربعاء السابع عشر من شهر تشرين الثاني عام ٩٤٨ من قبل فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية في حفلة رسمية القيت فيها بعض الخطب ، ثم عقد المؤتمر اجتماعه الأول في الساعة الثالثة بعد الظهر من اليوم نفسه ، فدرس بعض القضايا الادارية وانتخب السيد حميد فرنجية وزير التربية الوطنية للحكومة اللبنانية رئيساً له ٠ ثم وزع بعد ذلك اعماله المختلفة على اللجان وهي :

(١) الهيئة العامة (٢) لجنة الصلاحيات (٣) لجنة النظام الداخلي
(٤) لجنة الترشيح (٥) اللجنة الادارية (٦) لجنة العلاقات الرسمية والخارجية (٧) لجنة البرامج والميزانية ٠

ولجنة البرامج والميزانية أكثر لجان المؤتمر عملاً وأعظمها نشاطاً ، لذلك انقسمت الى عدة لجان فرعية وهي :

١ — اللجنة الفرعية للميزانية ٢ — اللجنة الفرعية للتعمير
٣ — اللجنة الفرعية لوسائل نشر الأفكار ٤ — اللجنة الفرعية للتربية
٥ — اللجنة الفرعية للعلوم الاجتماعية ٦ — اللجنة الفرعية للعلوم الطبيعية
٧ — لجنة المسائل الثقافية .

وقد سبق اجتماع هذه اللجان كلها اجتماع خاص عقده مندوبو اللجان الثقافية الوطنية لبحث المشاكل التي تلاقيها هذه اللجان في ممارسة اعمالها .

ومما يدل على نشاط المؤتمر وكثرة أعماله ان هيئته العامة عقدت (١٩) جلسة القيت فيها كثير من الخطب حول تقرير المدير العام وبحثت فيها تقارير اللجان الفرعية .

ويكاد يكون لأعمال لجنة الصلاحيات ، ولجنة النظام الداخلي ، ولجنة الترشيح ، واللجنة الادارية ، ولجنة العلاقات الرسمية والخارجية ، واللجنة الفرعية للميزانية ، واللجنة الفرعية للتعمير صفة ادارية محضة ، اما أهداف اليونسكو الحقيقية ووسائل تحقيقها فلم تعالج الا في اللجان الفرعية الأخرى كاللجنة الفرعية للتربية والعلوم الاجتماعية والانسانية والعلوم الطبيعية ، والمسائل الثقافية ، ووسائل نشر الأفكار .

قرارات المؤتمر :

ان في القرارات التي اتخذها المؤتمر في ميدان التربية والنشاط الثقافي وفي ميدان العلوم الطبيعية والاجتماعية والانسانية . وفي وسائل التبادل الثقافي ونشر الأفكار اموراً كثيرة لا يتسع المجال لذكرها هنا ، كما ان في التقارير التي قدمتها الدول الأعضاء عن نشاط لجانها الوطنية ، وفي الخطب التي القيت في الجلسات العامة والخاصة افكاراً مختلفة يصعب جمعها في مقال واحد . فلنقتصر الآن اذن على الإشارة دون الإبانة ، وعلى التلميح دون التصريح .

تنقسم قرارات المؤتمر في نظرنا الى قسمين : فمنها ما هو عام يشمل الدول العربية وغيرها من الدول ومنها ما هو خاص بالدول العربية وحدها .

أما القرارات العامة فتشتمل على قسمين الأول اداري والآخر فني . فمن المسائل الادارية : تنظيم الميزانية ، وتحديد الملاك ، وانتخاب المدير العام ، وقبول

بعض المراقبين والأعضاء الجدد ، وانتخاب ستة أعضاء للمجلس التنفيذي . ومن القرارات الفنية ما يتعلق بالتربية والعلوم الطبيعية والاجتماعية والانسانية والنشاط الثقافي ، وهي كلها ذات صفة توجيهية عامة سنعود الى ذكرها في مقال آخر ، حتى لقد عاب بعض الخطباء على المؤتمر اقتصاره على هذه المسائل العامة ، وعدم عنايته بدراسة بعض المسائل الثقافية دراسة فنية عميقة ، فاقترح لذلك بعض الخطباء ان ينصرف المؤتمر في دورته القادمة الى دراسة مسألة او مسألتين دراسة علمية شاملة كمسألة حرية الفكر ، او مسألة تعليم التاريخ او مسألة التربيــة الأساسية أو غيرها .

القرارات الخاصة بالعالم العربي :

القرارات الخاصة بالعالم العربي تشتمل على عدة مسائل أهمها مساعدة اللاجئين الفلسطينيين واقصاء المؤسسات الصهيونية عن المؤتمر ، والاعتراف بان اللغة العربية لغة رسمية من لغات اليونسكو ، وتأسيس مركز اقليمي للعلاقات الثقافية في بلدان الشرق الأوسط ، ولنبحث الآن كل مسألة من هذه المسائل على حدة .

١ — اعانة اللاجئين الفلسطينيين : لقد وافق مؤتمر اليونسكو بالاجماع على تقديم الاعانة للاجئين الفلسطينيين من ميزانية التعمير والانشاء التربوي ، ولفت اهتمام السلطات المختصة ولا سيما مؤسسات التعليم العالي الى ذوي الثقافة العالية من اللاجئين الذين يمكن الاستفادة من معارفهم في مختلف حقول العلم . ويمكن ان يعد هذا القرار نتيجة للقرار الذي اتخذته اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية في دورتها الرابعة المنعقدة في لبنان خلال الصيف الماضي . اذ أوصت الحكومات العربية بأن تتخذ الاجراءات اللازمة كي تقدم اليونسكو من ميزانية التعمير مساعداتها لانشاء مدارس جديدة للطلبة الفلسطينيين وتعمير ما خربته الحرب من المعاهد الفلسطينية على ان لا يكون لهذه الاعانة اي وسيلة للتدخل في شؤون فلسطين والمساس بحقوق السلطات المشرفة عليها .

٢ — المؤسسات اليهودية : ومن القضايا التي واجهتها الوفود العربية في اليوم الأول من أيام المؤتمر البحث في قبول ممثلي المؤسسات اليهودية او عدم قبولهم . لقد دارت حول قبول هؤلاء الممثلين مناقشات طويلة انسانية وغير انسانية . فالذين أيدوا قبولهم زعموا ان من واجب المؤتمر ان يسمو الى جو انساني بعيد عن السياسة والذين رفضوا قبولهم ايدوا رأيهم بالفظائع التي ارتكبها الصهيونيون في فلسطين وبمضادة مبادئ مؤسساتهم لأهداف اليونسكو العامة . وقد تبين بعد البحث ان ممثلي المؤسسات اليهودية لم يلبوا دعوة المجلس التنفيذي ، ولم يصل احد منهم الى بيروت فكان هذا الأمر في النهاية حجة جديدة في يد الوفود العربية لحمل المؤتمر على اسقاط اسمائهم . فوافق المؤتمر على اقصائهم عن دورته الحاضرة .

٣ — اللغة العربية : ومما طلبته الوفود العربية من المؤتمر ان تتخذ منظمة اليونسكو لغتنا العربية لغة عمل لها كاللغة الانكليزية والفرنسية . فوافق المؤتمر على ان تكون اللغة العربية لغة رسمية لا لغة عمل . والفرق بين اللغة الرسمية ولغة العمل في نظام اليونسكو ان اللغة الرسمية لا تستعمل الا لترجمة الاقتراحات المتعلقة بتبديل ميثاق اليونسكو . اما لغة العمل فتستعمل في جميع المراسلات والنشرات والوثائق وضبوط الجلسات . وفي وسع الأعضاء أن يخطبوا في لغة العمل وان يستعملوها في مذاكرات اللجان وجلسات المؤتمر العامة . وليس لهم ان يستعملوا لغة اخرى غيرها الا اذا هيأوا هم أنفسهم وسائل الترجمة الى احدى لغات العمل كما فعل لبنان في دورة المؤتمر الحاضرة .

لقد أيدت الوفود العربية اقتراح دول امريكا اللاتينية بعد اللغة الاسبانيولية لغة عمل ضمن شروط خاصة ، وادى هذا التأييد الى وقوف هذه الدول موقفاً كريماً من القضايا التي تهم العالم العربي . اما اللغة العربية فقد اكتفى المؤتمر بعدها لغة رسمية تترجم اليها أمهات الوثائق كتقرير المدير العام والميزانية وبرنامج المؤتمر وغير ذلك . وقد وضع لهذا الغرض في ميزانية عام ١٩٤٩ مبلغ قدره عشرون الف دولار .

٤ – المركز الاقليمي للعلاقات الثقافية في بلدان الشرق الأوسط : ومن المسائل التي بحثها المؤتمر انشاء مركز اقليمي للعلاقات الثقافية في الشرق الأوسط ٠

ان انشاء هذا المركز على أساس جغرافي لا يخلو من المشاكل السياسية التي تعرقل عمل الثقافة لذلك رأت الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ان تقيد انشاءه بثلاثة شروط وهي :

آ – ان يكون المركز مقصوراً على الدول العربية نظراً لاتحاد ثقافتها وتقارب ميولها ٠

ب – ان تكون اكثرية اعضاء المركز من الحكومات العربية يختار كل قطر من يمثله، وان يكون للحكومات العربية رأي فيمن يختارهم اليونسكوله٠

ج – ان يكون للحكومات العربية وحدها اختيار القطر الذي سينشأ المركز فيه٠

لذلك رأى مؤتمر اليونسكو ان يستبدل بانشاء المركز الاقليمي في هذا العام فكرة جديدة وهي انشاء مكتب في باريز للاتصال الثقافي يقوم بايفاد الخبراء والممثلين الاقليميين لدراسة العلاقات الثقافية بين بلدان الشرق الأوسط ٠

تلك هي أهم المسائل الخاصة بالعالم العربي ٠ وهناك مسائل اخرى غير هذه كتأليف لجنة من الخبراء العالميين والخبراء العرب لدراسة شؤون التربية الأساسية في بلدان الشرق العربي ، وترجمة كتب ابن سينا الى اللغات الأجنبية لمناسبة مرور الف عام على ميلاده ، وانتخاب عضو عربي للمجلس التنفيذي ، ونقد ما جاء في تقرير المدير العام من الاشارة الى ما في بلدان الشرق الأوسط من الانعزالية والتعصب ، وتأليف كتاب في تاريخ الثقافات وتطور العلم يشترك في وضعه علماء اختصاصيون يمثلون الثقافات العالمية الكبرى كالثقافة اليونانية واللاتينية والعربية والفارسية والهندية والصينية وغيرها ٠ وقد أيدت سورية ولبنان مشروع هذا الكتاب لاعتقادهما انه سيؤدي الى تقريب الأمم بعضها من بعض ، والى اقامة حصون السلام في نفوس الناس ٠

* * *

ولعل أعظم فائدة جنتها البلاد العربية من انعقاد المؤتمر في بيروت اطلاع البلاد العربية على ما تقوم به منظمة اليونسكو من الأعمال الثقافية في سبيل توطيد السلام ، واطلاع البلاد الأخرى على ما بلغته الدول العربية من الرقي في مضمار التربية والعلم والثقافة . فقد ألقى ممثلو الدول العربية عدة خطب ومحاضرات أشاروا فيها الى أثر العرب في العلم والفلسفة والثقافة والى ما تبذله حكوماتهم من الجهود العظيمة في سبيل تعميم التربية وتحقيق مناهج اليونسكو ، واقيمت في مدينة بيروت عدة معارض اشتركت فيها سورية ومصر ولبنان والعراق كمعرض الكتاب ومعرض التربية ومعرض العلم ومعرض الفن وهي كلها تدل دلالة واضحة على نهضتنا الحديثة وتشير الى أثر العرب في تاريخ العلم والثقافة .

وقد كان للرحلات التي قام بها أعضاء المؤتمر في سورية ولبنان وللمآدب والحفلات التي أقيمت على شرفهم أثر عظيم في نفوسهم . فأعجبوا بما أحيطوا به من اللطف والكرم والايناس . ولا غرو فالكرم هو أول الصفات الدالة على ايمان العرب منذ القدم بمبادئ اليونسكو وميلهم الى تحقيق التفاهم بين الشعوب وازالة الريبة وسوء الظن ، وتأمين المثل الأعلى الديموقراطي في الكرامة والمساواة واحترام حقوق الانسان دون تفريق في العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين .

جميل صليبا

ما هي العربية ؟

ما هي العربية ؟ أهي لغة قريش التي كان اعجازها القرآن الكريم ام هي لغة العرب من اقدم الأزمنة في كل الأماكن التي حلوا بها ؟ الأجوبة التامة لهاتين المسألتين تتضمن مسألة اخرى وهي تأريخ العرب القديم وهجراتهم ونزوحهم من الصحراء الى الحضارة منذ الوف السنين بل قبل فجر التاريخ ولا يعلم عالم بمشرق الارض او بمغربها ما كانت لغة العرب القديمة على وجه الدقة والحقيقة ولكننا نعرف (أ) ان لسان حمير كان اقدم من اللغة الفصيحة في بعض الوجوه و (ب) أنه ما من بلاد في جزيرة العرب الا لغة قومها كانت من جنس العربية

وان كان يطلق اسم «سامية» عليها وما من بلاد في جزيرة العرب تخلو من نزوح العرب او فتوحهم و (ج) ان لهجة القبائل تفرقت بعد ظهور الاسلام وان كان التباين اقلّ مما هو اليوم و (د) ان طلاب الشواهد اخذوا من شعراء العرب من أي حيّ ولم يقصروا أبحاثهم على قبائل الحجاز رغماً عن انصراف شعراء الشمال عن قواعد النحاة · لا شك ان العربية تماثل سائر لغات العالم من حيث انها تطورت وتغيرت على ممرّ الزمان وفي كل نواحي الجزيرة تكلم الناس لغات تماثل العربية من قريب او بعيد ·

لقد كان العرب كالبحر فاضوا على الحضارة جيلاً بعد جيل حتى وان كانت الأعاجم استولوا على بعض بلادهم مثل الحثّيين الذين خالطوا العبريين كما قال النبي خزقيال لليهود «أبوك أموري وأمّك حثّية» ومثل الصليبيين فقد غرقوا في امواج العرب التي تتابعت عليهم حتى ان استرجاع ما آثرهم شغلت المستشرقين في كل البلاد العربية ·

كانت لغة العرب الذين رحلوا الى فلسطين والشام والعراق في الأيام القديمة لغة العرب في العهد الذي عاشت فيه مع ان الحجة على استمرار كلام العرب منذ ما قبل الاسلام الى الوقت الذي ألفت فيه المعاجم العربية صعبة جداً فانّ وجدت كلمة في دواوين شعراء العرب قالت النحاة هي كلمة عربية وان لم توجد في الدواوين قالت إنها معربة · وقالوا عن كلمات اخرى اننا لم نسمع بها لذا فهي ليست عربية او لم تستعمل ببلادنا لذلك هي معربة ! وما نحتاج اليه هو برهان (أ) انّ كلمةً ما قد بقيت ودامت على حالها من الزمان القديم حتى اليوم و (ب) ان متكلميها كانوا عرباً · وأعتقد انه من المحتمل ان درس اللهجات العربية يكشف عن الفاظ بهذه الصورة ·

ولا شك ان الناس من داخل جزيرة العرب ما زالوا يدخلون المدن والقرى في الأزمن التأريخية وقبلها وما نعرفه من لسانهم يدلنا على أنه تفرّق وتميّز من اللغة الفصيحة تميّزاً شديداً مع أن هذا الفرق لا يجيز الاثبات بأنه ليس عربياً

لأسباب عديدة أهمها أن درس لسان العرب القدماء يحلّ كثيراً من المشكلات اللغوية والنحوية التي نقلتها الينا النحاة بغير ايضاح مقنع . فمثلاً ان المضارع يدل على الزمان الحاضر او المستقبل وان الماضي يدل على ما مضى . وفي هذا الشرح يقع إبهام والتباس كأنهم لم يقرأوا الآية الكريمة « فَلِمَ تقتلون انبياء الله من قبل » وايضاً « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان » فمن الواضح ان الأعمال المشار اليها قد عُملت في الماضي البعيد وليست في الحاضر ولا في المستقبل . والحلّ لهذه المشكلة كما قلنا يوجد في لغة العرب العاربة فانهم استعملوا صيغةً قد سقطت من لغة العرب وهي صيغة « يِفَعَل » (بكسر اوله ثم فتح الفاء والعين او « يِفَعُل » بضم العين) للحاضر وكان الماضي بلغتهم « يِفْعُل » او « يِفْعِل » واما صيغة فَعَل فهي غنية عن الزمان مطلقاً . وفي العربية اتحدت الصيغتان القديمتان « يِفْعَل » (الماضي) و « يِفَعَل » (المضارع) [1] وأهملت الصيغة الثانية وذلك بسقوط حركة الفاء في الصيغة الأخيرة ولهذا السبب تستعمل صيغة المضارع بمعنى الماضي احياناً .

وبناءً على ما اوردناه اعلاه فإننا لا نستطيع ان نهمل اللسان العربي القديم إن اردنا ان نفهم اللغة العربية بشكلها الحاضر وإذا حلّت لغتهم بعض المشكلات في اللغة الفصيحة فليس من المستبعد ان توجد فيها اصول وكلمات قد سقطت من اللغة الفصيحة في الوقت الحاضر بسبب عدم الاستعمال او غيره فإن من درس مجرى تطور اللغات في الشرق وفي الغرب يعرف انه من اسس التطور الحذف والتغيير والاقتباس والزيادة وان في عقل الانسان دواعيَ تؤدي الى التطور . وبلغت لغة العرب نهايتها وكمالها في القرآن الكريم وفي شعر الجاهلية ، وفي مجال الأدب ثبّت القرآن قواعد اللغة الى الأبد .

وقصدي هنا ان اقدّم بعض إشارات قليلة الأهمية فأحاول ان اقارن تطور

---

(١) أما كسرة الياء فان بعض القبائل العربية كانت تميل الى ابدال الفتحة الى كسرة .

العربية بتطور الانكليزية فهما متشابهان من وجهتين مهمتين : الأولى ان المقياس هو كتاب مقدّس وشعر رفيع . ففي الانكليزية ترجمة الكتاب المقدس وشعر شكسپير ينزلان منزلة القرآن والشعر الجاهلي كما سبق . ثانياً جاء الانكليز الى هذه الجزيرة في موجات متعاقبة قرناً بعد قرن فبقيت في مناطق مختلفة كلمات وصيغ لا توجد في الانكليزية الفصيحة ولكن لا يُنفى كونها انكليزية . ولا يكاد يوجد قوم في العالم اقتبسوا كلمات اجنبية وحفظوا ذكر اصلها اكثر من الانكليز وكانت نتيجة ذلك ان كلمات اجنبية صارت بعد « تجنيسها » فصيحة بينما اصبحت كلمات وطنية قديمة دارجةً وهي في الحقيقة تستحق ان تعتبر انكليزية بحتة .

وإني لأجرؤ ان أشير إلى أن البطريرك مار اغناطيوس في تعليقاته المهمة التي زادت علمنا بالغرائب زيادة عظيمة قد بالغ في الدور الذي لعبته السريانية واظن ان بعض الكلمات التي نسبها الى السريانية على نوعين هما : (أ) اقتباسات واضحة بعيدة عن الصور العربية و (ب) كلمات قديمة مشتركة بين اللغات السامية عدا العربية الفصيحة .

فما يعنينا من النوع الأول الا ان نشكر المؤلف على بحوثه النفيسة ، وعلى كل من يشاء ان يحمل لقب « المستعرب »[1] ان يدافع عن العربية القديمة التي هي في النوع الثاني . وأريد ان أدّعي اصلاً عربياً للألفاظ التالية :

بعير : قال البطريرك « عدّ السيوطي هذه الكلمة من الألفاظ المعجمة في كتاب الإتقان » . وينبغي ان يذكر أولاً أن في كتابه المتوكلي[2] ترك هذه الكلمة من جملة الألفاظ المعربة التي جاءت في القرآن . ثانياً ان الدميري في كتابه « حياة الحيوان » قال : « سمي بعيراً لأنه يبعر يقال بعر البعير » وهذا

(١) انظر ما قال الأستاذ محمد كردعلي في مجلة المجمع (المجلد ٢٣ ص ٣٤٧ - ٣٦٢) .

(٢) حرّره وترجمه ولْيم بك القاهرة ١٩٢٤ .

الخبر صحيح للسبب التالي فان بعيراً بالعربية الابل الذكر أو الانثى وبعض العرب يقول للحمار بعير وهذا شاذ كما قال الدميري . وبالعبرية والآشورية البعير هو البقراو دابة الحمل وبالسريانية هواي حيوان كان مثل ܒܥܝܪܐ ܒܥܝܪ ܘܒܥܝܪܐ ܡܠܘܬܐ اي الحيوانات التي لحومها محللة ومحرمة . ومن المستحيل ان تعبر كلمة واحدة عن أي حيوان بين الساميين إلا لسبب خفي في اصلها وهو ما قاله الدميري كما سبق ويدل على ذلك الفعل « بعر » بالعبرية ومعناه حرق واستعمال البعر (بالسريانية ܒܥܘܪܐ) للوقود مشهور [1] . لذلك فان لم يغير السيوطي رأيه اضطررت الى ان أناقضه وأحتج بان كلمة « بعير » عربية محضة ومن اقدم الفاظ الساميين .

بوص : هذه ليست سريانية بل من اصطلاحات التجار القديمة في المشرق أجمع ومن المحتمل ان يكون اصلها مصرياً .

بيعة : لا اعرف اصلها بيد ان جريراً سمى مقدس المجوس « بيعة » :

يمشي بها البقر الموشّى أكرُعُه مشيَ الهرابذ حجّوا بيعة الزون

ثب : اصلها « وثب » ولا تحتاج الى الكلمة السريانية لأن المعنَيين « قفز » بالعربية و « جلس » بلغة حمير يجتمعان في « قرفص » فمن وثب هو بمنزلة من جلس في الهواء . والكلمة توجد في كل اللغات السامية . فالتاء بالسريانية بمنزلة الثاء بالعربية فالقاعدة ان كل شين في العبرية مع ثاء بالعربية تقابلها تاء بالسريانية مشهورة .

اخيراً فان استعادة الألفاظ العربية التي كمنت في الترجمة اليونانية للعهد القديم ستبين قِدَم العربية اذ ان المترجمين في بعض الحالات قد ترجموا الألفاظ العبرية كما لو كانت عربية محضة مثل « عطا » (وهب) والمعنى بالعبرية غطا ولا توجد

---

(١) انظر كتابي « النبوة والكهانة » لندن ١٩٣٨ ، ص ١٤١ .

كلمة «عطا» بهذا المعنى في العبرية او في السريانية . وينتج من ذلك ان لغة العرب كانت من لغات فلسطين قبل الاسلام بقرون . واني اعتقد ان تأثير العربية واهميتها في الأزمان القديمة كان اعظم مما قدره اللغويون ولست ابالغ إن قلت انه ما من نحت بلهجة غير معلومة حتى الآن إلا وسيبقى غامضاً إن لم يستعن المترجمون بالمعاجم العربية لحلّ مشكلاته .

(لندن) الفرد غليوم

توضيح وتصحيح

رأينا لزميلنا الأستاذ احمد رضا في مقاله المتتابع المنشور في مجلة المجمع بعنوان (العامي والفصيح) رأياً في كلمة (زلمة) وارجاعها الى العربية الفصحى (ص ٥٨٧ مجلد ٢٣) وقد وجدنا في بعض جوانب رأيه هذا غموضاً والتباساً احببنا ان نذكر بجانبه رأياً لنا في الموضوع فيتعاون الرأيان على إيضاحه وكشف اللبس عنه :

الزلم كالقلم كلاهما بمعنى القطع او هو قطع خاص : أن تحذف عن الشيء زوائده وما تشعب او نتأ منه كقلم الأظفار والأشجار ومنه (القلَم) آلة الكتابة فانك اذا بريته حذفت منه وقطعت ما يجعله صالحاً للعمل .

أما (الزلم) فاكثر ما يستعمل في القِداح واحجار الرحى يعمدون الى الحجر الصالح لأن يكون رحى فيأخذون من اطرافه وجوانبه بالأزاميل والمناقير ولا يزالون في نحت حروفه وتسويتها حتى يصبح على استدارة وصلاحية للانتفاع به فهذا الصنع بالحجر يقال له (زَلْم) و (تزليم) ويكونان ايضاً في القداح : يأخذون من اغصان الأشجار الصلبة كشجر النبع عوداً فينحتونه ويسوّونه بعد ان يقطعوا الزائد عنه ويسمى القِدْح اذ ذاك زَلَماً (بالتحريك) وزُلَماً (على وزن خرد) ويجمع على ازلام وهي الأزلام المشهورة في الجاهلية والمنهي

عنها في الاسلام : لما انهم كانوا يستقسمون بها اي يطلبون الخير والشر بواسطتها : فيكتبون على بعضها (افعل) وعلى بعضها (لا تفعل) ثم ينتهون الى فعل ما تأمرهم به أو تركه .

هذا هو المعنى الحقيقي لكلمة (الزَلَم) واذ قد كان فيه دلالة على معنى الصلابة والقوة والرشاقة استعمله العرب مجازاً في ما فيه صلابة وقوة ورشاقة وخفة : لأن (الزَلَم) كذلك : ففي مستدرك التاج (ومن المجاز أزلام البقر قوائمها) وقد عنى بالبقر بقر الوحش وهي المها التي تشبه بعيونها عيون الحسان ثم قال (وقيل لها اي لقوائمها ذلك للطافتها شُبهت بأزلام القِداح وفي الأساس : سميت بذلك لقوتها وصلابتها اهـ) .

ومن هنا سرى الى سكان الديار الشامية استعمال (الزَلَمة) بمعنى الرجل النشيط الماضي في صنع ما يطلب منه ويقال في المدح (فلان زَلَمة) كما يقال فلان رجل وكما يقول المصريون (جدع) .

ومها يكن من هذا الأمر فان الزَلَم والأزلام لا يستعمل في أشراف القوم وساداتهم وذوي الخطر فيهم وانما يستعمل في ما يقرب من طبقة (الفتوّات) بدليل انه احياناً يستعمل بمعنى الأتباع مذ يقال (أرسل الأفندي زلمته الى فلان) و (جاء الآغا راكباً جواده وأمامه زلمته) أو (حواليه زلمه أو أزلامه) ونرى العرب استعملوا من مادة (زلم) وصفاً للرجل على وزن (مُفَعَّل) فقد جاء في المعاجم : ان المُزَلَّم من الرجال القصير الخفيف الظريف شبه بالقِدح الصغير . ويقال للرجل اذا كان خفيف الهيأة رجل مزلَّم . [وكأنهم ارادوا بالهيأة شكل الجسم وتقاطيعه] وقال ابن الأعرابي : المزلَّم الصغير الجثة اهـ .

وكل هذا يرشح استعمال اهل الشام للزلمة بمعنى الرجل مطلقاً تارة وبملاحظة القوة والنشاط تارةً اخرى . اما الأصل الصريح في مأخذ الشاميين لكلمتهم فهو قول أهل اللسان (أزلام) لقوائم بقر المها مذ رأوها جمعت بين الصلابة والرِشاقة .

وقول العرب في الهجو (انت العبدُ زلمةً) لا يصلح أبداً ان يكون مأخذاً لقول الشاميين لأن معناه انك عبد من جهة زَلْمك وخَلْقك وتكوينك فكأنك هو وقد أفرغتما في قالبٍ واحد : قدّك قدّه . وحذوك حذوه في شكلكما وتقاطيعكما . وليس لهذا المعنى علاقةٌ ما باستعمال الشاميين لكلمة (الزَلَمة) في المعنى الذي يستعملونه فيه .

بقي شيء وهو آخر ما في الكنانة بل هو الأمر الذي حفزنا الى تسطير هذه الكلمة وهو لعمري يصلح وحده للتفكير فيه ومشادّة الرأي حوله . اعني به ما جاء في مستدرك التاج ونصه الزَلَم (محركة) الغلام الشديد الخفيف جمعه أزلام قال الشاعر :

(بات يقاسيها غلام كالزَلَم ليس براعي إبل ولا غنم) اهـ

فمن تأمل عبارة صاحب التاج وجدها لا تصلح شاهداً بل يغلب على الظن أنه سهو منه وجب علينا تأويله والا فان الرجز الذي استشهد به لم يسمّ الغلام زَلَماً وانما شبه الغلام بالزلم . ويؤيد ما قلنا أن أحداً من أرباب المعاجم لم يذكروا ما قاله صاحب التاج ولم يشيروا اليه فما ادّعاه ذهول منه أو أن في عبارته نقصاً ارتكبه ناسخ نسخته وان اصل عبارته هكذا (الزَلَم محركة ، يشبَّه بها الغلام الشديد الخفيف) ثم استشهد لهذا التشبيه بقول الشاعر المذكور .

هذا ما خطر لنا من الأمر والمهم فيه استمالة نظر اخواننا المشتغلين في اللغة الى نص عبارة المستدرك فامل لهم رأياً فيها غير ما قلنا وأصوب مما قلنا .

المغربي

نظرات في ذيل الروضتين

لأبي شامة المقدسي

— ٣ —

٥٨ — وفي ص ٢٠ س ١٠ « صاحب الجزيرة المعظم شجر شاه وكان أبوه يلقب الناصر شجر شاه بن مودود بن زنكي » والصحيح « سنجر شاه » .

٥٩ — وفي ص ٢١٢ س ٢٣ « توفي الشريف المخلص من بني ابي الحسن الحسيني التاجر » والمعروف أنه « ابن أبي الجن » وبيته مشهور بدمشق ، وقد ذكر اسمهم في ص ٢١٨ س ١٨ من الكتاب ففيها « بهاء الدين علي من بني أبي الجن » وهو نقيب الأشراف الطالبيين بدمشق[1] .

هذه هي النقدات التي اعتمدتُ فيها على الذاكرة ، وقد أرجأت ما أرجأت الكلام على الأخرى الى أن أكون على مقربة من المراجع التاريخية كما قدمت ذكره ، أما غلط التصحيف الذي حدث في هذا الكتاب فهذا هو :

٦٠ — جاء في ص ٥ س ٤ « فتحرمه دونها الآجال » والصواب « فتخرمه » بالخاء المعجمة ومنه قولهم « خرمته الخوارم » أي مات ، ومثله « اخترمه الموت » .

٦١ — وفيها س ١١ « وحبّب إليّ الى أن جمت » والصحيح « وحبّب إليّ أن جمت » فلا وجه لتكرار « الي » .

٦٢ — وفي ص ٦ س ٢٥ « وهو الذي كان عسكر الخليفة على همذان وكان طغرل » والصحيح « وهو الذي كسر عسكر الخليفة » .

٦٣ — وفي ص ٨ س ١٦ « في غرة شعبان كسر عسكر الخوارم شاه الأحول ... عسكر الخليفة في عشرين الفاً » والصواب « عسكر لخوارزم شاه » بالتنكير لا بالاضافة و « عسكراً للخليفة » .

(١) وجاء في ص ١٢٠ س ٥ « الشريف مختار الدين عبد المطلب » والصحيح « افتخار الدين » وهو من المحدثين المشهورين جداً وقد ورد لقبه أيضاً في ص ٨٤ من هذا الكتاب « وسمت شمائل النبي ﷺ من الافتخار ... »

٦٤ — وورد في ص ٨ س ٢١ « فانزعج الخليفة وأهله وغلب الأمصار » . والصواب « وغلت الأسعار » .

٦٥ — وفي ص ١٢ س ١٢ « أراد من تخضب يزول خضابه بليمونة » . والصحيح « يخضب » ولعله من غلط الطبع الصناعي .

٦٦ — وفي ص ١٢ س ٢٨ « وتارة يشفق من حبس ابن الراوندي » وهو تصحيف جميل والصواب « يسقّف من جنس ابن الراوندي » والتسقيف في لغة أهل العراق اذ ذاك هو التجديف على الله . ومراده انه كان يتكلم مثل كلام ابن الراوندي في ذلك .

٦٧ — وفي ص ١٤ س ٢٩ « واختلف الأمر عليه وتفرق عنه أصحابه » والصواب « الأمراء » وهم أمراء بلاد الجبال الذين كانوا مضادّين لخوارزم شاه ، وايضاح الخبر في كتاب كامل ابن الأثير ، فقد ذكر ذلك .

٦٨ — وفي ص ١٨ س ٩ « عبد العزول » والتصحيح « المذول » وهذه الأبيات وردت في نكت الهميان في نكت العميان وغيره .

وأرى أنّ من الاطالة ذكر التصحيفات على هذه الصورة ، وأنّ اتباع الجدولة خير منها ، وهذا هو الجدول :

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٢٢	١١	لأنك تريد أن تفرح	... أن تتفرج
«	١٧	قيل جثوا المطيّ	قيل : حثوا المطيّ
«	٢٠	لئن تصحب ... خير من أن	لأن تصحب ... خير ...
٢٣	٢٦	وسئل عن لعنة يزيد ...	... عن لعنة يزيد ...
«	٢٩	في خفارة الصبحة	... الصحبة ...
٢٥	١٤	خلق بغير تصبّر ومبيت	... وتثبت
٢٧	٢٩	وعفّاكم مما الاقيه منكم	وعافاكم مما الاقيه منكم

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٣٥	٨	وعابوا كلباً يشق الصفوف	وعاينوا ...
〃	٣١	فيرسل عنه الى بغداد	فترسَّل عنه الى بغداد — كما ورد في ص ٢٦ س ٢١ — .
٣٦	٢٨	تمذهب للنعمان بعد ابن حنبل	تمذهبت ...
〃	٣١	يحيي بن طاهر	يحيي ابن طاهر
٣٧	٧	وكانت ودلاته	وكانت ولادته
٤٠	١٨	وبنص أسماء الوري وحديثهم	وينصّ اسماء ...
٤١	٣	لا يطيقون ما أطاق دعوا ... التغني ...	دعوا البغي ...
〃	٤	مواظب الاشغتال	مواظب الاشتغال
〃	٩	عن نشره علمه للموالي	عن نشر علمه ...
〃	١٤	ناشر العلم قائل الحق كم	... قائلوكم قد إ
〃	١٥	عن مهنة وابتذالي	عن مهنة وابتذال

وأكثر هذا التصحيف في الشعر والاستمرار عليه يطيل الجدول فلنقتصر على التصحيف المهمّ الوارد في النثر، وهذا هو :

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٥٠	٢٧	وكتب [1] المكين كتاباً	ولقب المكين كتاباً
٦٩	٢٣	وحرزُوا ثلاثين الفاً	وُحزرُوا ثلاثين الفاً
〃	٢٧ ـ ٢٨	شكلاً لخيل المسلمين وكرفسارات	... وسرفسارات [2]
٨٠	١٩	وخفّ ولدين	وخلَّف ولدين
٨٨	١١	بعدمامات جدي : تيسر لي صديق	بعد ما مات جدّي بيسير :

(١) وأول الجملة « وأنشأ محمد بن محمد القمي ... – ولقب المكين – كتابا ... –

(٢) السرفسار هو اللجام وقد ورد ذكره في الروضتين « ج ٢ ص ١٩ » وفي معجم الأدباء ج ٦ ص ٣٥٧ « وبين يديه ثمان جنائب بالمراكب والسرفسارات الذهب » .

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٩١	١٧	ثم تعدّت اليه العساكر	ثم نفذت اليه العساكر
٩٢	٢	ففعل في ملكه ما أراد	ففعل [الله] في ملكه ما أراد
٩٧	٣	خرجت ... الى الفراة	... الى الغزاة ـ كما في ص١٢٨ ـ
١٠٠	٢٣ ـ ٤	وانهدمت بغداد بأمرها والحال	... والحال
١٠١	١٤	وصحبتُ في عودة	وصحبتُ في عودتي
١٠٣	٢٦	ودفن في الشونيزية في صفط الجنيد	... في صفّة الجنيد
١٠٨	٨	في تولية القضاء	في تولّيه القضاء
١٠٩	١٥	أخذ الفرنج النازلين	اخذ الفرنج النازلون
١١١	١٢	في الهدنة مع الانكليز ملك الفرنج	... مع الانكتار او الانكلتز
١١٤	٤	ومائة فوحرة تمر	ومائة قوصرة تمر
〃	١٤	فدعى له الأمير ابو العباس ذلك	فرعى ... ذلك
〃	١٩	ويسمى بالملك الرحيم	وتسمّى بالملك الرحيم
١١٨	١٤	وبأسف الناس لما جرى عليه	وتأسّف الناس ...
١٢٤	٢٨	وكأن حفظه للحكايات	... حُفَظة ... (على وزن هُمَزة لُمَزة)
١٢٥	٢	قال : فأقبل وحدي ؟	قال فأقتل وحدي [1] ؟
〃	١١	نفعه في بلاد العجم	تفقّه في بلاد العجم
〃	٢٨	الشيخ الفاعل الصنائع	... الصانع ...
١٢٧	٢٠	قد نخرت الصخرة	قد نجرت الصخرة

(١) ومضمون الحكاية أنّ امرأة دعت رجلاً في محلة الشيعة بأبي بكر ليفتكوا به فقال لها « يا عيشة » أي ياعائشة . حتى يقتلوها ، وذلك أضعف الدفاع عن نفسه ، فلما استغربت ذلك منه ، قال لها « أفأقتل وحدي ؟ » أي أتكوني السبب في قتلي وتريدي أن تنجي ؟ وهذه الحكاية من طرف الحكايات وأدلها على الذكاء .

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
″	٣٢	ونظر إليّ شذراً	... شزراً
١٣٣	٢٣	فأبقاه وأخوه المعظم	فالتقاه أخوه ...
١٤٠	١٤	فمرضت مرضاً شجّ أعضائي	... شنّج أعضائي
١٤٢	١٥	كلاب حديد يضربه به كيفما أراد	... يصرّفه به ...
١٤٣	٩	قاعدتين يتحدثان	قاعدتين تتحدثان
١٤٤	٢٥	ولم يزل ينتقص عليه حتى مات	ولم يزل ينتقض عليه حتى مات
١٤٥	١٣	قد استوى على الخلافة	قد استولى ...
″	٢١	فقيل له : ألا يتفسّح ؟	... ألا تتفسّح ؟
١٤٧	٢٦	ينجدونّي ، قال : نعم	تنجدونّي قال : نعم
١٥٠	٢٩	فكان البوّاب إذا مسكوا	فكان النُوّاب اذا مسكوا
١٥٢	٨ — ٩	وعرة كثيبة الصوان	... كثنيّة الصوان
١٥٥	٦	فلم ينظم صلح ظاهر	فلم ينتظم ...
″	٢٦	تكثر الرجمة والضراب	... الزَحمة ...
١٥٧	٣١	ههنا رجلاً من الأبدال	... رجل ...
١٩٦	٩	ويلقب شجرشاه	... ونلقب ...
٢٠١	٢٣	وكثرت الرجمات	وكثرت الرجفات ...
٢٠٢	١٩	بالمأمونية من أعمال بغداد	... من مَحالّ بغداد
٢٠٣	٣	مملوك بفت أتابك	مملوك بيت أتابك
″	١٠	سمار القضايا	مسمار القضايا
٢٠٨	٤	ويقرّب بها الى الرؤساء	... وتقرّب ...
٢١٠	٧	بين قتل المظم ابن الصالح	... المعظم بن الصالح

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٢١٠	٢٧ — ٨	ونظير ذلك لأنّ نجم الدين	ونظير ذلك أنّ ٠٠٠
٢١٧	٤	وسوّد تاريخاً بحلب	٠٠٠ لحلب ٠٠٠

وجاء في ص ١٤٣ س ١١ « وكان يقدم كل عام من بغداد على بعض سيلانات الخليفة (؟) » ثم استدرك المصحح في ص ٢٨٥ وقال « لعله معرّب ساليانات اي المخصصات السنوية » ٠ قلت : وذلك بعيد والصواب « سبيلات » جمع سبيل وهو ما كان يوقف على حجاج بيت الله الحرام في أثناء سفرهم من الماء والطعام والكساء وذلك شيء متعارف في اصطلاح القوم حتى لقد ورد في الكتاب نفسه ص ٩٣ س ٣٢ « وجهّزني الأشرف الى الحج وعمل لي سبيلاً مثل سبيله » ٠ وقد جاء في الوفيات ج ٢ ص ٧ « يُقيم في كل سنة سبيلاً للحج » وأصله للماء ، ففي الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٥٦ « ويقولون : الماء للسبيل » ٠ ولم نزل نسمع العامة بالعراق يسمون السقاية الموقوفة « سبيلخانة » ٠ وفي ص ٨٤ س ١٢ « أتتك بحائن رجلاه » والمثل هو « أتتك بحائن » أي من حان موته ٠

وجاء في ص ١٤٨ س ٥ « وعنده الأشرف من هذا المقعد المقيم (؟) » ولا حاجة الى الاستفهام والصواب حذف الهاء من (عنده) أي ان ذلك يقعده ويقيمه غضباً وحنقاً ٠

وورد في ص ٩٨ س ٧ :

ولا غرو أن آتي هنيدة سالماً فقد يدرك الانسان ما يتوقع

ثم قال المؤلف ، س ١٠ « هنيدة اسم علم على المائة (؟) » وقد وضع القائم على الطبع علامة الاستفهام كما ترى ، ولا وجه لذلك ، فان هُنَيْدة اسم علم للمائة — كما قال المؤلف — ومنه قول الشاعر « لنصر بن دهمان الهنيدة عاشها » ٠ والأصل للابل ثم أطلقت على المائة من كل شيء ٠

مصطفى جواد

حب العرب والاسلام

كتب الينا من كمبردج العلامة السيد كرينكو من اعضاء المجمع العلمي العربي يقول من رسالة : كانت مطالعاتي في الآداب القديمة من زمان الجاهلية الى غاية القرن الثامن من الهجرة .. ولعلي قرأت من كتب الشعر والعلوم الدينية والدنيوية والتواريخ القديمة ما يزيد على كثير مما طالعه بعض أبناء لغة الضاد والمستشرقين في سائر بلاد اوربا . وقد جمعت على طباق وورقات مخصوصة جملة كثيرة من الأبيات القديمة وتاريخ وفيات الرجال من كل طبقة الى منتهى القرن الثامن .. قال ان الألفاظ الجميلة التي تذكروني بها كل مرة لا استحقها وما نشأ حبي للعرب خاصة الا من تعميقي في آدابهم ومن حبي الاسلام والمسلمين .

بيان من الادارة الثقافية

في جامعة الدول العربية

تود الادارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن تلفت الأنظار الى أن مسابقة التأليف التي سبق الاعلان عنها في مطلع هذا العام ، والتي اختير لها الموضوعان التاليان :

(ا) تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي الى خروج العرب منها ، وما يتصل بذلك من الحوادث في بلاد المغرب .

(ب) تاريخ الأمة العربية (العراق — الشام — مصر والسودان — بلاد المغرب — جزيرة العرب) من سقوط بغداد الى أول القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) .

وقدّر مبلغ ٥٠٠ جنيه مصري لأحسن ما يكتب في كل من الموضوعين ، قد امتد آخر موعد لتقديم الرسائل المكتوبة فيهما الى أول مايو سنة ١٩٤٩ بدلاً من الموعد المحدد سابقاً وهو اول مايو سنة ١٩٤٨ .

فهرس الجزء الأول من المجلد الرابع والعشرين

التعريف والنقد

آراء وأنباء